الشرارة

لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية

العدد الحادي عشر

أكتوبر 2023

قراءة في كتاب "ما العمل؟"

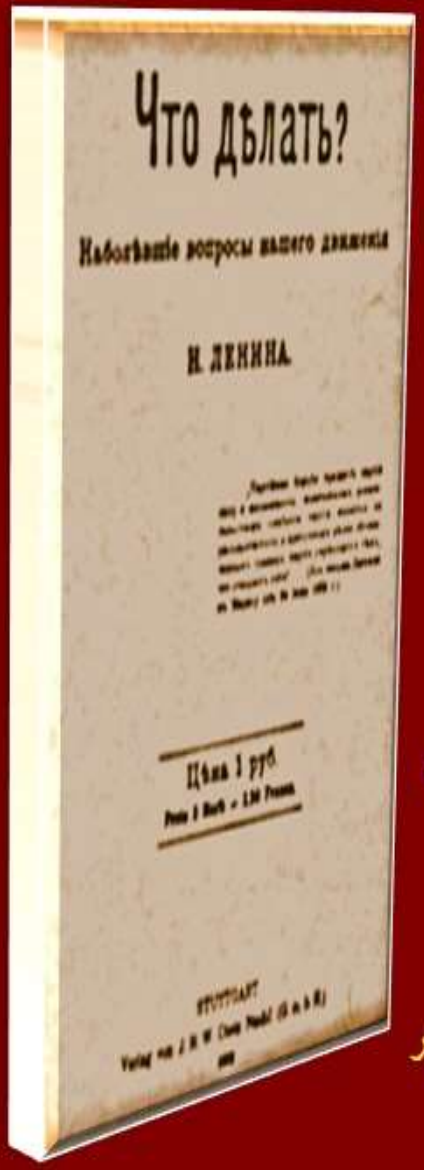

علي محمود

فلاديمير لينين

لقد كان الناس وسيظلون أبداء في حقل السياسة، أناسا سذجا يخدعهم الأخرون ويخدعون أنفسهم، ما لم يتعلموا استشفاف مصالح هذه الطبقات أو تلك وراء التعابير والبيانات والوعود الأخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية

المركز الماركسي . اللينيني للدراسات والأبحاث والتكوين

الجزء الأول

"لقد كان الناس وسيظلون أبدا، في حقل السياسة، أناسا سذجا يخدعهم الأخرون ويخدعون أنفسهم، ما لم يتعلموا استشفاف مصالح هذه الطبقات أو تلك وراء التعابير والبيانات والوعود الأخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية"

لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة، المجلد 23، ص 40-48

تنبيه:

إن اللينينية تمثل مرحلة ديالكتيكية في تطور النظرية الماركسية، والديالكتيكية تعني وجود تناقض، الذي يدفع إلى التطور في سياق سيرورة متناقضة محركها ذلك التناقض، ولعل صدور كتاب "ما العمل؟" لحظة تاريخية ضمن هذا التطور، فحول، ومن خلال أطروحاته اغتنت النظرية السياسية للماركسية وممارستها، فحول مسألة الوعي السياسي الطبقي، والأطروحة المركزية في كتاب "ما العمل؟" تتكثف وتتعارض بشكل جدلي أطروحات فرعية تتعلق بمسائل كبرى تمس الممارسة السياسية، عالجها لينين على شكل ثنائيات تربطها علاقات ديالكتيكية من قبيل:

- الوعي العفوي والوعي السياسي (الاشتراكي الديموقراطي)

- النضال الاقتصادي (المطلبي، النقابي) والنضال السياسي ونظرية "التعاريج الوجلة" الاقتصادوية، وشعار "إضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي".

- النضال الديموقراطي (برنامج الحد الأدنى) والنضال الاشتراكي (برنامج الحد الأقصى) وتمفصلهما.

- مسألة التحالفات وإشكالية البرنامج الثوري خلال مرحلتي النضال من أجل الثورة الديموقراطية البورجوازية والثورة الاشتراكية.

- الدعاية والتحريض من منظور اقتصادوي ومن منظور اشتراكي ثوري.

- التنظيم الحرفي (المهني) والتنظيم السياسي الثوري و وظيفة الجريدة السياسية كمركز لبناء الحزب الثوري البروليتاري.

- الحزب والطبقة والجماهير والقادة ونظرية الطليعة الثورية البروليتارية.

- الحزب الثوري ومنظمة المحترفين الثوريين.

تشكل هذه القضايا أهم ما تناوله لينين في كتابه "ما العمل؟"، وككل كتب لينين، التي شكلت محطات في تطور النظرية الماركسية ("المادية والمذهب النقدي التجريبي" = تطوير الفلسفة المادية الماركسية، "الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية" = تطوير للاقتصاد السياسي الماركسي وللاستراتيجية الثورية العالمية، "الدولة والثورة" = تطوير لنظرية الدولة الماركسية وإغناء لمفهوم دكتاتورية البروليتاريا ...)، يمثل كتاب "ما العمل؟" قفزة نوعية في تأسيس العلم السياسي الماركسي، ومن الملفت للانتباه أن هذا الكتاب تعرض أكثر من غيره للتشويه والإفراغ من مضمونه الثوري العميق، بل وجد لدى مثقفي البورجوازية الصغيرة صعوبة كبيرة في إدراك كنهه، وانعكس ذلك في الترجمات المختلفة المشوهة له، وكذلك في العروض المقدمة حوله، وقد أبدعت البورجوازية الصغيرة في تشويه مضامينه أحيانا، وصب جم غضبها وحقدها عليه، نظرا لصلابة مبادئه التنظيمية القائمة على الانضباط البروليتاري، العدو اللدود للمثقفين البورجوازيين الصغار، ولذلك تجدهم أول ما يهاجمون من الكتب اللينينية هذا الكتاب خاصة في دعواتهم إلى فصل اللينينية عن الماركسية.

إن كتاب "ما العمل؟" هو بمثابة التأسيس الإيديولوجي لنظرية الحزب الثوري البروليتاري ومحطة أولى في هذا التأسيس، تلاها كتاب "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء"، الذي شكل التأسيس التنظيمي لنظرية الحزب الثوري اللينينية، ولذلك تجب دراستهما من أجل الاطلاع والفهم المعمقين لتلك النظرية.

يشكل هذا البحث المخصص لكتاب "ما العمل؟" الذي يضم ثلاثة أجزاء، مقدمة من أجل الدراسة المعمقة له، ستتلوه أجزاء أخرى تسير في نفس الاتجاه سيتم فيها التطرق لكتاب "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء" بارتباط مع الجدل الذي دار حول نظرية الحزب اللينيني خاصة جدال لينين و روزا لوكسمبورغ ...

بناء عليه، ننبه القارئ المناضل المنخرط في سيرورة بناء الحزب البروليتاري إلى ضرورة دراسة هذا الكتاب بكل تأن ومنهجية وعمق، فالثورة علم وعلينا التعامل معها كذلك، فليست الكتب الثورية العلمية للمطالعة وتجزية الوقت ولا للتباهي واستعراض العضلات، فالنظرية الثورية تستدعي الممارسة الثورية ولا مجال للتهرب من ذلك. وبطبيعة الحال ندعو إلى القراءة الجماعية (تسبقها قراءة شخصية لكل مشارك) المعتمدة على منهجية الدراسة من خلال تقسيم المواضيع والتيمات ودراستها على حدى وتركيبها ضمن نسق واحد يجمع مكوناتها، فمثلا يمكن الانطلاق من النقد الإيديولوجي، الذي قام به لينين تجاه الشعبوية والاقتصادوية والنزعة الإرهابوية، واستعراض الأطروحات والأطروحات اللينينية المضادة، والانطلاق بعد ذلك في دراسة المحاور التي سطرناها أعلاه، وبعد ذلك تتم عملية التركيز للأفكار والأطروحات ومناقشتها جماعيا ضمن سياق الوضع الراهن، عبر القيام بمقارنات بين الوضع الروسي و وضعنا الخاص، والتأكد من راهنية الأطروحات اللينينية حول كيفية العمل السياسي الثوري من أجل بناء الأداة الثورية للطبقة العاملة : الحزب البروليتاري الثوري.

في الأخير، يجب التأكيد على ضرورة وجود مسير أو موجه يربط بين المداخلات والأفكار والتصورات، ويعمل على تطوير النقاش وتوجيهه، وتكليف أحد المشاركين بصياغة الخلاصات.

I - مقدمات تاريخية

أصبحت اللينينية تشكل المرحلة الثانية في تطور النظرية الماركسية، وذلك بعد 33 سنة من النضال الشاق خاضه لينين ضد القيصرية الروسية ونظامها الاستبدادي، وبشكل موازي ضد كل التيارات الفكرية والفلسفية والسياسية التي كانت تقف حجر عثرة في وجه انتشار

وتطور الفكر الماركسي في روسيا بارتباط مع حركة عمالية ناشئة ومتطورة باستمرار. هكذا استحقت اللينينية من بين ماركسيات أخرى مجايلة لها أن تصبح كما أسماها البلاشفة، وخاصة ستالين، الذي عرفها ب:

"اللينينية هي ماركسية المرحلة الامبريالية والثورة البروليتارية، وبدقة أكثر، فاللينينية هي نظرية وتكتيك الثورة البروليتارية بشكل عام، ونظرية وتكتيك دكتاتورية البروليتاريا بشكل خاص".

لقد نشأت اللينينية بداية في تربة روسية ضمن شروط اقتصادية واجتماعية وسياسية عرفت المميزات التالية:

1- الأرضية الأولى: إلغاء الرق وتطور الرأسمالية الصناعية في روسيا الذي صاحبه تشكل البروليتاريا الصناعية الحديثة، وانبثاق الخطوات الأولى للحركة العمالية.

ا- عرفت روسيا القيصرية بداية تطور رأسمالي يعتبر متأخرا مقارنة بتطور الرأسمالية في أوروبا الغربية، فإلى حدود 1860 لم تكن هناك في روسيا إلا معامل ومصانع قليلة، فقد كان الاقتصاد الإقطاعي المرتكز على نبالة الأرض مسيطرا، وتظهر الأبحاث التاريخية أنه في ظل هذا النظام الاجتماعي القائم على الرق لم يكن بإمكان الصناعة أن تتطور، ففي الفلاحة كان عمل القن ذا إنتاجية ضعيفة، وخلال سنة 1861 قامت الدولة القيصرية بإلغاء نظام القنانة بعدما أنهكتها الحرب في منطقة القرم، وكذلك تحت تأثير ضغط الانتفاضات وتمردات الفلاحين ضد الملاكين العقاريين الكبار، ورغم أهمية هذا القرار، فقد ظل الملاكون العقاريون الكبار يضطهدون الفلاحين، حيث كانوا يقومون باقتطاع جزء هام من الأراضي التي كانوا يتمتعون بها سابقا، ومن أجل تحررهم كان على الفلاحين أن يؤدوا قيمة شراء تلك الأرض، كما اضطر الفلاحون لكراء أرض الملاك العقاري في أصعب الظروف، بالإضافة إلى تأجير الأرض بمقابل نقدي كان الملاك العقاري غالبا ما يلزم الفلاحين بالعمل المجاني على قطعة من الأراضي التابعة له، وهذا ما كان يسمى ب "أداء العمل" أو السخرة، وفي أغلب الأحيان كان الفلاح يؤدي ثمن كراء الأرض عينا، أي نصف المحصول ويسمى هذا بالروسية "إسبولو" أي العمل بالنصف. إن الفارق مع المرحلة السابقة هو أن الفلاح كان حرا بشخصه لا يمكن بيعه ولا شراؤه كشيء من الأشياء.

إن بقايا الاقتصاد الإقطاعي والضرائب الثقيلة، وثمن كراء الأرض، كل هذا كان يتجاوز مدخول الأراضي الفلاحية، مما كان يسبب الدمار وتفقير الجماهير الفلاحية، وجعل الفلاحين يغادرون قراهم بحثا عن مورد رزق، فيتم تشغيلهم في المعامل والمصانع، وأصبحوا يشكلون يدا عاملة رخيصة، وإلى حدود 1903 كان الفلاحون يتعرضون إلى عقوبات جسدية لأبسط الأسباب، بينما، وقد أصبحوا عمالا يتعرضون إلى قمع القوزاق خلال الإضرابات. هكذا، لم يكن لدى العمال أو الفلاحين أي حق سياسي في روسيا القيصرية، لقد كانت الأوتوقراطية أشد أعداء الشعب، وبذلك استحقت روسيا القيصرية لقب "سجن الشعوب"، ففي إطار هذا النظام الإقطاعي الاستبدادي، كانت القوميات والأقليات غير الروسية تتعرض لمختلف أشكال الاضطهاد، من الإهانات والتجاوزات والمجازر، فقد كانت القيصرية تجعل الروس ينظرون إلى تلك الشعوب كأجناس دونية، وكانت تلك القوميات، بالإضافة إلى معاناتها من الاضطهاد تعاني من الصراعات فيما بينها، التي كانت غالبا ما تكون بإيعاز من القيصرية، وكانت كثير من القوميات تتعرض إلى مذابح كما هو الحال عند التتار والأرمن والمناطق العابرة للقوقاز واليهود، وبطبيعة الحال كانت تلك المناطق القومية تخضع لنظام خاص، حيث يحتل الموظفون الروس كل مهام الدولة، كما أن كل المسائل في الإدارات، وكل القضايا أمام المحاكم يتم تداولها باللغة الروسية، كما كانت هذه القوميات ممنوعة من نشر الجرائد والكتب بلغتها، أما استعمال اللغة الأم في التعليم فقد كان ممنوعا في المدارس. لقد كانت الحكومة القيصرية تتبع سياسة الروسنة المفروضة فرضا على القوميات غير الروسية، لقد كان القياصرة جلادين للشعوب غير الروسية.

ب- بعد القضاء على نظام القنانة في روسيا، تطورت الرأسمالية الصناعية فيها بشكل سريع، ففي 25 سنة الممتدة من 1865 إلى 1890، وأخذا بعين الاعتبار فقط عدد العمال في المصانع، نجد أن عدد العمال في السكك الحديدية قد ازداد من 706 ألف إلى مليون و433 ألف عامل، وعندما عرفت الصناعة الكبيرة الرأسمالية تطورا كبيرا وسريعا، ففي نهاية هذا العقد فقط، في 50 إقليما من روسيا، وصل عدد العمال في المصانع الكبيرة وفي الصناعة المنجمية وفي السكك الحديدية إلى مليونين و207 آلاف، وفي عموم روسيا أصبح مليونان و792 ألف. هكذا إذن، نشأت بروليتاريا صناعية عصرية تتميز عن المعامل الصغيرة والصناعة الصغيرة أو الحرفية، سواء من حيث تمركزها في المقاولات الكبيرة الرأسمالية أو فيما يخص نضاليتها الثورية، وقد لعبت السكك الحديدية دورا كبيرا في هذا التطور، حيث تم بناء خلال عقد 1890 – 1900، 21 ألف ڤيرست (وحدة قياسية روسية حيث يساوي ڤيرست 1066،8متر) أي أكثر من

22 ألف كلم، وقد ساعد هذا التطور في تقدم مجموعة من القطاعات لاحتياج السكك الحديدية للفحم والبترول، مما ساعد في تطور صناعة التعدين وصناعة المحروقات. ورغم هذا التطور الحاصل في مجال الصناعة الرأسمالية، ظلت روسيا متأخرة بالنسبة لباقي الدول الرأسمالية الأوروبية الكبرى، فقد ظل أغلب سكانها يتعاطون النشاط الفلاحي بمقدار خمسة أسداس من الساكنة، بينما السدس في الصناعة الكبيرة والصغيرة وفي التجارة والسكك الحديدية وفي النقل وأوراش البناء والاستغلاليات الغابوية. إذن رغم هذا التطور، ظلت روسيا عموما بلدا ذا اقتصاد زراعي متأخر، بلد بورجوازي صغير، أي ما زالت تهيمن فيه الملكية الصغيرة والاستغلالية الزراعية الفردية ذات المردود الضعيف.

إن التطور المتكلم عنه أعلاه لم يحصل في المدن وحدها فقط، بل مس البوادي أيضا، فبدأ الفلاحون يعرفون تفككا وتمايزا طبقيا، فمن داخل الفلاحين الأغنياء، انبثقت فئة عليا وتسمى الكولاك أي البورجوازية القروية، ومن جهة أخرى أفلس العديد من الفلاحين، فازداد عدد الفلاحين الفقراء والبروليتاريين وأشباه البروليتاريا، بينما أصبح عدد الفلاحين المتوسطين في تناقص.

إن هذه البورجوازية القروية كانت تغتني عبر اضطهادها للفلاحين الفقراء والمتوسطين، وباستغلال عمل الأجراء الزراعيين والمياومين، لقد تحولت إلى رأسمالية زراعية.

ابتداء من سنوات السبعينات وخاصة الثمانينات من القرن 19، استيقظت الطبقة العاملة الروسية ودخلت معمعان النضال ضد الرأسماليين نتيجة معاناتها في المعامل والمصانع، ففي فترة 1880- 1890، كان يوم العمل يساوي 12،5 ساعة، ويصل أحيانا في صناعة النسيج إلى 14 و15 ساعة. إضافة إلى هذا كان هناك استغلال فاحش لليد العاملة النسائية والأطفال، وقد كان الأطفال يقدمون ساعات عمل مساوية لعمل الكبار. كان أغلبية العمال يتقاضون من 7 إلى 8 روبل في الشهر، وأعلى أجر في قطاع التعدين وصهر الحديد لا يتعدى 35 روبل في الشهر، ولم تكن هناك أي حماية في العمل من الحوادث ولا التأمينات، بينما كانت المساعدة الطبية مؤدى عنها. أما ظروف السكن فقد كانت سيئة إلى حد كبير.

في ظل هذه الأوضاع انطلقت نضالات العمال وبدا وعيهم يتطور، كان العمال في هذه المرحلة يصبون غضبهم على الآلات وتكسير زجاج بناية المعمل وتخريب الكونطوارات والمكاتب، لكن سرعان ما بدأت فئة من العمال تعي أن النضال الفعال ضد الرأسماليين يتطلب التنظيم. هكذا نشأت أولى الجمعيات العمالية، وفي سنة 1875، في أوديسا تشكل "اتحاد عمال روسيا الجنوبية" وهي المنظمة العمالية الأولى، استمرت حوالي 8 أو 9 أشهر، حيث قامت الحكومة القيصرية بتدميرها، وفي سنة 1878، تأسس في بترسبورغ "اتحاد العمال الروس في الشمال"، وكان على رأسه خاتورين او بنورسكي، ومما جاء في برنامج هذا الاتحاد، أن أهدافه مرتبطة بالأحزاب العمالية الاشتراكية الديموقراطية في الغرب، وحدد لنفسه هدفا نهائيا وهو الثورة الاشتراكية، وقلب النظام السياسي والاقتصادي للدولة كنظام غير عادل كحد أقصى. لقد كان أو بنورسكي قد عاش لمدة ما في الخارج، وتأقلم مع نشاط الاشتراكية الديموقراطية الماركسية والأممية الأولى، مما ترك أثره على برنامج الاتحاد. وحدد هذا الأخير لنفسه كمهمة مباشرة، تحقيق الحرية والحقوق السياسية للشعب (حرية التعبير، الصحافة، الاجتماع ...) بالإضافة إلى تحديد يوم العمل. كان الاتحاد يضم 100 عضو ونفس العدد من المتعاطفين، وبدأ يقود النضالات العمالية، لكن الحكومة القيصرية قامت بتحطيمه هو الآخر. ورغم ذلك ظلت الحركة العمالية تتطور وتكبر وتتسع إلى مناطق أخرى، وستعرف سنوات الثمانينات اتساعا في الإضرابات، ففي خمس سنوات، من 1881 إلى 1886، كان هنالك 48إضرابا شارك فيها 80 ألف مضرب، ومن بين هذه الإضرابات هناك إضراب كبير انطلق من معمل موروزوف دوريخوف زوريف، الذي كانت له أهمية خاصة في تاريخ الحركة الثورية. كانت هذه المؤسسة تضم 8000 عامل يعيشون في أوضاع سيئة، حيث الأجور تتدنى باستمرار، بالإضافة إلى الغرامات المفروضة على العمال، فخلال المحاكمة التي تلت الإضراب تم إظهار أنه عند كل روبل تم ربحه يخصم منه لصالح رب المعمل من 30 إلى 50 كوبيك على شكل غرامات، وبسبب ذلك انطلق الإضراب في 1885، و كان الإعداد مسبقا للإضراب يقوده العامل المتنور بيوتر مويسينكو، عضو سابق في "اتحاد العمال الروس في الشمال"، وكانت له تجربة ثورية غنية، فعشية الإضراب استطاع أن يبلور مع عمال آخرين الأكثر وعيا دفتر مطالب تمت المصادقة عليه في ندوة سرية للعمال، وقد تم قمع الإضراب باستعمال القوة المسلحة، وتم اعتقال 600 عامل، سيقدم العشرات منهم للمحاكمة.

أمام تنامي الحركة العمالية، ودخول معامل أخرى الإضراب، أصدرت الحكومة قانونا حول الغرامات، يقول أن الأموال التي تتحصل من الغرامات لا يجب أن يأخذها صاحب المعمل، بل توظف لخدمة حاجيات العمال أنفسهم. هكذا، مع تجربة موروزوف والإضرابات الأخرى تطور الوعي بأهمية التنظيم، فظهر قادة ومنظمون ذوي موهبة كبيرة وسط الحركة العمالية، يدافعون بحزم عن مصالح الطبقة العاملة. بشكل مواز، وتحت تأثير تصاعد الحركة العمالية في روسيا، وتأثير أوروبا الغربية، بدأ نشوء أولى المنظمات الماركسية في روسيا.

2- الأرضية الثانية: الشعبوية والماركسية في روسيا، بليخانوف وجماعته "تحرير العمل"، نضال بليخانوف ضد الشعبوية وانتشار الماركسية في روسيا.

قبل ظهور الجماعات الماركسية في روسيا، كان العمل الثوري في روسيا حكرا على الشعبويين، اللذين كانوا يشكلون خصوما للماركسية.

في سنة 1883، ظهرت أول جماعة ماركسية روسية، تحت اسم "تحرير العمل" تم تنظيمها في الخارج من طرف بليخانوف، وذلك في مدينة جنيف، حيث كان يقيم بعد هروبه من قمع ومطاردات النظام القيصري. لقد كان بليخانوف في بدايته شعبويا، لكنه في الهجرة تعرف على الماركسية، فانفصل عن الشعبوية ليصبح داعية بارزا للماركسية، وبالفعل قامت جماعته الثورية بمجهود كبير لنشر الماركسية في روسيا. وقد قام بليخانوف بترجمة أعمال ماركس و انجلز، نذكر منها: "بيان الحزب الشيوعي"، "العمل المأجور و الرأسمال"، و "الاشتراكية الطوباوية و الاشتراكية العلمية". وقد قام بطبعها في الخارج وتوزيعها سرا في روسيا، وبالإضافة إلى هذا، قام بليخانوف و زازوليتش و أكسلرود وآخرون من المجموع بكتابة سلسلة من الكتب، حيث يعرضون مذهب ماركس و انجلز و أفكار الاشتراكية العلمية.

عندما انطلقت جماعة "تحرير العمل" في النضال من أجل نشر الماركسية، وذلك بالصحافة الروسية بالخارج، لم تكن الحركة الاشتراكية الديموقراطية موجودة في روسيا. وما كان ضروريا في هذه الفترة هو فتح الطريق أمام الحركة في الميدان النظري والإيديولوجي.

وقد كانت العرقلة الإيديولوجية الأساسية لانتشار الماركسية، تتمثل في انتشار المفاهيم الشعبوية، التي كانت تهيمن وسط العمال المتقدمين والمثقفين ذوي الروح الثورية.

لقد كان لتطور الرأسمالية في روسيا دورا كبيرا في ظهور الماركسية، لقد ساعد ذلك في إثبات الدور الطليعي للطبقة العاملة القادرة على النضال الثوري المنظم، وهو بالضبط الدور الذي يرفضه الشعبويون اللذين كانوا يعتبرون أن القوة الثورية الرئيسية ليست الطبقة العاملة بل الفلاحون، وبالتالي إمكانية قلب نظام القيصر والملاكين العقاريين، وذلك عبر تمردات الفلاحين فقط. لم يكن الشعبويون يدركون أنه بدون تحالف مع الطبقة العاملة وتحت قيادتها، لا يمكن للفلاحين وحدهم أن يهزموا القيصرية والملاكين العقاريين. لم يكن الشعبويون أيضا يدركون أن الطبقة العاملة هي الطبقة الأكثر ثورية وتقدما في المجتمع.

لقد حاول الشعبويون أن يجروا الفلاحين إلى النضال ضد الحكومة القيصرية، في هذا الإطار، كانت الشبيبة المثقفة الثورية ترتدي لباس الفلاحين والذهاب إلى البوادي وإلى الشعب كما كان يقال، ومن هنا، تمت تسميتهم بالشعبويين، ولكن الفلاحين لم يسيروا وراءهم، ولا يفهمونهم، وكان أغلبية الشعبويين يتم اعتقالهم من طرف البوليس، مما جعل الشعبويين يقررون متابعة النضال ضد الأوتوقراطية القيصرية بقواهم الذاتية، مما أدى إل أخطاء أكثر خطورة. هكذا، ستقوم المنظمة السرية الشعبوية "نارودنايا فوليا" (إرادة الشعب) باغتيال القيصر ألكسندر الثاني في يوم فاتح مارس 1881، لكن هذا العمل لم يكن له أي نفع بالنسبة للشعب، فليس اغتيال أشخاص معزولين هو ما سيؤدي إلى إسقاط الأوتوقراطية القيصرية ولا تحطيم طبقة الملاكين العقاريين. هكذا، أخذ القيصر ألكسندر الثالث مكان ألكسندر الثاني، ومعه ازدادت معاناة العمال والفلاحين.

إن طريق العمليات المعزولة، أو الإرهاب الفردي، كانت خاطئة ومسيئة للثورة. لقد كانت سياسة الإرهاب الفردي تنهل من النظرية الشعبوية الخاطئة، التي تؤكد على دور "الأبطال" النشيطين و"الجموع" السلبية، التي تنتظر إنجاز الأبطال. إن هذه النظرية الخاطئة كانت تزعم أن أفراد النخبة هم اللذين يصنعون التاريخ، بينما الجماهير، الشعب، الطبقة، الجموع، عاجزة عن الأعمال الواعية والمنظمة، حيث لا يمكن لها سوى أن تتبع الأبطال بشكل أعمى، وهذا هو الذي أدى بالشعبويين إلى التخلي عن العمل الجماهيري

الثوري وسط الفلاحين والطبقة العاملة وانتقلوا إلى الإرهاب الفردي، وهو مما أدى باستبان خارتورين، وهو أحد أكبر الثوريين في تلك المرحلة إلى التخلي عن العمل التنظيمي داخل "اتحاد العمال" ليهتم خصيصا بالإرهاب.

بعملهم هذا، كان الشعبويون يبعدون العمال عن النضال ضد طبقة الرأسماليين، وذلك عن طريق الأعمال الفردية غير ذات منفعة للثورة، كانوا يعرقلون تطور المبادرة الثورية ونشاط الطبقة العاملة والفلاحين. كانوا كذلك يمنعون الطبقة العاملة من فهم دورها القائد، ويفرملون عملية خلق الحزب المستقل للطبقة العاملة. ورغم أن التنظيم الثوري للشعبويين قد تم تحطيمه من طرف الحكومة القيصرية، فإن المفاهيم الشعبوية ظلت باقية بين المثقفين الثوريين.

هكذا، ومن أجل أن تنمو الماركسية في روسيا وتتعزز، كان عليها خوض النضال ضد الشعبوية، وكان هذا هو الدور الذي اضطلعت به تاريخيا جماعة "تحرير العمل". لقد أبرز بليخانوف أن أفكارهم ومفاهيمهم لا علاقة لها بالاشتراكية العلمية رغم ادعائهم ذلك، لقد كان بليخانوف هو أول من قام بنقد ماركسي للشعبويين محطما أفكارهم ومفاهيمهم، وفي نفس الوقت قام بدفاع بارز عن المفاهيم الماركسية.

فما هي الأخطاء الرئيسية للشعبويين، التي وجه لها بليخانوف الضربة القاضية؟

1-كان الشعبويون يعتبرون أن الرأسمالية في روسيا ظاهرة عرضية، وبأنها لا تتطور، ومن ثمة فالبروليتاريا لم تنشأ، ولم تتطور في هذا البلد.

2- لم يكن الشعبويون ينظرون إلى الطبقة العاملة كطبقة طليعية في الثورة، وكانوا يحلمون بالاشتراكية بدون بروليتاريا، ومن ثمة، بالنسبة لهم، فإن القوة الثورية الرئيسية هم الفلاحون، يقودهم المثقفون، وكانوا يعتبرون الجماعة الفلاحية (المير) هي جنين وقاعدة الاشتراكية.

3-كان الشعبويون يساندون ويدافعون عن وجهة نظر خاطئة ومضرة حول مسار التاريخ الإنساني، أي أنهم كانوا لا يعرفون ولا يفهمون قوانين التطور الاقتصادي والسياسي للمجتمع، أي أنهم كانوا متأخرين جدا، فحسب وجهة نظرهم ليست الطبقات ولا صراعها هو ما يصنع التاريخ، بل أفراد النخبة الأبطال، التي تتبعها الجماهير والشعب بشكل أعمى. وفي هذا السياق كتب بليخانوف كتبا ساهمت في تكوين جيل من المناضلين الماركسيين، وهذه الكتب هي: "الاشتراكية والنضال السياسي"، "خلافاتنا"، "دراسة حول تطور المفهوم الواحدي للتاريخ". هذه الكتب عبدت الطريق لانتشار الماركسية في روسيا، وقد قال لينين حول كتاب "دراسة حول تطور المفهوم الواحدي للتاريخ" المنشور سنة 1895 "**بأنه قام بتربية جيل بكامله من الماركسيين الروس**" (لينين مجلد 14، ص 347، الطبعة الروسية).

***خلاصات النقد البليخانوفي للشعبوية:**

في نقده الحاسم للشعبوية بين بليخانوف، وبرهن على ذلك، أنه من العبث طرح السؤال على الطريقة الشعبوية:

- هل على الرأسمالية أن تتطور أو لا تتطور في روسيا؟

يقول بليخانوف جوابا على هذا السؤال، واعتمادا على الوقائع، بأن روسيا قد دخلت في طريق تطور رأسمالي، وليس هناك من قوة تستطيع تحريفها عن ذلك، وبالتالي فإن مهمة الثوريين ليست في فرملة تطور الرأسمالية في روسيا، وهو أمر على كل حال لا يستطيعون القيام به، وبالتالي، فمهمة الثوريين هي الاعتماد على القوة الثورية الهائلة، التي تولدها الرأسمالية خلال تطورها، أي الطبقة العاملة، ومن ثمة تطوير وعيها الطبقي وتنظيمها ومساعدتها على خلق حزبها العمالي الخاص.

وقد دحض بليخانوف كذلك، المفهوم الأساسي الثاني للشعبوية، المتعلق بإنكار الدور الطليعي للبروليتاريا في النضال الثوري. لقد كان الشعبويون يعتبرون ظهور البروليتاريا في روسيا ك "**مأساة تاريخية**" في نوعها، وفي كتاباتهم يتحدثون عن "الجرح البروليتاري". لقد

بين بليخانوف بأنه بالرغم من التفوق العددي للفلاحين، وبالرغم من أن البروليتاريا أقل عددا، فإن على الثوريين أن يضعوا أملهم الرئيسي في البروليتاريا ونموها المستمر.

فلماذا البروليتاريا بالضبط؟

إن البروليتاريا رغم ضعفها العددي الحالي، فإنها الطبقة الكادحة المرتبطة بالشكل الأكثر تقدما في الاقتصاد، أي بالإنتاج الكبير، ومن ثمة فلها مستقبل كبير، وهو الأمر الذي يساعدها على النمو والتطور السياسي، وقابليتها للتنظيم بحكم شروط العمل في الإنتاج الكبير، وهي على هذا الأساس تلك الطبقة التي ليس لها ما تفقده سوى قيودها.

بالمقارنة مع البروليتاريا، فالفلاحون لا ينمون كطبقة، بل يعرفون تفككا سنة بعد أخرى، ما بين بورجوازية (الكولاك) والفلاحون الفقراء (الموجيك)، إضافة إلى تحولهم إلى البروليتاريا أو أشباه البروليتاريا، ومن جهة أخرى ليس لهم قابلية سهلة للتنظيم نظرا لتشتتهم بسبب وضعهم كملاكين صغار، ويجدون صعوبة في الالتحاق بالحركة الثورية.

لقد كان الشعبويون يزعمون أن الاشتراكية لن تتحقق عبر دكتاتورية البروليتاريا، لكن عن طريق الجماعة الفلاحية، التي كانوا يعتبرونها جنين الاشتراكية وقاعدتها، وهذا أمر غير ممكن التحقيق، فلا هم قاعدة ولا جنين للاشتراكية، لأن داخل الجماعة الفلاحية كان يهيمن الكولاك، مصاصو دماء الفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين والفلاحين الصغار. إن الملكية الجماعية للأرض التي كانت موجودة، التي يتم فيها بين حين وآخر إعادة توزيع الأرض، حسب عدد الأفواه لا يغير في الأمر شيئا، لأن من كان يستفيد من هذه الأرض هم أعضاء الجماعة، اللذين يمتلكون بهائم العمل والأدوات الزراعية والبذور، وهؤلاء هم الفلاحون الأغنياء (الكولاك) وفي هذه الظروف، فإن الفلاحين بدون حصان، والفقراء بوجه عام والفلاحين الصغار، كانوا يضطرون إلى تسليم أراضيهم للملاك ويشتغلون كمياومين.

3- وبالنسبة للأطروحة الثالثة، فقد انتقدها بليخانوف، معتبرا أنها مجرد مثالية، وأن الحقيقة ليست في جانب المثالية بل في مادية ماركس و انجلز، و هنا قام بليخانوف بعرض بعض الأطروحات الأساسية للمادية التاريخية، معتبرا أن الأبطال ليسوا هم صانعو

التاريخ، بل، إن التاريخ هو الذي يصنع البطل، و بالتالي ليس الأبطال من يخلق الشعب، بل الشعب هو من يخلق الأبطال و يساهم في تقدم التاريخ. إن الأبطال وأفراد النخبة لا يمكنهم أن يلعبوا دورا جادا في حياة المجتمع إلا في حدود معرفتهم وفهمهم الصحيح لظروف تطور المجتمع.

لقد كان لكتابات بليخانوف ونضاله ضد الشعبويين دورا في خلخلة تأثير الشعبويين وسط المثقفين الثوريين. أما الإفلاس الإيديولوجي للشعبوية، لم يكن قد تحقق بعد بالكامل، وهذه المهمة وضعها التاريخ على عاتق لينين.

بعد سحق حزب "نارودنايا فوليا" تخلى أغلب الشعبويين عن النضال الثوري ضد الحكومة القيصرية، وأصبحوا يدعون إلى التصالح والتفاهم مع الحكومة، فشعبويو سنوات الثمانينات والتسعينات أصبحوا الناطق باسم مصالح الكولاك.

لقد قامت جماعة "تحرير العمل" بصياغة مشروع برنامج الاشتراكية الديموقراطية الروسية الأول في سنة 1884، والثاني في 1887، وكانت هذه خطوة هامة على طريق بناء حزب اشتراكي ديموقراطي في روسيا، لكن الجماعة ارتكبت أخطاء كذلك في برنامجها الأول، تضمن بقايا مفاهيم شعبوية، عندما قبلت بتكتيك الإرهاب الفردي.

لم يدرك بليخانوف أن في مسار الثورة، على البروليتاريا أن تجر معها الفلاحين، وبالتالي بتحالفها مع الفلاحين، بإمكانها تحقيق الانتصار على القيصرية، ومن جهة أخرى، اعتبر بليخانوف البورجوازية اللبرالية كقوة قادرة على تقديم الدعم ولو كان هشا للثورة، بينما لم يهتم في كتاباته بالفلاحين، ومما جاء في كتاباته ما يلي:

"خارج البورجوازية والبروليتاريا لا نرى قوة اجتماعية أخرى يمكن أن تعتمد عليها عندنا، تركيبات المعارضة أو الثوريين" (بليخانوف، مجلد 3، ص 119، الطبعة الروسية).

نجد هنا بذرة المفاهيم المنشفية المستقبلية عند بليخانوف.

فلا جماعة "تحرير العمل" ولا الحلقات الماركسية في هذا الوقت كانت مرتبطة بالحركة العمالية، فنحن هنا ما زلنا في فترة ظهور النظرية الماركسية والأفكار الماركسية، ومبادئ البرنامج الاشتراكي الديموقراطي.

ففي العشرية الممتدة ما بين 1884 و1894، لم تكن الاشتراكية الديموقراطية سوى مجموعات وحلقات صغيرة غير ذات ارتباط بالحركة العمالية الجماهيرية، تماما كطفل لم يولد بعد، بل كان لا زال يتطور في أحشاء أمه.

كانت الاشتراكية الديموقراطية كما قال لينين تمر ب "سيرورة تطور رحمي". لقد قال لينين أن جماعة "تحرير العمل" لم تقم بتأسيس الاشتراكية الديموقراطية إلا نظريا، ولم تقم إلا بخطوة أولى نحو الطبقة العاملة. لقد كان على لينين أن يحل إشكالية دمج الحركة الماركسية مع الحركة العمالية في روسيا، وفي نفس الوقت تصحيح الأخطاء التي ارتكبتها جماعة "تحرير العمل".

3- الأرضية الثالثة: بدايات النشاط الثوري عند لينين، "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة في بترسبورغ"

في سنة 1887، دخل لينين جامعة كازان، و سرعان ما تم اعتقاله و طرده من الجامعة لمشاركته في الحركة الثورية للطلبة، و في كازان انتمى لينين إلى حلقة ماركسية كان ينظمها فيدوسييف، وما أن استقر لينين في سامارة، حتى شكل حوله أول حلقة ماركسية في هذه المدينة، ومنذ هذه الفترة، كان لينين يبهر بمعرفته للماركسية، ، و في نهاية 1893، سيستقر في بترسبورغ، حيث منذ تدخلاته الأولى خلق انطباعا قويا لدى الحلقات الماركسية هناك، و ذلك بمعرفته العميقة بماركس و قدرته الهائلة على تطبيق الماركسية على الوضع الاقتصادي و السياسي لروسيا المعاصرة، إيمان قوي غير قابل للتحطيم في انتصار القضية العمالية، وبمواهب تنظيمية لامعة، كل هذا جعل من لينين القائد المعترف به من طرف ماركسيي بترسبورغ.

لقد كان لينين محبوبا جدا من طرف عمال الطليعة، اللذين يشاركون في الحلقات، وفي سنة 1895، قام لينين بتجميع كل الحلقات العمالية الماركسية في بترسبورغ (حوالي 20 حلقة) وذلك في تنظيم واحد، أطلق عليه "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة"، ومن الدعاية للماركسية وسط عدد صغير من العمال المتقدمين متجمعين في حلقات الدعاية، اقترح لينين الانتقال إلى التحريض

السياسي في صفوف أوسع الجماهير العمالية، وقد كان هذا المنعطف (التحريض الجماهيري) ذو قيمة كبرى في تطور الحركة العمالية في روسيا.

نحن الآن في بداية التسعينات، حيث عرفت الصناعة تطورا هائلا، وازداد عدد العمال، وتطورت الحركة العمالية، فمن سنة 1895 إلى 1899، حوالي 220 ألف عامل دخلوا في إضراب. لقد أصبحت الحركة العمالية قوية جدا في الحياة السياسية للبلاد، الشيء الذي أكد الأطروحات الماركسية ضد الأطروحات الشعبية فيما يخص الدور الطليعي للطبقة العاملة، وقد قام "اتحاد النضال ..." بقيادة لينين بربط نضال العمال من أجل المطالب الاقتصادية بالنضال السياسي ضد القيصرية. لقد أصبح "اتحاد النضال ..." يقوم بالتربية السياسية للعمال، لقد كان هذا الاتحاد التنظيم الأول الذي حقق اندماج الاشتراكية مع الحركة العمالية، فعندما كان ينفجر إضراب في معمل ما، كان" الاتحاد .." العارف بالأوضاع الداخلية للمعمل عن طريق أعضاء الحركات، يقوم مباشرة بتوزيع المناشير و الإعلانات الاشتراكية، و عبر هذه المناشير يتم إدانة الاضطهاد و شرح كيفية دفاع العمال عن مصالحهم، و يتم عرض المطالب العمالية، ففي نهاية 1894، قام لينين بمساعد العامل بابوشكين بصياغة أول منشور تحريضي مع نداء للعمال في معمل سبيمباكينوف في بترسبورغ، و نفس الشيء تحقق في خريف 1895 خلال إضراب للعمال في مصنع تورمتون، و فد انتهى الإضراب بالنجاح، و في وقت قصير استطاع "الاتحاد ..." أن ينشر عشرات النداءات الموجهة لعمال المصانع، الشيء الذي كان يرفع من معنويات العمال، فيدركون أن وراءهم اشتراكيون يدافعون عنهم .

ومن النماذج النضالية التي قادها" الاتحاد ..." ذلك الإضراب، الذي قام به مجموعة عمال النسيج في بترسبورغ سنة 1896 بقيادة "اتحاد ..."، وكان المطلب الرئيسي هو تقليص يوم العمل، وتحت تأثير هذا الإضراب أصدرت الحكومة القيصرية قانون 2 يونيو 1897، وقبل هذا القانون لم يكن هناك أي قانون، بحيث لا وجود لحدود يوم العمل.

في دجنبر 1895، اعتقلت الحكومة القيصرية لينين، ورغم اعتقاله استمر في نضاله الثوري بإرسال النصائح والتوجيهات والكراسات والمناشير من داخل السجن، ومن أشهرها "بصدد الإضرابات" و"المنشور" وكذلك "إلى الحكومة القيصرية"، ومن السجن كذلك

كتب مشروع برنامج الحزب (كتب بالحليب بين سطور كتاب في الطب). و قد ساهم "اتحاد النضال ...ط في تجميع مجموعة من الحلقات في مدن و مناطق أخرى، ففي وسط التسعينات، نشأت منظمات ماركسية في ترانسكوكازيا و في مدينة موسكو، و في سنة 1894 تأسس "الاتحاد العمالي" في موسكو، و في نهاية التسعينات تشكل "الاتحاد الاشتراكي" في سيبيريا، و في سنوات التسعين ظهرت في إيفانوفو- فوسنسنك، و ياروسلافل، و كوسبروما مجموعات ماركسية، ستشكل فيما بعد "اتحاد الشمال للحزب الاشتراكي الديموقراطي"، و ابتداء من سنة 1895، تم تنظيم مجموعات و اتحادات اشتراكية ديموقراطية في روستوف-سوغ- دون، إيكاتيرينوسلاف، كييف، نيكولايف و تولا و سامارة و كازان و مدن أخرى.

تاريخيا، حسب لينين، شكل "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة" في بترسبورغ أول جنين جاد لحزب ثوري يعتمد على الحركة العمالية.

هكذا، شكلت تجربة لينين الثورية خلال مرحلة "اتحاد النضال " ملهما للينين في أعماله اللاحقة من أجل بناء حزب اشتراكي ديموقراطي في روسيا. وبعد اعتقال لينين ورفاقه المقربين، حصل تغيير داخل قيادة "اتحاد النضال" في بترسبورغ، فقد ظهر أناس جدد يعتبرون أنفسهم شباب ويصفون لينين ورفاقه بالشيوخ، واتبع هؤلاء الشباب خطا سياسيا خاطئا، وكانوا يروجون لفكرة أنه يجب فقط دعوة العمال إلى النضال الاقتصادي ضد الباطرونا، وأن النضال السياسي هو من اختصاص البورجوازية اللبرالية، وعليها أن تتحمل مسؤولية القيادة، وهؤلاء هم من سموا لاحقا بالاقتصادويين، وهم أول مجموعة من المتصالحين والانتهازيين.

4- الأرضية الرابعة: نضال لينين ضد الشعبوية و "الماركسية الشرعية". فكرة لينين حول تحالف الطبقة العاملة والفلاحين. أول مؤتمر للحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي بروسيا.

لقد رأينا في صفحات سابقة كيف اطلع بليخانوف بمهمة نقد الشعبوية في روسيا، لكن رغم ذلك ظلت مجموعات من الشباب والمثقفين تحمل أفكار الشعبوية وتدافع عنها، وأصبحوا يحاربون الماركسية بقوة، ويحاولون تسويد وجه الاشتراكيين الديموقراطيين،

لقد أصبحوا عرقلة في وجه انتشار الفكر الماركسي في روسيا. فجاء الدور على لينين ليتحمل المسؤولية التاريخية في دحضهم والتقليص من تأثيرهم، وهنا الحديث عن كتاب لينين الشهير: "من هم أصدقاء الشعب ..."، الذي كتبه سنة 1894. وفي حقيقة الأمر فإن شعبويي 1890 – 1900 قد تخلوا عن أي نضال ضد الحكومة القيصرية، فقد كان الشعبويون الليبراليون ينادون بالمصالحة مع الحكومة القيصرية، وكما يقول لينين:

"إنهم يفكرون ببساطة أن الحكومة إذا طالبناها بشكل جيد وطيب، بإمكانها أن تحل كل شيء من أجل الأحسن" (لينين، مجلد 1، ص 161، الطبعة الروسية).

لقد كان الشعبويون يغضون النظر عن وضعية الفلاحين الفقراء، وعن الصراع الطبقي في القرية، وكانوا يمجدون استغلاليات الكولاك، لقد أصبحوا الناطقين باسم مصالح الكولاك. أما مجلاتهم فقد كانت تقوم بحملات ضد الماركسيين، عبر تشويه مقصود لتصورات الماركسيين الروس، ويزعمون أن الماركسيين يريدون خراب البادية، ويريدون أن يقدموا كل موجيك (فلاح فقير بالروسية) إلى جحيم المعمل، وقد رد لينين على ذلك بأن الوضع ليس برغبة الماركسيين بل نتيجة السير الحقيقي لتطور الرأسمالية في روسيا، الذي يزيد من أعداد البروليتاريا، والحال أن البروليتاريا ستكون حافرة قبر النظام الرأسمالي.

لقد أبرز لينين أن أصدقاء الشعب الحقيقيين هم اللذين يرغبون في القضاء على الاضطهاد الرأسمالي، وعلى الملاكين العقاريين الكبار، والقضاء على القيصرية، وهؤلاء ليسوا الشعبويين بل الماركسيين.

وفي كتابه "من هم أصدقاء الشعب ..." تكلم لينين لأول مرة عن التحالف الثوري العمالي الفلاحي، كوسيلة رئيسية لقلب القيصرية والملاكين العقاريين والبورجوازية. وعبر كتابات مختلفة، وجه لينين نقده لوسائل النضال السياسي عند الشعبويين خاصة مجموعة "نارودنا فوليا" و من تبعهم من الاشتراكيين الثورين حول الإرهاب الفردي كتكتيك، و قد بين لينين أن هذا التكتيك مضر بالحركة الثورية، لأنه يبدل نضال الجماهير بنضال الأبطال المعزولين، و من ثمة غياب الإيمان بالحركة الثورية الشعبية، و سطر لينين من

خلال كتابه الأهداف الأساسية للماركسيين الروس، و المتمثلة في تنظيم حزب عمالي اشتراكي عن طريق تجميع الحلقات الماركسية، و أظهر لينين أن الطبقة العاملة في تحالف مع الفلاحين ستسقط القيصرية، ثم إن البروليتاريا الروسية المتحالفة مع الجماهير الكادحة و المستغلة ستأخذ إلى جانب بروليتاريا بلدانا أخرى الطريق المباشر للنضال السياسي المفتوح نحو انتصار الثورة الشيوعية.

لقد كانت نتائج معركة لينين في صالح لينين، حيث انتهى الأمر بالشعبويين إلى الإفلاس الإيديولوجي النهائي.

إن المعركة الثانية التي خاضها لينين كانت ضد ما كان يسمى ب "الماركسية الشرعية"، و هو ما يطلق على ما سمي ب "رفاق الطريق"، اللذين يلتصقون في بعض الأحيان بالحركات الاجتماعية الكبيرة، فعندما تطورت الماركسية في روسيا بدأ العديد من المثقفين البورجوازيين يلبسون لباس الماركسية، و كانوا يطبعون و ينشرون مقالاتهم في المجلات و الجرائد القانونية، و لذلك سموا بالماركسيين الشرعيين، لقد كانوا على طريقتهم الخاصة يناضلون ضد الشعبوية، لكنهم كانوا يريدون توظيف هذا النضال و علم الماركسية لاستعماله في ربط الحركة العمالية بالمصالح البورجوازية .و فيما يخص تعاملهم مع الماركسية فقد رفضوا ما هو أساسي فيها أي نظرية الثورة البروليتارية و دكتاتورية البروليتاريا، و قد كان أشهر زعمائهم هو بيوتر ستروفي يمدح البورجوازية، و بدل الدعوة إلى النضال الثوري ضد الرأسمالية كان يدعو إلى "الاعتراف بالنقص في الثقافة و التعلم من مدرسة الرأسمالية".

أمام هذين الخصمين أي الشعبويين والماركسيين الشرعيين، استعمل لينين الماركسيين الشرعيين في مواجهة الشعبويين، ولكن في نفس الوقت وجه لهم نقدا صارما يفضح عمق لبراليتهم البورجوازية.

سيصبح الكثير من رفاق الطريق هؤلاء في حزب الكاديت، الحزب الرئيسي للبورجوازية الروسية، وخلال الحرب الأهلية كانوا أعضاء في الحرس الأبيض. و من نتائج هذه المعركة اللينينية ستظهر تطورات جديدة، فبالإضافة إلى "اتحادات النضال .." في بترسبورغ و موسكو و كييف، تشكلت منظمات اشتراكية ديموقراطية في المناطق القومية النائية في غرب روسيا، و حوالي 1900، تشكلت المنظمات الاشتراكية الليتوانية، و في أكتوبر 1897 تشكل في الأقاليم الغربية في روسيا "الاتحاد العام الاشتراكي الديموقراطي اليهودي" (البوند).

وفي سنة 1898 ستقوم العديد من "اتحادات النضال" في بترسبورغ و موسكو و كييف و إيكاترينو سلاف، إضافة إلى البوند بمحاولة أولى للتجمع في حزب عمالي اشتراكي ديموقراطي، و لأجل ذلك نظموا في مدينة منسك في مارس 1898 أول مؤتمر للحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي الروسي، و قد حضر هذا المؤتمر تسعة أعضاء. لم يشارك لينين في المؤتمر لأنه كان منفيا في سيبيريا، أما اللجنة المركزية المنتخبة في المؤتمر فقد تم اعتقالها مباشرة بعد المؤتمر، و قد أصدر المؤتمر بيانا ناقصا من عدة أوجه، فلم يشر إلى ضرورة أن تأخذ البروليتاريا السلطة السياسية، و لم يقل شيئا حول هيمنة البروليتاريا، و لم يتكلم عن حلفاء البروليتاريا في نضالها ضد القيصرية و البورجوازية، و الحسنة الوحيدة للمؤتمر هو إعلانه عن تأسيس الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي لروسيا، و هو شيء مهم بالنسبة للدعاية الثورية، و في حقيقة الأمر، فرغم هذا المؤتمر لم يتشكل بعد الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي، فلم يقم بتجميع الحلقات و المنظمات الماركسية، و لم يجمعهم في روابط تنظيمية. لم يكن هناك خط واحد في المنظمات المحلية، ولا برنامج ولا قوانين الحزب، ولم تكن هناك قيادة منبثقة من مركز واحد، ولهذه الأسباب وأخرى ازداد الغموض الإيديولوجي في المنظمات المحلية، مما ساعد على انتشار التيار الانتهازي الاقتصادوي وسط الحركة العمالية، وهنا سيظهر العمل الجبار والمكثف الذي قام به لينين وجريدة الإسكرا، التي أسسها في هزم تذبذبات الانتهازية، وإعداد الظروف من أجل تشكيل الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي الروسي.

5- الأرضية الخامسة: نضال لينين ضد الاقتصادوية. لينين يؤسس جريدة الإسكرا

رغم التواجد في المنفى والاعتقال واصل لينين نضاله المستميت، فهناك كتب كتابه العلمي **"تطور الرأسمالية في روسيا"** الكتاب الذي ساهم في القضاء المبرم على الشعبوية، وأضاف لينين كراسته الشهيرة **"مهام الاشتراكيين الديموقراطيين الروس"**، ومما كان يشغل باله كثيرا مسألة الاقتصادويين، فقد كانت الاقتصادوية بالنسبة له تشكل نواة مركزية لسياسة التصالح والانتهازية، وان انتصارها وسط الحركة العمالية يعني دمار الحركة الثورية للبروليتاريا وهزيمة الماركسية.

*** وفيما يلي أهم أفكار الاقتصادويين:**

يزعم الاقتصادويون أن على العمال فقط أن يخوضوا النضال الاقتصادي (النقابي) أما النضال السياسي فيجب تركه للبورجوازية اللبرالية، وعلى العمال أن يساندوها، وقد اعتبر لينين هذه الدعاية إنكارا للماركسية، ولضرورة أن يكون للطبقة العاملة حزبها السياسي المستقل، بمعنى آخر، تحويل الطبقة العاملة إلى ملحق للبورجوازية.

في سنة 1899، أصدر الاقتصادويون بيانا يعلنون فيه ضرورة التخلي عن بناء الحزب البروليتاري المستقل، والتخلي عن المطالب السياسية المستقلة للطبقة العاملة. وبمجرد أن سمع لينين بالبيان حتى قام بالدعوة إلى ندوة للمبعدين الماركسيين، خاصة القريبين من مكان تواجده، وذلك لصياغة احتجاج ضد ذلك البيان الشهير، هذا الاحتجاج الذي وقعه لينين و17 رفيقا، إن هذا الاحتجاج تم توزيعه داخل المنظمات الماركسية في كل روسيا، الشيء الذي كان له دور كبير في تطور الفكر الماركسي والحزب في روسيا، لقد ناضل لينين ضد الاقتصادويين، في نفس الوقت، خاض نضالا ضد الانتهازية الدولية، التي يمثلها بيرشتاين.

في بداية 1900، عاد لينين والأعضاء الآخرون ب "اتحاد النضال ..." إلى روسيا عائدين من سيبيريا. لقد كان لينين قد قام ببلورة مشروع جريدة غير شرعية لكل روسيا، فالعديد من الحلقات الصغيرة والمنظمات الماركسية الموجودة آنذاك لم يكن يجمعها شيء، ومن ثمة، فوحدها الجريدة بإمكانها ربط المنظمات الماركسية، وتهيئ خلق حزب حقيقي، ولاستحالة إنشاء جريدة داخل روسيا القيصرية، قرر لينين إصدارها في الخارج، حيث يتم طبعها في ورق رقيق وصلب يتم إدخالها إلى روسيا، ثم يتم إعادة طبعها في مطابع سرية في باكو و كشنيف وفي سيبيريا.

في خريف 1900، توجه لينين إلى الخارج للتفاهم مع جماعة "تحرير العمل" حول إصدار الجريدة السياسية، حيث سيتم التفاهم حول ذلك. قبل وصوله إلى الخارج، قام لينين بإنضاج أفكاره حول الجريدة، و درس تفاصيل ذلك، هكذا نظم سلسلة ندوات في أوقاو بيسكوف و موسكو و بترسبورغ، و تفاهم لينين مع رفاقه في موضوع الكود من أجل استعماله في المراسلة السرية، و كذلك في موضوع العناوين لإرسال أدبيات الحزب، كما هيأ رفاقه لفهم مخطط النضال المستقبلي، و منذ ذلك الحين أدركت الحكومة القيصرية أن أمامها شخص خطير جدا و هو لينين، لقد كتب زوباطوف عميل الأوخرانا القيصرية في مراسلة سرية : **"اليوم ليس هناك من هو أكبر من**

أوليانوف في الثورة"، و من تم اعتبر أنه من المناسب تنظيم اغتياله، و في الخارج حصل تفاهم مع جماعة "تحرير العمل" أي بليخانوف، أكسلرود، فيرازاسوليتش لإصدار مشترك لجريدة "إسكرا"، أما مخطط النشر فقد أنجزه لينين بالكامل. هكذا، في دجنبر 1900، ظهر العدد الأول لجريدة "إسكرا" (الشرارة) الذي كتب تحت عنوانه هذا الشعار: "**من الشرارة يولد اللهيب**"، ذلك الشعار الذي استوحاه لينين من جواب الدسمبريين (ثوريون روس انبثقوا من النبالة، قاموا في دجنبر 1825 بالتمرد ضد الأوتوقراطية و القنانة، و جوابا على الشاعر بوشكين، الذي وجه لهم رسالة يحييهم و هم في سيبيريا حيث كانوا يقبعون).

بطبيعة الحال أيقظت "إسكرا" اللهيب الثوري الكبير، الذي التهم الملكية القيصرية والنبلاء وكبار الملاكين العقاريين، بالإضافة إلى سلطة البورجوازية.

6- الأرضية السادسة: تشكل الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي لروسيا. ظهور التيارين المنشفي والبلشفي داخل الحزب 1901 – 1904

1-انطلاق الحركة الثورية في روسيا 1901 – 1904:

في نهاية القرن 19، انفجرت في أوروبا أزمة صناعية ستنعكس مبكرا على روسيا، ففي سنوات الأزمة من 1900 إلى 1903، حوالي 3000 مؤسسة كبيرة وصغيرة أغلقت أبوابها، فوجد أكثر من 100 ألف عامل أنفسهم بدون عمل، بينما الباقون في العمل عرفوا انخفاضا كبيرا في أجورهم، كما انتزعت البورجوازية من العمال تلك المكتسبات التي تحققت عبر إضرابات اقتصادية عنيدة. و رغم الأزمة الصناعية و البطالة لم تضعف الحركة العمالية، فتطورت نضالات العمال، التي أخذت أكثر فأكثر طابعا ثوريا، فانتقلوا من الإضرابات الاقتصادية إلى الإضرابات السياسية، ثم خرجوا في المظاهرات مبلورين مطالب سياسية من أجل الحريات الديموقراطية، ثم أطلقوا شعار "**لتسقط الأوتوقراطية القيصرية**" و تطورت المواجهات بين العمال و الفرق العسكرية للنظام القيصري، حيث استعمل العمال الحجارة و القضبان الحديدية للدفاع عن أنفسهم، لكن سيتم تكسير مقاومتهم، فتبع ذلك اعتقال 800 عامل، جزء

كبير منهم ألقي به في السجون و المعتقلات. لكن كل ذلك ترك تعاطفا كبيرا وسط العمال. وفي سنة 1902، انطلق إضراب كبير في روستوف – سوغ- دون، وكان المضربون الأوائل هم عمال السكك الحديدية، والتحق بهم مباشرة عمال العديد من المعامل، وخلال أيام عديدة انعقدت خارج المدينة تجمعات ضمت حوالي 30 ألف عامل، وفي هذه التجمعات أخذ الخطباء الكلمة، وقرئت بيانات وإعلانات الاشتراكيين الديموقراطيين، ولم تكف قوات الشرطة و الكوزاك في تفريق آلاف العمال، و قتلت الشرطة العديد من العمال، و تلا ذلك مظاهرات جماهيرية كبيرة خلال جنازاتهم، و لم يكسر الإضراب إلا بعد دخول القوات المسلحة القيصرية. إن إضراب عمال روستوف قادته لجنة الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي لروسيا في منطقة الدون.

انتشرت الإضرابات أيضا سنة 1903، ففي خلال هذه السنة انفجرت إضرابات سياسية جماهيرية في الجنوب و وصلت إلى كرانسكوكازيا في مدن باكو و تيفليس و باتوم، و في المدن الكبرى في أوكرانيا مثل أوديسا و كييف، و نجد الآن أنه أصبحت أكثر فأكثر اللجان الاشتراكية الديموقراطية هي التي تقود النضال السياسي للعمال. هكذا، وقفت الطبقة العاملة في روسيا من أجل النضال الثوري ضد النظام القيصري، وانتقلت عدوى النضالات والإضرابات إلى الفلاحين، ففي ربيع وصيف 1902 في أوكرانيا، مناطق مولطافا و خاركوف، و في أماكن أخرى، أطلق الفلاحون حركة واسعة أحرقوا فيها أراضي الملاكين العقاريين و استولوا على أراضيهم و قتلوا منهم العديد. لقد تم قمع الحركة عبر إطلاق النار والاعتقالات وإلقاء القادة المنظمين في السجون.

لقد أظهرت الحركة الثورية للعمال والفلاحين أن الثورة نضجت، وأنها قريبة، وتحت تأثير هذه الأحداث، انفجرت الحركة الطلابية الروسية، وتم إغلاق الجامعات ورمي مئات الطلبة في السجون، وهكذا، كجواب على ذلك، أغلقت مؤسسات التعليم العالي أبوابها، ونظم إضراب عام ضم 30 ألف طالب، وقد كان للقمع الذي تعرض له الطلبة تأثيره على البورجوازيين الليبيراليين وحتى بعض النبلاء، فتصاعدت الاحتجاجات ضد الحكومة القيصرية. إن هذه الحركة اللبرالية ستؤدي إلى تأسيس جماعة "التحرير"، التي ستشكل النواة الرئيسية الأساسية للحزب البورجوازي في روسيا أي الحزب الدستوري الديموقراطي (الكاديت).

ظلت حركة العمال في تطور مستمر، و تعرضت لقمع شرس من المؤسسات القمعية للنظام، و حاولت الأوخرانا تأسيس منظمات عمالية تحت وصاية الدرك و البوليس، أطلق عليها المناضلون اسم "المنظمات الاشتراكية البوليسية" و كذلك منظمات زوباطوف، وقد كان الهدف من هذا التأسيس إقناع العمال بعدم التعاطي للسياسة و لا القيام بالثورة، بل أن القيصر في جانب العمال، و أن الحكومة مستعدة لمساعدتهم من أجل تحقيق مطالبهم الاقتصادية، و اقتداء بالنموذج الزوباطوفي، تم في سنة 1904 تأسيس من طرف البوب غابون المنظمة المسماة "**اتحاد عمال المعامل الروسية في بترسبورغ**"، لكن هذه المحاولات كلها ستفشل أمام زخم الحركة العمالية التي كنست هذه المنظمات البوليسية.

2-مخطط لينين من أجل بناء حزب ماركسي. انتهازية الاقتصادويين. نضال "إسكرا" من أجل مخطط لينين. كتاب لينين "ما العمل؟": الأسس الإيديولوجية للحزب الماركسي

رغم المحاولة الأولى لبناء الحزب، فلم يتشكل حزب اشتراكي ديموقراطي في روسيا، والحال أنه بينما عرفت سنوات 1884 – 1894 انتصارا على الشعبوية وإعدادا إيديولوجيا للاشتراكية الديموقراطية، بل وأنه في سنوات 1894 كانت هناك محاولة لتشكيل حزب اشتراكي ديموقراطي، أما في الفترة الممتدة من 1898 فقد عرفت تزايدا في الغموض الإيديولوجي والتنظيمي.

إن انتصار الماركسية على الشعبوية، إضافة إلى تزايد النضال الثوري للطبقة العاملة، أعطيا الحق للماركسيين فازداد تعاطف الشبيبة الثورية مع الماركسية، فأصبحت الماركسية موضة، والنتيجة أنه داخل المنظمات الماركسية وصلت أعداد كبيرة من الشباب المثقفين الثوريين غير ملمين بالنظرية، وبدون خبرة في الميدان السياسي والتنظيمي ذوي ماركسية سطحية استمدوها من الكتابات الانتهازية للماركسيين الشرعيين، التي كانت تملأ الصحافة. كل هذا ساهم في تخفيض المستوى النظري والسياسي للمنظمات الماركسية، وأدخل إليها العقلية الانتهازية للماركسيين الشرعيين، فانتشر التذبذب الإيديولوجي والسياسي والغموض في مجال التنظيم.

إن تصاعد الحركة العمالية وظهور ملامح الثورة، أصبح يفرض ضرورة بناء حزب واحد للطبقة العاملة، حزب ممركز قادر على قيادة الحركة الثورية، لكن التنظيمات المحلية واللجان والمجموعات والحلقات المحلية، كانت في وضع مأساوي، فعدم اتفاقهم و وحدتهم في الميدان التنظيمي، و خلافاتهم الإيديولوجية، جعلت من مهمة خلق الحزب مهمة صعبة بشكل كبير. إن المشكلة لم تكن في الأساس تعود إلى القمع، بل لكون جزء كبير من اللجان المحلية ومناضلوها لم يكونوا مستعدين لمعرفة أي شيء يخرج عن نطاق عملهم المحلي، فقد ألفوا الشتات والتجزئة والغموض الإيديولوجي، وكانوا يعتقدون أنه بالإمكان التخلي عن فكرة الحزب الواحد الممركز.

هكذا، ولخلق حزب ممركز، كان لزاما هزم هذا التأخر وهذا المستوى من الوعي والتنظيم، بل الأخطر من هذا، كانت هناك جماعة لا باس بها تمتلك جرائد مثل "رابوتشايا ميسل" (الفكر العمال) في روسيا، و "رابوتسي – ديلو" (القضية العمالية) في الخارج. هؤلاء وأولئك، كانوا يبررون نظريا التفتيت التنظيمي والغموض الإيديولوجي للحزب، و بل واعتبروا أن بناء حزب واحد ممركز للطبقة العاملة هو أمر غير مفيد.

-لأجل خلق حزب سياسي واحد للبروليتاريا، كان لابد من هزم الاقتصادويين، ومرة أخرى ألقى التاريخ على لينين مهمة القيام بذلك.

كانت الخلافات كثيرة حول معرفة من أين نبدأ من أجل بناء حزب واحد للطبقة العاملة:

-كان البعض يعتقد أنه لبناء الحزب، يكفي أن يعقد المؤتمر الثاني، الذي سيجمع المنظمات المحلية فيتأسس الحزب.

-أما رأي لينين فقد كان يعارض ذلك، لكونه، كان يرى أنه قبل جمع المؤتمر، كان لازما أن يتم تحديد الأهداف ومهام الحزب بوضوح، أي معرفة أي حزب نريد، أي أنه يجب التميز إيديولوجيا عن الاقتصادويين، وكذلك القول بالحزب بصدق وصراحة أن هناك رأيان مختلفان حول أهداف ومهام الحزب:

***رأي الاقتصادويين ورأي الاشتراكيين- الديموقراطيين.**

كان على الاشتراكيين الديموقراطيين الثوريين أن يقوموا بدعاية واسعة لمواقفهم كما يفعل الاقتصادويون للدفاع عن آرائهم. كان يجب كذلك السماح للمنظمات المحلية بالاختيار بشكل واضح بين الموقفين، ويقول لينين في هذا الصدد:

"قبل أن نتحد، ومن أجل أن نتحد، علينا أولا أن نميز أنفسنا بشكل حازم وحر".

***أفكار لينين حول الجريدة:**

يرى لينين أنه من أجل خلق حزب سياسي للطبقة العاملة، يجب البدء بتأسيس جريدة كفاحية لعموم روسيا، تقوم بالدعاية والتحريض لصالح المفاهيم والتصورات الاشتراكية- الديموقراطية: خلق الجريدة هو الخطوة الأولى. ويقول لينين في مقالته الشهيرة "**من أين نبدأ؟**"، حيث سطر خطوة دقيقة لبناء الحزب، خطة سيطورها في كتابه الشهير "ما العمل؟".

"من أجل خلق حزب الطبقة العاملة، يجب أن يكون الانطلاق لنشاطنا والخطوة العملية الأولى نحو خلق التنظيم المرغوب فيه، فإن الخيط الأساسي الرابط، الذي نستطيع عن طريق الإمساك به، تطوير وتعميق وتوسيع هذا التنظيم بدون توقف: يجب أن يكون تأسيس جريدة سياسية لعامة روسيا، فبدون هذه الجريدة، فكل دعاية وتحريض منهجي متنوع ومخلص للمبادئ هو أمر مستحيل".

إن فكرة لينين إذن، هي أن الجريدة لا تقوم بالتجميع الإيديولوجي للحزب، بل كذلك تجميع المنظمات المحلية داخل الحزب. إن شبكة المتعاونين ومراسلي الجريدة ممثلي التنظيمات المحلية، ستكون العمود الفقري، الذي على أساسه يتجمع الحزب، ويرى لينين أن:

"ليست الجريدة داعية، محرض جماعي فقط، بل كذلك منظم جماعي. إن شبكة العملاء هذه، ستكون بمثابة الهيكل العظمي للتنظيم الذي نحتاجه بالضبط : كبيرة بما يكفي لتعم البلد كله، واسعة بما يكفي و متنوعة، لتحقيق تقسيم عمل دقيق و مفصل، حازمة بما يكفي لتعرف، في كل الظروف ، و مهما كانت المنعطفات و المفاجآت كيف تفعل عملها بدون خلل ، مرنة بما يكفي لتعرف، من جهة، تلافي المعركة في ميدان مفتوح ضد عدو متفوق قام بتجميع كل قواه في نقطة واحدة، و من جهة أخرى، معرفة كيفية الاستفادة من غياب المرونة لدى هذا العدو ، و مهاجمته في المكان و اللحظة التي لا ينتظرها" (لينين، مجلد 4، ص 12، الطبعة الروسية) ("ما العمل؟") .

لقد قامت "إسكرا" بهذا الدور، عندما أصبحت الجريدة السياسية الموجهة لعامة روسيا، وقامت بتهيئة وإعداد تجمع الحزب في الميدان الإيديولوجي والتنظيمي.

<u>فيما يخص بنية الحزب نفسه وتكوينه، اعتبر لينين أنه يجب أن يتشكل من عنصرين تكوينيين:</u>

ا- إطار محدود وضيق، من مناضلين قارين، يتشكلون أساسا من المحترفين الثوريين، بمعنى آخر من مناضلين أحرار من كل انشغالات تهم عملهم داخل الحزب، يتوفرون على الحد الأدنى الضروري من المعارف النظرية والتجربة السياسية وعادة التنظيم، وفن النضال ضد البوليس القيصري، أي فن الإفلات من متابعاته.

ب- من شبكة واسعة من التنظيمات المحيطة بالحزب، تضم عدد كبيرا من المنتسبين، محاطين بتعاطف ودعم مئات الآلاف من العمال.

يقول لينين:

"أؤكد:

1- لا يمكن أن تكون هناك حركة ثورية صلبة بدون تنظيم للقادة قار، ويضمن استمرارية العمل.
2- وبقدر ما يتم جر الجماهير بعدد كبير وعفوي في النضال ... يكون ملزما أكثر وضروريا أن تكون منظمة من ذلك النوع، بقدر ما تكون هذه الأخيرة صلبة.
3- يجب أن تتشكل هذه المنظمة بشكل رئيسي من أناس مهنتهم النشاط الثوري.
4- بأنه، وفي بلد أوتوقراطي، وبقدر ما نحد من أعداد هذا التنظيم، لحد ألا نقبل إلا ثوريين محترفين، تعلموا النضال ضد البوليس السياسي، بقدر ما يكون من الصعب الإمساك بمثل هذه المنظمة و
5- بقدر ما يكون العدد كبيرا يضم العمال وعناصر من طبقات اجتماعية أخرى، اللذين سيساهمون في الحركة، ويناضلون بشكل نشيط.

(لينين، الأعمال المختارة، مجلد 1، ص 276)

وفيما يخص **طابع الحزب**، الذي يجب خلقه، ودوره تجاه الطبقة العاملة، وكذلك أهدافه ومهامه، اعتبر لينين أن الحزب يجب أن يكون طليعة الطبقة العاملة، وأن يكون القوة القائدة للحركة العمالية، قوة موحدة (بكسر الحاء)، وموجهة لنضال طبقة البروليتاريا.

الهدف النهائي للحزب:

القضاء على الرأسمالية وبناء الاشتراكية.

الهدف المباشر:

قلب النظام القيصري وبناء نظام ديموقراطي، وبما أنه من المستحيل قلب الرأسمالية بدون قلب مسبق للقيصرية، فإن المهمة الأساسية للحزب في هذه اللحظة هو دفع الطبقة العاملة والشعب بكامله من أجل النضال ضد القيصرية، أي إطلاق الحركة الثورية للشعب ضد النظام القيصري وإسقاطه، باعتباره عائقا أوليا وجادا في طريق الاشتراكية.

يقول لينين:

"لقد ألقى التاريخ على عاتقنا الآن مهمة مباشرة، الأكثر ثورية من كل المهام المباشرة للبروليتاريا في كل البلدان.

إن إنجاز هذه المهمة وتحطيم هذا الحصن الأكثر قوة، ليس فقط بالنسبة للرجعية الأوروبية، بل بالنسبة كذلك للرجعية الأسيوية. إن هذا يجعل من البروليتاريا الروسية طليعة البروليتارية الثورية العالمية" (نفس المرجع السابق، ص 195).

كان هذا هو مخطط لينين من أجل خلق حزب الطبقة العاملة في ظروف روسيا القيصرية الأوتوقراطية.

في المعركة الحاسمة ضد الاقتصادوية سيلعب كتاب **"ما العمل؟"** دورا كبيرا في هزم هذا التيار إلى الحد الذي بعد نشره في مارس 1902، وصولا إلى المؤتمر الثاني للحزب، لم يعد هناك مواقف إيديولوجية للاقتصادويين، لحد أن كلمة اقتصادوي أصبحت سبة داخل الحزب. لقد كانت هزيمة إيديولوجية شاملة للاقتصادوية، هزيمة للإيديولوجية الانتهازية والذيلية والعفوية.

إن قيمة هذا الكتاب لا تعود فقط إلى دوره في هزم الاقتصادوية، بل كذلك لإسهامه الكبير في تطوير الفكر الماركسي:

1- لينين هو الأول في تاريخ الفكر الماركسي الذي قام بتعرية جدور وأصول الإيديولوجية الانتهازية، حيث بين أنها تعود قبل كل شيء إلى الانبطاح أمام عفوية الحركة العمالية، والتنقيص من أهمية الوعي الاشتراكي في هذه الحركة.
2- لقد رفع لينين عاليا من أهمية النظرية والعنصر الواعي داخل الحزب، الذي، باعتباره قوة، يقود الحركة العمالية العفوية ويبصمها بالروح الثورية.
3- لقد قام لينين بتقديم المبررات الضرورية لقيام الحزب الماركسي، باعتباره اندماجا بين الاشتراكية والحركة العمالية.
4- قدم لينين بشكل عبقري تحليلا للأسس الإيديولوجية للحزب الماركسي:

← إن المبادئ النظرية التي تم تطويرها في كتاب "ما العمل؟" هي التي شكلت لاحقا أساس إيديولوجية الحزب البلشفي.

لقد كانت المهمة الأساسية ل "إسكرا" هي بلورة مشروع برنامج الحزب (برنامج الحزب العمالي)، وعموما عرض مركز ومختصر علمي للأهداف والمهام التي يطرحها نضال الطبقة العاملة.

إن البرنامج يحدد الهدف النهائي للحركة الثورية للبروليتاريا، كما يحدد المطالب التي يناضل الحزب من أجلها في طريقه نحو هذا الهدف.

خلال النقاش من أجل صياغة هذا المشروع، ظهرت خلافات داخل هيئة تحرير "إسكرا" بين لينين و بليخانوف و باقي أعضاء الهيئة، استطاعت الهيئة التغلب عليه مؤقتا، ذلك أن **لينين استطاع أن يدخل نقطة هامة في البرنامج حول دكتاتورية البروليتاريا، و حول الدور القائد للطبقة العاملة في الثورة**.

وفيما يخص **البرنامج الزراعي**، كان لينين هو من قام بصياغته بالكامل، وظهر خلاف كذلك في مسألة تأميم الأرض بين لينين و بليخانوف.

7- الأرضية السابعة: المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي – الديموقراطي لروسيا. تبني البرنامج والقانون الأساسي للحزب. خلق حزب واحد. الخلافات في المؤتمر وظهور تيارين: البلاشفة و المناشفة داخل الحزب

في الفترة الممتدة من تأسيس الجريدة إلى حدود انعقاد المؤتمر الثاني، انتصرت المبادئ اللينينية ومشروع "إسكرا" التنظيمي، واستطاع توجه "إسكرا" أن ينتصر داخل المنظمات الاشتراكية – الديموقراطية في روسيا. هكذا إذن، تهيأت ظروف انعقاد المؤتمر الثاني.

في 17 (30) يوليوز 1903، افتتح المؤتمر الثاني للحزب "العمالي الاشتراكي – الديموقراطي لروسيا"، الذي انعقد في الخارج في ظروف السرية، وابتدأ المؤتمر في بروكسيل، لكن البوليس والشرطة البلجيكية دعت المندوبين إلى مغادرة بلجيكا، فانتقل المؤتمر إلى لندن، وقد حضر المؤتمر 43 مندوبا يمثلون 26 منظمة، فكل لجنة كان لها الحق في إرسال مندوبين، وبعضها أرسل واحدا فقط. هكذا، كان

43 مندوبا يتوفرون على 51 صوتا معدودا. لقد كانت مهمة المؤتمر الأساسية خلق حزب حقيقي على أساس مبادئ وأسس التنظيم التي بلورتها "إسكرا".

لقد كان تركيب المؤتمر متنافرا، فرغم هزيمتهم، استطاع الاقتصادويون، بلباس جديد، أن يسربوا بعضا من مندوبيهم، بينما لم يكن "البونديون" يتميزون عن الاقتصادويين إلا في الكلام، وكانوا اقتصادويين في الحقيقة.

هكذا ضم المؤتمر كلا من أنصار "إسكرا" وخصومها، وكان أنصار "إسكرا" يشكلون 33 مندوبا، أي الأغلبية، إضافة إلى أن كل من كانوا يسمون بالإسكريين، كان بعضهم ليس بإسكري حقيقي، وانقسم المؤتمر إلى عدة مجموعات. أنصار لينين أو اللذين كانوا يسمون بالإسكريين الحازمين، وكان لهم 24 صوتا، بينما كان لدى مارتوف، أو ما يسمون بالإسكريين غير المستقرين تسعة أصوات، وجزء من المندوبين كان يتأرجح بين "إسكرا" وخصومها، ويضم 10 أصوات مشكلا الوسط، أما خصوم "إسكرا" فكان لهم 8 صوتا، 3 للاقتصادوين و 5 للبونديين.

لقد قام لينين بدور كبير من أجل انتصار خط "إسكرا"، وكان النقاش حادا حول مسألة تبني البرنامج، وقد أثارت مسألة دكتاتورية البروليتاريا معارضة الاتجاه الانتهازي في المؤتمر، كما قضايا أخرى في البرنامج. وقد برر الانتهازيون رفضهم لدكتاتورية البروليتاريا باعتبار أن العديد من الأحزاب الاشتراكية – الديموقراطية في الخارج لا يستعملون هذا المصطلح في برنامجهم، كما رفضوا إدخال المطالب المتعلقة بالمسألة الفلاحية. لقد كان الانتهازيون لا يريدون الثورة، ومن هنا إبعادهم لحليف الطبقة العاملة: الفلاحون، التي كانوا يكنون لها العداء، أما مندوبو البند والاشتراكيون – الديموقراطيون البولونيون فقد ناهضوا حق الأمم في تقرير مصيرها، وبالنسبة للينين، فإن رفض هذا المبدأ كان يعني القطيعة مع الأممية البروليتارية، وفي الأخير صادق المؤتمر على برنامج "إسكرا".

لقد تضمن البرنامج جزءان: برنامج للحد الأقصى وبرنامجا للحد الأدنى:

-**برنامج الحد الأقصى**: الثورة الاشتراكية، إسقاط سلطة الرأسماليين، إقامة دكتاتورية البروليتاريا.

-**برنامج الحد الأدنى**: حدد المهام المباشرة للحزب، أي التي تسبق دكتاتورية البروليتاريا، وإسقاط النظام الرأسمالي، وهي إسقاط النظام الأوتوقراطي القيصري، وبناء نظام جمهوري ديموقراطي، تحديد ساعات العمل في ثماني ساعات، القضاء على بقايا القنانة في البادية، إعادة توزيع الأراضي على الفلاحين التي انتزعت منهم من طرف الملاكين العقاريين. غير البلاشفة لاحقا مطلب إعادة توزيع الأراضي بمطلب انتزاع كل الأراضي الإقطاعية، وسيظل هذا البرنامج إلى حدود المؤتمر الثامن، بعد انتصار الثورة البروليتارية فتم تبني برنامجا جديدا.

***الخلاف حول قوانين الحزب.**

أثار الفصل الأول من القوانين حول عضوية الحزب خلافات عنيفة. من يكون عضوا في الحزب، وكيف يكون تكوين الحزب، وماذا يكون الحزب في مجال التنظيم:

كل منظم أو شيء ما بدون شكل.

كانت هذه هي الأسئلة التي أثارها الفصل الأول من القوانين.

لقد تصارعت فرمولتان، فرمولة لينين التي ساندها بليخانوف و الإسكريون الحازمون، و فرمولة مارتوف التي ساندها أكسلرود و زاسوليتش و الإسكريون غير المستقرين و تروتسكي، وكل العناصر الانتهازية في الحزب.

1- كانت فرمولة مارتوف تعتبر الاعتراف ببرنامج الحزب والمساندة المادية كذلك كشروط ضرورية للانتماء للحزب، لكنها ترفض شرط الانتماء إلى إحدى تنظيماته من أجل الانتماء للحزب، وبالتالي بإمكان عضو الحزب ألا يكون عضوا في إحدى تنظيماته.

2- كان لينين ينظر إلى الحزب كفصيل منظم، حيث لا يعطي الأعضاء لأنفسهم العضوية فيه، بل يقبلون في الحزب عن طريق إحدى تنظيماته، وبالتالي يخضعون لانضباط الحزب، وكان مارتوف ينظر بعكس ذلك.

يفتح تصور مارتوف الباب واسعا للعناصر المتذبذبة غير البروليتارية.

عشية الثورة الديموقراطية البورجوازية كان العديد من المثقفين البورجوازيين يظهرون تعاطفهم مع الثورة، بل وفي بعض الأحيان يقدمون بعض الخدمات للحزب، لكن هؤلاء لا ينتمون إلى أي تنظيم حزبي (اشتراكي – ديموقراطي) ولا يخضعون لانضباط الحزب، ولا ينجزون المهام المحددة من طرف هذا الأخير، وبالتالي لا يعرضون أنفسهم إلى المخاطر التي تنتج عن إنجاز هذه المهام. إن هؤلاء هم من يريد مارتوف وأصدقاؤه أن يكونوا أعضاء في الحزب، وبالتالي إعطاؤهم الحق وإمكانية التأثير على الحزب، وذهب المناشفة بعيدا في طرحهم حتى أعطوا صفة عضو الحزب لكل من يخوض إضرابا.

الخلاصة، فبدل حزب مونولوتيكي مكافح وذو أشكال تنظيمية واضحة، يريد أنصار مارتوف حزبا غامض الملامح والحدود، وبدون شكل ليس بإمكانه أن يكون حزبا مكافحا، وفي هذه النقطة تخلى الإسكريون غير المستقرين عن الإسكريين الحازمين وتحالفوا مع الوسط مما أعطى الأغلبية لمارتوف في هذا الموضوع، **وجاء التصويت على الشكل التالي: 28 صوتا ضد 22 صوتا وامتناع واحد.**

تبنى المؤتمر الفصل الأول للقوانين كما بلوره مارتوف، ثم جاءت مرحلة انتخاب الأجهزة القيادية للحزب وأعضاء هيئة تحرير الجريدة المركزية للحزب "إسكرا" وأعضاء اللجنة المركزية.

قبل المرور إلى التصويت على الهيئات القيادية دخل المؤتمر في نقاش موضوع "البوند"، الذي كان يدعو إلى إعطائه وضعية خاصة داخل الحزب، أي الاعتراف بكونه الممثل الوحيد لليهود في روسيا. إن إعطاء مثل هذا الحق كان يعني تقسيم الحزب حسب الانتماء القومي والطائفي، وبالتالي التخلي عن وحدة الطبقة العاملة وتنظيماتها على أساس مبدأ ترابي. رفض المؤتمر قومية البوند في المسألة التنظيمية، وهنا غادر البونديون المؤتمر، وفعل مندوبان اقتصادويان نفس الشيء عندما رفض المؤتمر اعتبار اتحادهم في الخارج كممثل للحزب في الخارج، **وسيغير مغادرة سبعة من الانتهازيين ميزان القوى لصالح اللينينيين.**

أعطى لينين أهمية قصوى لتكوين الهيئات المركزية للحزب، بمعنى آخر، انتخاب محترفين ثوريين صلب إلى اللجنة المركزية، بينما أراد أنصار مارتوف ملأ اللجنة المركزية بالعناصر غير الثابتة و الانتهازية ، و تبعت لينين الأغلبية في المؤتمر ، فانتخب أنصار لينين في اللجنة المركزية، و باقتراح من لينين تم انتخاب هيئة تحرير "إسكرا"، فضمت إلى جانب لينين بليخانوف و مارتوف، و اقترح مارتوف أن يعاد انتخاب الأعضاء القدامى لهيئة التحرير، اللذين أصبحوا من أنصار مارتوف، لكن المؤتمر رفض مقترح مارتوف، فبعد التصويت على مقترح لينين أعلن مارتوف بأنه لن يكون عضوا في هيئة تحرير الجريدة، و بهذا التصويت انقسم الحزب إلى أغلبية و أقلية، فسميت الأغلبية بالبولشفيك نسبة للكلمة الروسية بول شين س تفو (الأغلبية بالروسية) و الأقلية سموا بالمنشفيك نسبة للكلمة الروسية من شين تس فو (تعني الأقلية).

<u>حصيلة المؤتمر الثاني</u>

1-كرس المؤتمر الثاني انتصار الماركسية على الانتهازية المعلنة (الاقتصادوية).

2-صادق المؤتمر الثاني على البرنامج والقوانين، فخلق حزبا اشتراكيا – ديموقراطيا، أي حزبا واحدا.

3-أظهر المؤتمر الثاني في ميدان التنظيم خلافات خطيرة قسمت الحزب إلى منشفيك و بولشفيك. دافع البلاشفة عن المبادئ التنظيمية للاشتراكية – الديموقراطية الثورية، بينما سقط المنشفيك في البرك الآسنة للانتهازية.

4-أظهر المؤتمر الثاني أنه بعد سقوط الاقتصادويين أخذ مكانهم انتهازيون جدد هم المنشفيك.

5-تردد المؤتمر الثاني، فلم يكن في مستوى القضايا التي يطرحها التنظيم بإعطائه الأغلبية للمناشفة في مسألة البند الأول، كما لم يستطع فضح انتهازية المناشفة في مجال التنظيم، وبالتالي عزلهم داخل الحزب مما ساعد على استمرار الصراع إلى غاية 1912.

8-الأرضية الثامنة: الأعمال الانشقاقية للزعماء المناشفة وتفاقم الصراع داخل الحزب بعد المؤتمر الثاني. انتهازية المناشفة. كتاب لينين "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء". مبادئ الحزب الماركسي في مجال التنظيم.

بعد المؤتمر الثاني تفاقم الصراع بين البلاشفة و المناشفة، فقد بدأ المناشفة يعملون على ضرب قرارات المؤتمر الثاني، و الاستيلاء على مراكز الحزب، مطالبين أن يكون ممثلوهم أغلبية في لجن التحرير و متساوين مع البلاشفة في اللجنة المركزية، الشيء الذي رفضه البلاشفة، **فقام المناشفة بتكوين تنظيمهم التكتلي داخل الحزب، و كان مارتوف و تروتسكي و إكسلرود زعماء لهم، و كما قال مارتوف** :"**لقد فجرنا انتفاضة ضد اللينينية"**. وتمركزوا كذلك في الخارج داخل العصبة، حيث كان التسعة أعشار يتشكلون من المثقفين المهاجرين المنفصلين عن العمل في روسيا، و من هنا أطلقوا النار على الحزب و لينين و اللينينيين، و بليخانوف، الذي كان في المؤتمر الثاني إلى جانب لينين تحول إلى مساندة المناشفة، لقد أخافه المناشفة بتهديدهم حول الانشقاق، فأراد أن يصالحهم مهما كان الثمن، وهنا سقط بليخانوف ضحية لأخطائه الانتهازية القديمة، و من داعية، إلى التصالح مع المناشفة الانتهازيين، أصبح بليخانوف نفسه منشفيا، وأصبح يدعو إلى عودة قدامى هيئة التحرير من المناشفة، ولم يقبل لينين هذا الشرط، فانسحب من هيئة التحرير من أجل دعم مواقفه داخل اللجنة المركزية للحزب، ومن هنا هزم الانتهازيين، و بمبادرة من تلقاء نفسه، عين بليخانوف هيئة تحرير "إسكرا" جديدة تضم قدامى المناشفة. هكذا، **وابتداء من العدد رقم 52 ل "إسكرا، حول المناشفة الجريدة إلى جريدة ناطقة باسمهم، ومن ثمة نشر تصوراتهم الانتهازية، ومن هنا أصبح الحديث عما يسمى ب "إسكرا" القديمة، "إسكرا" اللينينية البلشفية، و "إسكرا" الجديدة "إسكرا" المنشفية الانتهازية. هكذا أصبحت "إسكرا" جريدة للنضال ضد لينين وضد البلاشفة، وجريدة للدعاية للانتهازية المنشفية في الميدان التنظيمي، وبتحالف مع الاقتصادويين و البونديين، تصاعدت الحملة ضد لينين و البلاشفة، وانضم إليها بليخانوف، الذي انكشف كمنشفي انتهازي**. وهكذا وقع ما كان في الحسبان ومنطق الأشياء، فكل من يؤكد على التصالح مع الانتهازيين سقط هو نفسه في الانتهازية، وسار خط "إسكرا" الجديدة على نقيض قرارات المؤتمر الثاني، وتم الإعلان على أن مطالبة الأعضاء القادة أو المنتسبون إلى نفس الانضباط من الحزب باعتباره **قنانة**، وأن ما يصلح للحزب ليس المركزية، بل

الاستقلالوية، التي تعطي للأعضاء ومنظمات الحزب الحق في عدم تنفيذ قراراته. كان هذا تدميرا لروح الحزب وانضباط الحزب، ونفخا ومدحا **لفردانية المثقف**، وتبريرا لروح **اللانضباط الفوضوي**.

هكذا أصبح المناشفة بعد المؤتمر الثاني يجرون الحزب إلى الوراء، نحو التشتت التنظيمي وروح الحلقات الصغيرة، ونحو طرق الحرفية في العمل، وأصبح من اللازم خوض معركة جديدة والقيام برد حاسم ضد المناشفة، وهنا جاء دور كتاب لينين **"خطوة إلى الأمام خطوتين إلى الوراء"** الذي صدر في ماي 1904، وإذا كان كتاب ما العمل؟ قد وضع الأسس الإيديولوجية للحزب الماركسي، فإن الأسس التنظيمية للحزب سيضعها لينين في كتابه هذا.

***فما هي المبادئ التي ستصبح مبادئ التنظيم في الحزب البلشفي؟**

1)الحزب الماركسي هو حزب لا يتجزأ من الطبقة العاملة، إنه فصيل، لكن داخل الطبقة العاملة هناك العديد من الفصائل، فلا يمكن إطلاق فصيل الطبقة العاملة أو حزبها على أي فصيل كيفما شاء، ذلك أن الحزب يتميز عن الفصائل الأخرى في الطبقة العاملة، **إنه الفصيل الطليعي، الفصيل الواعي، الفصيل الماركسي للطبقة العاملة، الفصيل المسلح بمعرفة الحياة الاجتماعية، و معرفة قوانين التطور الاجتماعي، و معرفة قوانين صراع الطبقات، و بالتالي قادر على إرشاد الطبقة العاملة و قيادتها في نضالها، و بالتالي لا يجب الخلط بين الحزب و الطبقة العاملة، و لا خلط الجزء مع الكل، فمثلا، لا يمكن أن نعتبر أن كل مضرب هو عضو في الحزب، لأن من يخلط الحزب مع الطبقة ينزل بمستوى وعي الحزب إلى مستوى كل مضرب، و من ثمة يحطم الحزب كطليعة واعية للطبقة العاملة . إن مهمة الحزب ليست النزول بالحزب إلى مستوى كل مضرب، بل هو الرفع من مستوى الجماهير العمالية، وكل مضرب إلى مستوى الحزب.**

2)ليس الحزب طليعة فقط، طليعة واعية للطبقة العاملة، بل كذلك طليعة منظمة للطبقة العاملة، تعمل بانضباط إلزامي لأعضائها، ومن ثمة فهناك ضرورة لأعضاء الحزب أن يشاركوا في إحدى منظماته. لو لم يكن الحزب فصيلا منظما للطبقة العاملة

ولا نظام للتنظيم، بل مجرد مجموعة من الأفراد يعلنون أنفسهم أعضاءا في الحزب بدون الانتماء إلى إحدى منظماته، أي غير منظمين، وبالتالي غير ملزمين بالانضباط إلى قرارات الحزب، فلن تكون هناك في الحزب إرادة واحدة، ولن يستطيع تحقيق وحدة أعضائه، ومن ثمة عدم قدرته على قيادة نضال الطبقة العاملة. يؤكد لينين هنا، على أهمية وحدة الإرادة، وحدة العمل و وحدة الانضباط.

يقول لينين:

"قولا، تدافع فرمولة مارتوف عن مصالح أوسع الفئات البروليتارية، وفي الواقع ستخدم هذه الفرمولة مصالح المثقفين البورجوازيين، اللذين يخشون الانضباط والتنظيم البروليتاريين. لن يجرأ أحد على إنكار أن ما يميز بصفة عامة المثقفين باعتبارهم فئة خاصة في مجتمعات الرأسمالية المعاصرة هو بالضبط الفردانية وعدم القابلية للانضباط والتنظيم" (المرجع السابق، ص 360).

3)من بين كل تنظيمات الطبقة العاملة الأخريات، فالحزب ليس فقط فصيلا منظما، بل هو **"الشكل الأعلى للتنظيم"** المطالب بقيادة كل الآخرين.

إن الحزب باعتباره الشكل الأعلى للتنظيم، والذي يضم نخبة الطبقة، المسلحة بالنظرية المتقدمة، وبمعرفة قوانين صراع الطبقات، وبتجربة الحركة الثورية، له كل الإمكانيات من أجل أن يقود، بل عليه واجب القيادة لكل المنظمات الأخرى للطبقة العاملة، ويقول لينين:

"ليس للبروليتاريا من سلاح في نضالها من أجل السلطة سوى التنظيم" (نفس المرجع، ص 414).

4)إن الحزب يجسد ارتباط طليعة الطبقة العاملة مع الجماهير العديدة من هذه الطبقة، ولا يستطيع أن يحيى ويتطور بدون أن يرتبط بالجماهير غير الحزبية، وبدون أن تتعدد هذه الروابط وتتعزز.

يقول لينين:

"من أجل أن يكون حزب اشتراكي ديموقراطي، عليه أن يكسب دعم الطبقة" (لينين، مجلد 6، ص 208، الطبعة الروسية).

5)وحتى يستطيع الحزب أن يرشد الجماهير ويقودها، يجب أن يتنظم حسب مبادئ المركزية، أن يكون له قانون واحد، انضباط واحد، وهيئة قيادية واحدة، يمثلها مؤتمر الحزب، وبين مؤتمرين اللجنة المركزية للحزب، وعلى الأقلية أن تنضبط للأغلبية، ومختلف التنظيمات، والمنظمات الدنيا إلى التنظيمات العليا. بدون كل هذا، ليس هناك إمكانية لتشكل حزب ثوري للطبقة العاملة يستطيع قيادة نضالاتها.

بطبيعة الحال، في التجربة الروسية، حيث كان الحزب في وضعية اللاشرعية، فإن منظمات الحزب لا تستطيع أن تعتمد على مبدأ الانتخاب في القاعدة، فالحزب يجب أن يكون سريا بشكل حازم، وبطبيعة الحال فهذا الشرط ينعدم مع تغير الأوضاع.

6)للحفاظ على وحدة صفوفه، فالحزب في نشاطه العملي عليه تطبيق انضباط بروليتاري واحد ملزم لكل الأعضاء، للقادة، كما للأعضاء العاديين، فليس هناك أعضاء من النخبة وأعضاء ليسوا في النخبة، فعند المناشفة ولدى فردانية المثقف، يعتبر كل تنظيم، وكل انضباط بروليتاري نوعا من القنانة.

وينهي لينين كتابه قائلا:

"أن البروليتاريا ليس لها من سلاح في نضالها من أجل السلطة سوى التنظيم، مقسمة من خلال المنافسة الفوضوية التي تسود في العالم البورجوازي، مثقلة بعمل عبودي من أجل الرأسمال، ملقى بها باستمرار في قاع البؤس الأسود بدون ثقافة، و في ظل الانحلال، يمكن للبروليتاريا أن تصبح، و ستصبح حتما، قوة لا تهزم لهذا السبب الوحيد، و هو أن وحدتها الإيديولوجية، المعتمدة على مبادئ الماركسية، و الملتحمة عن طريق الوحدة المادية للتنظيم، الذي يجمع ملايين العمال في جيش واحد للطبقة العاملة،

أمام هذا الجيش، لا يمكن أن تقاومه السلطة المنحلة للأوتوقراطية الروسية، و لا السلطة المتدهورة للرأسمال العالمي، (نفس المرجع، ص414).

← تلكم هي المبادئ الأساسية للتنظيم، التي بلورها لينين في كتابه "خطوة إلى الأمام خطوتان للوراء".

يكتسي الكتاب أهميته من كونه الأول الذي بلور نظرية التنظيم، كتنظيم قائد للبروليتاريا، بدونه يستحيل النضال من أجل دكتاتورية البروليتاريا، وبصدوره جعل أغلبية مناضلي الحزب يلتفون حول لينين، مما زاد من حقد المناشفة.

وفي سنة 1904، وبمساعدة بليخانوف وخيانة عضوين من البلاشفة هما كراسين و روسكوف، استطاع المناشفة أن يستولوا على اللجنة المركزية للحزب. هكذا، وبعد فقدان "إسكرا" واللجنة المركزية، أصبح البلاشفة في وضع أصعب، فأصبح من الضروري إنشاء جريدة بلشفية وتنظيم مؤتمر جديد، المؤتمر الثالث، من أجل تشكيل لجنة مركزية جديدة، وتصفية الحساب مع المناشفة.

هكذا، وفي غشت 1904 انعقدت في سويسرا تحت قيادة لينين ندوة للبلاشفة أو ندوة 22 بلشفي، وجهت نداء إلى الحزب، الذي سيصبح برنامجا للنضال من أجل عقد المؤتمر الثالث للحزب. وهكذا، وخلال ثلاث ندوات إقليمية للبلاشفة في الجنوب والقوقاز والشمال، تشكل مكتب للجان الأغلبية، الذي بدأ يشتغل من أجل الإعداد للمؤتمر الثالث. وفي 4 يناير 1905 ظهر العدد الأول من الجريدة البلشفية "إلى الأمام" (فبريود). هكذا تشكل داخل الحزب جناحان، بلشفي ومنشفي لكل منهما مركزه وجرائده الخاصة.

<u>الملحق الأول:</u>

***أهم الأعمال عند لينين قبل 1902**

-"الحركات الاقتصادية الجديدة في حياة الفلاحين"، كتب سنة 1893.

-"حول ما يسمى بمسالة الأسواق".

-"من هم أصدقاء الشعب و كيف يحاربون الاشتراكيين- الديموقراطيين" (دور بارز لهذا الكتاب في الهزيمة التاريخية للشعبويين، و آرائهم الاقتصادية، و نهجهم السياسي و تكتيكهم، كما أن لينين في هذا الكتاب قد ابرز الدور التاريخي للبروليتاريا في روسيا، باعتبارها الزعيم السياسي للشعب، و بين الضرورة الموضوعية للاتحاد الثوري بين الطبقة العاملة و الفلاحين، مع تأكيد زعامة البروليتاريا في هذا الاتحاد، باعتبار ذلك شرطا رئيسيا و حاسما في انتصار الثورة الديموقراطية والاشتراكية، كما أنه لأول مرة يفصح لينين عن فكرته القاضية بحتمية وجود حزب ماركسي للبروليتاريا، يأخذ على عاتقه مهمة توجيه الحركة العمالية و تنظيمها.

-"مشروع البرنامج"، نهاية سنة 1895 أثناء مكوثه في السجن.

-"تفسير البرنامج"، صيف 1896.

(هذان الكتابان الأخيران كتبا بالحليب، حيث وضعت سطورهما بين كتاب علني كان في حوزته. سيتم إخراج هذين الكتابين من السجن وتوزيعهما. في "المشروع الأول للبرنامج" عمل لينين على بلورة الهدف النهائي للبروليتاريا، وهو الاستيلاء على السلطة والقضاء على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وتكوين المجتمع الاشتراكي، كما ضم هذا المشروع المطالب الديموقراطية العامة للاشتراكيين – الديموقراطيين على صعيد الدولة ومطالب العمال والفلاحين).

-مهام الاشتراكيين الديموقراطيين الروس

كتبه لينين في المنفى في سيبيريا أواخر 1897، وأصدرته مجموعة "تحرير العمل" لأول مرة في كراس على حدى في جنيف سنة 1898. أما الطبعة الثانية التي كتب لها لينين هذه المقدمة، فقد صدرت سنة 1902. (لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة، المجلد 2، ص 454 -470.

-"تطور الرأسمالية في روسيا"، صدر في مارس 1899، و قد صدر بشكل علني و ب 2400 نسخة .لعب هذا الكتاب دورا هاما من الناحية النظرية لفهم طرق نمو الرأسمالية و الصراع الطبقي، ثم إن التحليل يقدم تعليلا سياسيا و اقتصاديا للضرورة الموضوعية و

التحالف الطبيعي بين البروليتاريا الثورية و الفلاحين ، و قد شكل هذا ضربة قاضية للانتهازية العالمية، التي طالما أكدت على أن البروليتاريا ليس بمقدورها، بل و لا يتطلب منها النضال في سبيل الاستيلاء على السلطة، ما دام عددها لا يشكل الأغلبية من سكان البلاد، و على قاعدة هذا التحليل العلمي، سيتم بناء تكتيك البلاشفة في ثورة 1905 – 1907.

-"اعتراض الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس"، كتب في أواخر سنة 1899، و تم إخراجه سرا من السجن إلى الخارج، حيث تم طبعه في دجنبر من نفس السنة، و كان سبب ظهور هذا الكتاب هو بروز ما يسمى ب "الكريدو" (العقيدة)، و هو بيان أصدره فريق من الاقتصاديين الروس المشهورين، و قد وقف الاقتصاديون ضد الماركسية الثورية و ضد إنشاء حزب ثوري موحد للطبقة العاملة، و طالبوا بالامتناع عن المطالب السياسية المستقلة للطبقة العاملة، و هنا ندد لينين بتراجعهم عن المبادئ الثورية للماركسية، و لروحهم الانتهازية و خيانتهم لقضية الطبقة العاملة، و تنكرهم لضرورة وجود حزب سياسي بروليتاري مستقل. كما أكد لينين بأن البروليتاريا، من أجل تكوين حزب سياسي خاص بها، هدفه الرئيسي الاستيلاء على السلطة السياسية، إضافة إلى ضرورة مشاركة البروليتاريا في مجالات الحياة السياسية و الاقتصادية و مساعدة الطبقات و الأحزاب التقدمية في نضالها ضد الطبقات و الأحزاب الرجعية، و الوقوف بجانب كل حركة ثورية تكافح ضد النظام القائم، بالإضافة كذلك إلى الدفاع عن كل قومية وجنس يتعرض للاضطهاد، وفي هذا الكتاب، أكد لينين من جديد على الأسس النظرية المتعلقة بالدور القيادي، الذي تلعبه الطبقة العاملة وتحالف هذه الطبقة مع الفلاحين، و وجه لينين نداء إلى الماركسيين الروس للحفاظ على نقاوة النظرية الماركسية، وتجنب تلوثها بأي شكل من أشكال الانتهازية، وبين لينين أن الاقتصادوية ما هي إلا شكل من أشكال الانتهازية العالمية على الأرض الروسية. لقد لعب هذا الكتاب دورا كبيرا في النضال ضد الاقتصادوية، وساهم في تنمية الفكر الماركسي في روسيا، وساعد على التكاتف المنظم للقوى الثورية للحركة الاشتراكية – الديموقراطية الروسية.

-"من أين نبدأ؟": أجاب لينين بأنه يجب البدء من تنظيم جريدة سياسية روسية عامة، فالجريدة تضمن الهزيمة الفكرية للأعداء داخل الحركة العمالية، كما أنها تشكل قالب الوحدة الفكرية للحزب، فالجريدة هي الوسيلة الجبارة لتوحيد المنظمات المحلية لحزب واحد موحد.

-"ما العمل؟"، ساورت فكرة الكتاب ذهن لينين منذ ربيع 1901، إلا أنه لم يقم بصياغته بشكل جاد إلا في خريف تلك السنة، وسيصدر الكتاب في مارس 1902 في مدينة شتوتغارت الألمانية.

-"المسألة الزراعية والنقد الماركسي"، صدر في دجنبر 1902 في مجلة "زاريا".

-"حزب العمال والفلاحين"، كتب في فبراير 1901، وكان لينين هو أول ماركسي يضع المبادئ السياسية للبروليتاريا بالنسبة للفلاحين. في ظروف نضوج الثورة الاجتماعية، أدرج لينين النقط الرئيسية من برنامج الحزب بالنسبة لقضية الفلاحين.

-"البرنامج الزراعي للاشتراكية الديموقراطية الروسية"، صدرت المقالة في مارس 1902، وهنا أعطى لينين تحليلا عميقا للفحوى الطبقية والشروط التاريخية لمطالب الماركسيين على صعيد القضية الفلاحية.

-"إلى الفلاحين الفقراء"، شرح للفلاحين، هذا ما يريده الاشتراكيون –الديموقراطيون، صدر سنة 1903، ويقول لينين في هذا النص مخاطبا الفلاحين:

"إننا نريد التوصل إلى تركيب جديد وأفضل للمجتمع، وفي هذا المجتمع الأفضل يجب ألا يوجد أغنياء ولا فقراء، فالجميع عليه المشاركة في العمل، فليس زمرة الأغنياء وحدها، بل على كافة الكادحين الاستفادة من ثمار عملهم المشترك ... إن هذا المجتمع الجديد والأفضل يسمى المجتمع الاشتراكي".

-"رسالة إلى رفيق حول مهامنا التنظيمية"، صدر في شتنبر 1902، وقدم فيه لينين مخططا للبناء التنظيمي للحزب.

-"مشروع برنامج الحزب العمالي الاشتراكي – الديموقراطي الروسي"، صدر بين فبراير ومارس 1902، وقد عرف نقاشا واسعا بين الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس.

-"جواب على نقد مشروع برنامجنا" يونيو 1902. قبيل المؤتمر الثاني للحزب الذي انعقد بين يوليوز وغشت 1903. وضع لينين نظام وجدول أعمال المؤتمر، كما وضع مشروع النظام الداخلي للحزب، وكتب رؤوس نقاط تقريره إلى المؤتمر، بالإضافة إلى مشاريع القرارات المتعلقة بمسائل عديدة، وقد أشار لينين إلى أن المهمة الرئيسية للمؤتمر تكمن في خلق حزب أممي ثوري حقيقي.

الملحق الثاني:

***تلخيص ستالين لمراحل تطور الحزب البلشفي قبل 1917:**

في نص شهير لستالين تحت عنوان: "الاستراتيجية والتكتيك السياسي للشيوعيين الروس"، لخص أهم مراحل تطور الحزب البلشفي قبل 1917.

-**المرحلة الأولى:** تميزت بتكوين نواة رئيسية، خاصة مجموعة "إسكرا"، والصراع ضد الاقتصادوية، أو ما يسمى بمجموعة الكريدو، وهو بيان مجموعة الاقتصادويين، الذي رد عليه لينين بمقالة "احتجاج الاشتراكيين- الديموقراطيين بروسيا"، المجلد الرابع.

-**المرحلة الثانية:** ركزت على تكوين أطر الحزب كقاعدة للحزب العمالي المقبل، وذلك على نطاق روسيا بكاملها (الفترة المعينة هي 1895- 1903) التي اختتمت بالمؤتمر الثاني.

-**المرحلة الثالثة:** خاصيتها توزيع أطر الحزب وتشكلها كحزب عمالي، وتعزيز هذا الأخير بمناضلين تمت تعبئتهم بارتباط مع "تطور الحركة العمالية" (1903- 1904) وانتهت الفترة بالمؤتمر الثالث للحزب.

-المرحلة الرابعة: تميزت بصراع المناشفة ضد أطر الحزب من أجل تذويب الحزب وسط الجماهير اللاحزبية، ونضال البلاشفة من أجل الحفاظ على أطر الحزب، اللذين يحافظون على روح الحزب، وانتهت الفترة بانعقاد مؤتمر لندن 1905 وهزيمة أنصار مؤتمر عمالي.

المرحلة الخامسة: تتمثل خاصيتها الأساسية في ظهور التصفويين وصراعهم ضد الحزب، وانتهت المعركة بهزيمة التصفويين 1908-1910 (انظر في هذا الصدد كتاب لينين الشهير "المادية والمذهب النقدي التجريبي").

المرحلة السادسة: تمتد بين 1906- 1916، فيها تأسس الحزب البلشفي سنة 1912 كتنظيم مستقل، عرفت هذه المرحلة تطورا في أشكال النضال الحزبي، التي جمعت بين النضال الشرعي والنضال اللاشرعي، وكذلك نمو منظمات الحزب في كل المجالات.

الجزء الثاني

يقدم الجزء الثاني، ويكمل في نفس الوقت، الجزء الأول، الذي اهتم بالسياقات التاريخية، متابعة لتطور فكر لينين قبل صدور كتاب "ما العمل؟"، وذلك من خلال بعض النصوص التي تم اختيارها من أجل تتبع تطور سياق الأفكار، التي ستؤدي في جانب منها إلى تبلور أفكار لينين في كتابه "ما العمل؟".

مهمات الاشتراكيين الديموقراطيين الروس

تقديم:

كتبه لينين في المنفى في سيبيريا أواخر 1897، وأصدرته مجموعة "تحرير العمل" لأول مرة في كراس على حدى في جنيف سنة 1898. أما الطبعة الثانية التي كتب لها لينين هذه المقدمة فقد صدرت سنة 1902 (لينين، المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة، المجلد 2، ص ص 454 - 470.)

في مقدمة الطبعة الثانية لهذا الكراس، والتي جاءت بعد خمس سنوات من الطبعة الأولى، تلبية لحاجات التحريض، وبين التاريخين، كانت الحركة العمالية الروسية الفتية قد خطت خطوة هامة إلى الأمام، كما طرأت في وضع الاشتراكية - الديموقراطية الروسية، وفي وضعية قواها تغيرات عل درجة من العمق، مما طرح السؤال حول ضرورة، أو الحاجة إل طبع كراس قديم طبعة ثانية بسيطة، ألم تتغير مهمات الاشتراكيين- الديموقراطيين الروس منذ 1897، ونحن الآن في 1902؟ أفلم تخطو إلى الأمام أي خطوة بهذا الصدد نظرات المؤلف نفسه، الذي عرض آنذاك رصيد التجربة الأولى فقط من نشاطه الحزبي؟ ويقول لينين أنه للإجابة عن هذه الأسئلة، التي انبثقت عند العديد من القراء، يجب العودة إلى كراس "ما العمل؟"، وأن نضيف شيئا إلى ما قيل هناك عن الظروف التي كتب فيها الكراس، الذي يعاد طبعه الآن. وعن مواقفه من المرحلة الخاصة في تطور الاشتراكية الديموقراطية في روسيا، وكان لينين قد ذكر بالإجمال أربع مراحل في كراس "ما العمل؟" تعود المرحلة الأخيرة منها إل مجال الحاضر، وجزئيا إلى مجال المستقبل، والمرحلة الثالثة المسماة بمرحلة سيطرة التيار الاقتصادوي ابتداء من 1897- 1898، والمرحلة الثانية تشمل 1894- 1898، والمرحلة الأولى سنوات 1884- 1894.

يرى لينين أنه في المرحلة الثانية عل نقيض المرحلة الثالثة لم تكن هناك أي خلافات في أوساط الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس، فقد كانت الحركة موحدة فكريا، بل قامت محاولات لبلوغ الوحدة كذلك عمليا (تشكيل "حزب العمال الاشتراكي- الديموقراطي الروسي"). لقد كان انتباه الاشتراكيين – الديموقراطيين الرئيسي خلال هذه الفترة موجها ليس إلى توضيح وحل هذه أو تلك من القضايا الحزبية الداخلية كما هو الحال خلال المرحلة الثالثة، بل نحو الصراع الفكري ضد خصوم الاشتراكية - الديموقراطية من جهة، ونحو

تطوير النشاط الحزبي العملي من جهة أخرى. هكذا، فبين نظرية الاشتراكيين – الديموقراطيين ونشاطهم العملي، لم يكن ثمة ذلك التناقض الذي كان في عهد الاقتصادوية.

يوضح لينين أن هذا الكراس كان يعكس بالضبط خصائص الوضع آنذاك، ومن ثمة مهمات الاشتراكية – الديموقراطية في ذلك الوقت، ونجد أن الكراس يدعو إلى تعميق النشاط العملي وتوسيعه، ولا يرى المصاعب التي لم يكن لها وجود آنذاك في الجمع بين النضال السياسي والنضال الاقتصادي، ويتوجه الكراس إلى خصوم الاشتراكية – الديموقراطية بتوضيحاته المبدئية وإلى الناردوفوليين و الناردو برافيين، ساعيا إلى تبديد الآراء الخاطئة والأوهام التي تحملهم على الوقوف على هامش الحركة الجديدة.

يقول لينين أنه في الوقت الحاضر إذ توشك أن تنتهي مرحلة الاقتصادوية حسب كل احتمال، يبدو موقف الاشتراكيين - الديموقراطيين من جديد مماثلا للموقف الذي كان منذ خمسة أعوام، إنه لطبيعي أن المهام التي نواجهها الآن أعقد مما لا يقاس، نظرا لنمو الحركة نموا عملاقا في هذه الحقبة من الزمن، ولكن خصائص الوقت الحاضر الأساسية تكرر عل أساس أوسع وعلى مقياس أكبر خصائص المرحلة الثانية، و أن التنافر بين نظريتنا و برنامجنا ومهامنا التكتيكية ونشاطنا العملي يزول مع زوال الاقتصادوية، ونحن من جديد نستطيع، ويجب علينا أن ندعو بجرأة إلى تعميق وتوسيع النشاط العملي، لأن توضيح المقدمات النظرية لهذا النشاط قد تحقق إلى حد كبير، ومن جديد يجب علينا أن نولي انتباها خاصا إلى الميول غير الاشتراكية - الديموقراطية السرية في روسيا، إذ تبدو أمامنا من جديد، و من حيث الجوهر نفس الميول التي تجلت في النصف الأول من سنوات التسعينات من القرن الماضي، ولكنها الآن أكثر تطورا بكثير، أكثر تكونا بكثير، أكثر "نضجا" بكثير.

"لقد ذهب الناردوفوليون في سياق خلع حللهم القديمة إلى حد أنهم تحولوا إلى "اشتراكيين ثوريين" وكأنهم بهذه التسوية بالذات قد بينوا أنهم قد وقفوا في منتصف الطريق. لقد تأخروا عن الاشتراكية الروسية القديمة، ولكنهم لم يلتحقوا بالاشتراكية-الديموقراطية الجديدة. أما النظرية الوحيدة للاشتراكية الثورية، النظرية التي لا تعرف الإنسانية المعاصرة غيرها، أي الماركسية، فإنهم يحيلونها إلى الأرشيفات استنادا إلى نقد بورجوازي "الاشتراكيون" وانتهازي "الثوريون". إن انعدام الأفكار وانعدام المبدأ

يقودانهم، عمليا، إلى "المغامرة الثورية"، التي تتجلى فيما تتجلى في سعيهم إلى أن يضعوا في مصف واحد، فئات وطبقات اجتماعية، كالمثقفين والبروليتاريا والفلاحين، وفي دعايتهم الصاخبة للإرهاب "المنهاجي"، وفي برنامج الحد الأدنى الزراعي السيء الذكر، الذي وضعوه "جعل الأرض ملكية اجتماعية –التعاون – الربط بحصة الأرض ... وفي موقفهم من اللبراليين وفي أشياء كثيرة أخرى، سيتأتى عليها في أغلب الظن أن نتناولها في أكثر من مرة. فلا تزال في روسيا كثرة كبيرة من العناصر الاجتماعية والظروف الاجتماعية التي تغذي تذبذب المثقفين، وتثير رغبة الأفراد ذوي الميول الراديكالية في الجمع بين القديم الذي ولى عهده، والحديث الدارج غير المؤهل للحياة، ويعيقهم عن دمج قضيتهم مع البروليتاريا، التي تخوض نضالها الطبقي، بحيث أنه سيترتب على الاشتراكية – الديموقراطية الروسية أن تحسب الحساب لميول "الاشتراكية الثورية" ما دام التطور الرأسمالي وتأزم التناقضات الطبقية لم يقض على كل تربة لها" لينين.

يقول لينين أن النارودوبرافيون الذين تميزوا في سنة 1897 بقدر من التذبذب والغموض لا يقل عن القدر الذي يتميز به "الاشتراكيون الثوريون" الحاليون، فقد غادروا المسرح من جراء ذلك بسرعة بالغة. ولكن فكرتهم حول مطلب الحرية السياسية فصلا تاما عن الاشتراكية لم تمت، ولم يكن من الممكن أن تموت لأن التيارات اللبرالية الديموقراطية قوية جدا في روسيا.

<u>ويرى لينين أنه:</u>

بقدر ما يبدو من المحتم ذبول وزوال عهد روسيا القديمة، روسيا قبل الإصلاح، وطبقة الفلاحين الباتريارکية والنموذج القديم من المثقفين القادرين على الولع على حد سواء بالمشاعة والتعاونيات الزراعية والإرهاب، بقدر ما يبدو من المحتم أيضا نمو ونضوج الطبقات المالكة في روسيا الرأسمالية، البورجوازية الصغيرة، مع لبراليتها الرصينة التي بدأت تدرك بأن التهور بالاحتفاظ بحكومة مطلقة غبية وحشية غالية التكاليف ولا تحمي إطلاقا من الاشتراكية، مع مطلبها بالأشكال الأوروبية للنضال الطبقي والسيادة الطبقية، مع سعيها الغريزي (في عهد يقظة البروليتاريا و تناميها) إلى ستر مصالحها البورجوازية الطبقية بإنكار النضال الطبقي على العموم.

مادة النص الأصلي

*يحدد لينين أهمية البرنامج الثوري انطلاقا من تسطير أهم مميزات المرحلة التي صيغ فيها النص.

يقول لينين في تحديده أن النصف الثاني من العقد العاشر (ق 19) يتصف بانتعاش رائع في وضع القضايا الثورية الروسية وحلها: ظهور الحزب الثوري الجديد "نارودناويه برافو" ونجاحات الاشتراكيين – الديموقراطيين وتعاظم نفوذهم والتطور الداخلي في " نارودنايا فوليا". كل هذا أثار نقاشا نشيطا للمسائل البرنامجية، سواء في حلقات الاشتراكيين المثقفين والعمال، أم في المنشورات السرية، وفي هذا السياق، يمكن الإشارة إلى "المسألة الملحة" و "البيان" (سنة 1894) لحزب "ناردوناويه برافو" و "الورقة الطائرة" لفرقة "نارودنايا فوليا" و "رابوتنيك" التي يصدرها في الخارج "اتحاد الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس" والنشاط المتعاظم فيما يخص إصدار الكراريس الثورية لا سيما منها للعمال في روسيا والعمل التحريضي الذي يقوم به اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة" الاشتراكي – الديموقراطي في سان بترسبورغ، إضافة إلى تنامي الإضرابات المتهورة في بترسبورغ سنة 1886.

فيما سبق، كان الوضع أواخر 1897 يجعل من المسألة الألح، مسألة النشاط العملي للاشتراكيين – الديموقراطيين، ذلك أن الجانب النظري قد اجتاز على ما يبدو إحدى المراحل التي كانت تتميز بالميل المشتد نحو سحق التيار الجديد عند ظهوره، وهي التي ولدت في نفس الوقت مرحلة الدفاع العنيد عن أسس الاشتراكية – الديموقراطية، و يقول لينين : إن آراء الاشتراكيين – الديموقراطيين النظرية تبدو اليوم بما يكفي من الوضوح من حيث سماتها الأساسية والرئيسية، وهذا ما لا يمكن قوله عن الجانب العملي من الاشتراكية – الديموقراطية، عن برنامجها السياسي عن طرائق عملها وتكتيكها، وهو الذي يعرقل إلى حد ما وحدة الثوريين، خاصة و أن باقي الثوريين يتوجهون إلى الطبقة العاملة، ويقدمون تصورا عن المهمات الديموقراطية، ويضعون نشاطهم بين العمال على صعيد النضال الطبقي.

وعليه، اعتبر لينين أنه من المناسب أن نحاول تفسير المهمات العملية الموضوعية أمام الاشتراكية – الديموقراطية، وعرض الأسباب التي تدفع إلى اعتبار برنامجها، البرنامج الأكثر عقلانية بين البرامج الثلاثة القائمة، واعتبار الاعترافات الموجهة إليه قائمة على سوء الفهم.

***تقديم البرنامج**

إلى ماذا يهدف البرنامج؟

يقول لينين:

"معلوم أن نشاط الديموقراطيين العملي يستهدف قيادة نضال البروليتاريا الطبقي، وتنظيم هذا النضال بمظهريه الاشتراكي (النضال ضد طبقة الرأسماليين، النضال الذي يرمي إلى القضاء على نظام الطبقات وتنظيم المجتمع الاشتراكي) والديموقراطي (النضال ضد الحكم المطلق، النضال الذي يرمي الظفر بالحرية السياسية في روسيا وإشاعة الديموقراطية في نظام هذا البلد، السياسي والاجتماعي)".

ويضيف:

"وأشاروا (الاشتراكيون – الديموقراطيون) دائما إلى مظهري نضال البروليتاريا الطبقي، وإلى ازدواج مضمونه، وألحوا دائما على الصلة الوثقى التي لا تنفصم عراها بين مهماتهم الاشتراكية والديموقراطية، هذه الصلة التي وجدت تعبيرا جليا لها في الاسم الذي أطلقوه على أنفسهم، ومع ذلك فإنهم غالبا ما تلتقون، حتى في هذه الأيام، اشتراكيين يكونون عن الاشتراكيين – الديموقراطيين فكرة من أشد الأفكار ظلاما، ويتهمونهم بتجاهل النضال السياسي ..."

وفي المزيد من التوضيح يقول لينين:

"إن عمل الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس الاشتراكي يتقوى في الدعاية لتعاليم الاشتراكية العلمية، في نشر مفهوم صحيح بين العمال عن النظام الاجتماعي والاقتصادي الحالي، عن أسس هذا النظام وتطوره، عن مختلف الطبقات في المجتمع الروسي والعلاقات فيما بينها، وصراع هذه الطبقات فيما بينها، ودور الطبقة العاملة في هذا النضال، وموقفها من الطبقات التي تسير في طريق الزوال والطبقات التي تتطور، وموقفها من ماضي الرأسمالية ومستقبلها، وعن المهمة التاريخية الموضوعة أمام الاشتراكية – الديموقراطية العالمية والطبقة العاملة الروسية. إن التحريض بين العمال لعلى صلة وثيقة بالدعاية، وهو يشغل طبعا المرتبة الأولى في أوضاع روسيا السياسية الراهنة، ونظرا لمستوى تطور الجماهير العاملة فإن التحريض بين العمال يتقوم فيما يلي:

إن الاشتراكيين – الديموقراطيين يجتمعون في جميع المظاهر العفوية لنضال الطبقة العاملة، في جميع النزاعات بين العمال والرأسماليين بسبب يوم العمل والأجور وشروط العمل إلخ ... مهمتنا أن ندمج نشاطنا مع قضايا حياة العمال العملية، المعيشية، ونساعد العمال على فهم جوهر هذه المسائل، أن نلفت انتباه العمال إلى أهم التجاوزات، و نساعدهم على أن يصوغوا بمزيد من الدقة والروح العمالية المطالب التي يتقدمون بها لأرباب عملهم، ونطور عند العمال وعي تضامنهم، وعي مصالحهم المشتركة، والعمل المشترك لجميع العمال الروس بوصفهم طبقة عاملة موحدة تؤلف قسما من جيش البروليتاريا العالمي، تنظيم هذه الحلقات بين العمال، إقامة علاقات صحيحة وسرية بين هذه الحلقات وفرقة الاشتراكيين – الديموقراطيين المركزية، إصدار المنشورات العمالية وتوزيعها، تنظيم إرسال المراسلات من جميع مراكز الحركة العمالية، إصدار المناشير التحريضية والنداءات وتوزيعها، تكوين فريق من المحرضين المحنكين. تلك هي بخطواتها العامة مظاهر النشاط الاشتراكي للاشتراكية - الديموقراطية الروسية.

إن عملنا موجه قبل كل شيء وفي كل شيء نحو عمال المصانع، عمال المدن. فعلى الاشتراكية - الديموقراطية الروسية ألا تبعثر قواها إنما يجب عليها أن تركز جهودها في صفوف البروليتاريا الصناعية الأكثر تطورا ثقافيا وسياسيا، الأهم من حيث عددها وتمركزها في مراكز البلاد السياسية الكبرى، وإذا كان إنشاء منظمات ثورية متينة بين عمال المصانع، بين عمال المدن، المهمة

الأولى والألح بين مهام الاشتراكية - الديموقراطية، المهمة التي يكون في أقصى الجنون الانصراف عنها في الوقت الحاضر، ولكننا، مع اعترافنا بضرورة حصر قوانا بين عمال المصانع ومع شجبنا لبعثرة هذه القوى لا نريد أبدا أن تتجاهل الاشتراكية – الديموقراطية الروسية سائر فئات البروليتاريا والطبقة العاملة الروسيتين".

في هذا السياق نفسه يؤكد لينين على أهمية الروابط الوثيقة التي تجمع العمال مع الحرفيين ومع البروليتاريا الصناعية في المدن و القرى، كما أن العامل الروسي في المصنع على صلة مباشرة أيضا بسكان الريف، فغالبا ما تعيش أسرة العامل في الريف، وكذلك الارتباط بالبروليتاريا الريفية من ملايين الزراعيين المحترفين والمياومين، وكذلك الفلاحون الفقراء، وسيسعون إلى إنارة العمال الطليعيين حول المسائل المتعلقة بحياة الحرفيين و الأجراء الزراعيين، وأن يحملوا إليها أفكار النضال الطبقي والاشتراكية، والمهمات السياسية والديموقراطية الروسية بوجه عام، والبروليتاريا الروسية بشكل خاص.

وللرد على الاتهام الموجه للاشتراكية – الديموقراطية الروسية في تجاهلها سواد السكان الكادحين، والاهتمام فقط بعمال المصانع وحدهم، يقول لينين أن التحريض بين الفئات المتقدمة من البروليتاريا هو أأمن وسيلة، والوسيلة الوحيدة لإيقاف، بقدر ما تتسع الحركة، البروليتاريا الروسية بأسرها.

يبرر لينين هنا أهمية التركيز على الطبقة العاملة في مرحلة أولى دون إغفال للفئات الأخرى. وفيما يخص مهمات الاشتراكيين - الديموقراطيين الديموقراطية، وحول عملهم الديموقراطي، يقول لينين:

"إننا نعيد القول مرة أخرى أن هذا العمل يرتبط بالعمل الاشتراكي ارتباطا وثيقا لا ينفصم عراه، فإن الاشتراكيين – الديموقراطيين إذ يقومون بالدعاية بين العمال، لا يستطيعون التهرب من القضايا السياسية، بل يعتبرون كل محاولة للتهرب منها، أو حتى للتأجيل هفوة كبيرة وانتهاكا للمبادئ الأساسية للاشتراكية الديموقراطية العالمية. وإلى جانب الدعاية للاشتراكية العلمية يأخذ الاشتراكيون – الديموقراطيون على عاتقهم مهمة الدعاية أيضا للأفكار الديموقراطية بين جماهير العمال، ويسعون إلى نشر مفهوم

الحكم المطلق بكل ظاهرات نشاطه، مفهوم مضمونه الطبقي، وضرورة إسقاطه، واستحالة النضال بنجاح في سبيل قضية العمال بدون الحصول على الحرية السياسية وإشاعة الديموقراطية في النظام السياسي والاجتماعي في روسيا.

إن الاشتراكيين – الديموقراطيين إذ يقومون بعمل تحريضي بين العمال يرتكز على المطالب الاقتصادية المباشرة للطبقة العاملة، على شقائها ومطالبها، التحريض ضد النير البوليسي الذي يتجلى في كل إضراب، في كل نزاع بين العمال والرأسماليين، التحريض ضد التقييد على حقوق العمال بوصفهم مواطنين في روسيا بوجه عام، وبوصفهم الطبقة التي تعاني أشد الاضطهاد وأشد الحرمان من الحقوق بشكل خاص، التحريض ضد كل ممثل بارز وخادم للحكم المطلق، يحتك مباشرة بالعمال، ويبين بوضوح للطبقة العاملة عبوديتها السياسية، وإذا كانت لا توجد مسألة في حياة العمال في ميدان الاقتصاد لا يجب استخدامها في أغراض التحريض الاقتصادي، لا توجد كذلك مسألة في حقل السياسة لا يجب استخدامها في أغراض التحريض السياسي.

إن هذين الشكلين من التحريض مترابطان ترابطا وثيقا لا ينفصم عراه في نشاط الاشتراكيين – الديموقراطيين كوجهي ميدالية واحدة، فإن التحريض الاقتصادي والتحريض السياسي كلاهما ضروري على حد سواء لتطوير وعي البروليتاري الطبقي، لأن كل نضال طبقي هو نضال سياسي. إن شكلي التحريض، كليهما إذ يوقظان وعي العمال وينظمانهم ويعودانهم الطاعة ويربيانهم للقيام بنشاط تضامني، وللنضال في سبيل المثل العليا للاشتراكية - الديموقراطية، سيمكنان العمال من اختبار قواهم فيما يتعلق بالقضايا التي تمسهم عن كثب، فيما يتعلق بحاجاتهم المباشرة، إنهما سيمكنانهم من انتزاع تنازلات جزئية من عدوهم فيحسنون وضعهم الاقتصادي، ويجبرون الرأسماليين على حسبان الحساب لقوة العمال المنظمة، ويكرهون الحكومة على توسيع حقوق العمال والإصغاء لمطالبهم إذ يبقونها في خوف دائم من الجماهير العاملة المعادية لها، السائرة بقيادة منظمة اشتراكية متينة".

ما الفرق بين مجالي النضال الطبقي للبروليتاريا؟

في حالة النضال الاقتصادي تكون البروليتاريا وحدها ويكون ضدها أسياد الأراضي النبلاء والبورجوازية، ولا تحظى إلا بمساعدة عناصر البورجوازية الصغيرة التي تنجذب نحو البروليتاريا. أما في النضال الديموقراطي السياسي، فإلى جانب البروليتاريا تنضم جميع عناصر المعارضة السياسية، جميع فئات السكان، وجميع الطبقات، التي تعادي الحكم المطلق وتحاربه بهذه الأشكال أو تلك. وإلى جانب البروليتاريا تقف أيضا عناصر المعارضة البورجوازية، أو الطبقات المتعلمة، ومن القوميات والأديان والطوائف التي يضطهدها الحكم المطلق.

بناء على ما جاء أعلاه ينطرح السؤال:

كيف يجب أن تكون علاقة الطبقة العاملة مع هذه العناصر؟

سؤال ثاني:

ألا يجب على الطبقة العاملة أن تتحالف مع هذه العناصر من أجل القيام بنضال مشترك ضد الحكم المطلق؟

بما أن جميع الاشتراكيين - الديموقراطيين يعترفون بأن يجب أن تسبق الثورة السياسية في روسيا الثورة الاشتراكية، أفلا يجدر تأجيل الاشتراكية مؤقتا بعد التحالف مع جميع عناصر المعارضة السياسية من أجل النضال ضد الحكم المطلق؟

أليس ذلك إلزاميا من أجل تقوية النضال ضد الحكم المطلق؟

يقوم لينين ببحث هذين السؤالين:

1-فيما يتعلق بعلاقات الطبقة العاملة بكفاحها ضد الحكم المطلق مع جميع فئات وطبقات المعارضة السياسية الأخرى في المجتمع يقول لينين:

"إن هذه العلاقات إنما تحددها بدقة كاملة المبادئ الأساسية للاشتراكية الديموقراطية المعروفة في البيان الشيوعي الشهير. إن الاشتراكيين - الديموقراطيين يؤيدون طبقات المجتمع التقدمية ضد الطبقات الرجعية، والبورجوازية ضد ممثلي الملكية العقارية المميزة والمغلقة، وضد سلك الموظفين، البورجوازية الكبيرة ضد الأطماع الرجعية للبورجوازية الصغيرة، وهذا التأييد لا يفترض ولا يتطلب أية مساومة مع البرامج والمبادئ غير الاشتراكية – الديموقراطية، فهو تأييد حليف ضد عدو معين، وإذا كان الاشتراكيون- الديموقراطيون يمحضون هذا التأييد فلكي يعجلوا بسقوط عدو مشترك، ولكنهم لا يتوقعون شيئا لأنفسهم من هؤلاء الحلفاء المؤقتين، ولا يتنازلون لهم عن شيء. إن الاشتراكيين – الديموقراطيين يؤيدون كل حركة ثورية ضد النظام الاجتماعي الحالي، كل قومية مظلومة، كل دين مضطهد، كل فئة اجتماعية مستذلة، وهكذا دواليك، في نضالها من أجل المساواة في الحقوق".

هذا بالنسبة للسؤال الأول، أما بالنسبة للسؤال الثاني فيقول لينين:

إن الاشتراكيين – الديموقراطيين، إذ يبينون تضامن هذه الفئات المعارضة أو تلك مع العمال، سيضعون العمال دائما على حدى، و سيجهدون دائما لتفسير طابع هذا التضامن المؤقت والمشروط، وسيشيرون على الدوام أن البروليتاريا طبقة على حدى، قد تتكشف غدا عن خصم لحلفائها اليوم. سيقال لنا:

"إن مثل هذه الإشارة ستضعف الحرية السياسية في الوقت الحاضر" وسنجيب: إن هذه الإشارة ستقوي جميع المكافحين من أجل الحرية السياسية، فالأقوياء هم أولئك المكافحون الذين يعتمدون على ما لطبقات معينة من مصالح فعلية، مفهومة فهما جيدا، وكل تمويه لهذه المصالح الطبقية، التي تضطلع منذ الآن بدور أولي في المجتمع المعاصر، لم يفعل سوى أن يضعف هذا أولا.

ثانيا، في النضال ضد الحكم المطلق، يجب على الطبقة العاملة أن تضع نفسها على حدى، لأنها وحدها، إلى النهاية العدو المنسجم والمطلق للحكم المطلق، وبينها وحدها والحكم المطلق تستحيل المساومات، وفي الطبقة العاملة وحدها يمكن للديموقراطية أن تجد مصيرا مطلقا لن يظهر عليه التردد ولن يتطلع إلى الوراء. إن العداء للحكم المطلق لجميع الطبقات الأخرى، في جميع الفئات والكتل الأخرى من السكان ليس مطلقا، وديموقراطيته تتطلع دائما إلى الوراء، وليس في مستطاع البورجوازية ألا تدرك أن الحكم المطلق يعيق التطور الصناعي والاجتماعي، ولكنها تخشى إشاعة الديموقراطية بصورة تامة في النظام الاقتصادي و الاجتماعي، وفي إمكانها دائما أن تتحالف مع الحكم المطلق ضد البروليتاريا، أما البورجوازية الصغيرة فطبيعتها مزدوجة، فهي تشعر من جهة إلى الميل إلى البروليتاريا والديموقراطية، كما تشعر من جهة أخرى بالميل إلى الطبقات الرجعية، فتسعى إلى إعاقة سير التاريـخ، وفي وسعها أن تؤخذ وتخدع بتجارب الحكم المطلق وحيله (مثلا، بشكل "السياسة الشعبية" التي انتهجها ألكسندر الثالث) وبوسعها أن تتحالف مع الطبقات الحاكمة ضد البروليتاريا بمجرد أن توطد وضعها بوصفها مالكا صغيرا.

إن الناس المتعلمين أو الأنتلجانسيا بوجه عام، لا يمكنها ألا تنتفض ضد الاضطهاد البوليسي الوحشي يسلطه الحكم المطلق، الذي يطارد الفكر والمعرفة، ولكن مصالح هذه الأنتلجانسيا المادية تربطها بالحكم المطلق، بالبورجوازية، وتجبرها على ألا تكون منسجمة، على إجراء مساومات، على بيع حميتها الثورية وحمية معارضيها لقاء الرواتب التي تدفعها لها الدولة، أو لقاء حصة من الأرباح أو القسائم.

أما فيما يتعلق بالعناصر الديموقراطية التي تنتسب إلى القوميات المظلومة، أو التي تعتنق دينا مضطهدا، فإن كل امرئ يعرف أن التناحرات الطبقية في قلب هذه الفئات من السكان أقوى وأعمق بكثير من تضامن جميع طبقات الفئة المعنية ضد الحكم المطلق، وفي سبيل المؤسسات الديموقراطية، ولكن البروليتاريا وحدها تستطيع أن تكون – وبحكم وضعها الطبقي لا تستطيع ألا تكون – ديموقراطية منسجمة إلى النهاية، عدوا حازما للحكم المطلق، غير قابلة لأي تنازل وعن أي مساومة. إن البروليتاريا وحدها تستطيع أن تكون مكافحا طليعيا في سبيل الحرية السياسية والمؤسسات الديموقراطية، أولا، لأن على البروليتاريا يمارس

الاضطهاد بأعنف أشكاله، ولا يجب أي تخفيف له في وضع هذه الطبقة، فأبواب السلطة العليا موصدة في وجهها، وحتى أبواب سلك الموظفين، وليس في إمكانها التأثير في الرأي العام. ثانيا، إن البروليتاريا وحدها قادرة على أن تدفع إلى النهاية إشاعة الديموقراطية في النظام السياسي الاجتماعي، إذن إن مثل هذه الإشاعة من شأنها أن تدفع هذا النظام في أيدي العمال، ولهذا السبب، كان دمج نشاط الطبقة العاملة الديموقراطي مع ديموقراطية الطبقات والفئات الأخرى من شأنه أن يضعف من قوة الحركة الديموقراطية، أن يضعف النضال السياسي ويجعله أقل حزما، وأقل انسجاما وأوفر قدرة على المساومة.

أما وضع الطبقة العاملة على حدى، بوصفها مكافحا طليعيا في سبيل المؤسسات الديموقراطية، فهو على العكس يقوي الحركة الديموقراطية، يقوي النضال في سبيل الحرية السياسية لأن الطبقة العاملة ستحفز جميع العناصر الديموقراطية وعناصر المعارضة السياسية الأخرى، وتدفع اللبراليين نحو الرادكاليين السياسيين، و تدفع الراديكاليين إلى القطيعة الحاسمة مع كل النظام السياسي والاجتماعي للمجتمع الحالي، ولقد قلنا أعلاه أنه يجب على جميع الاشتراكيين في روسيا أن يصبحوا اشتراكيين – ديموقراطيين. ونضيف الآن قائلين: يجب على جميع الديموقراطيين الحقيقيين والمنسجمين في روسيا أن يصبحوا اشتراكيين – ديموقراطيين".

بعد تحليل الوضع في روسيا وتطور الاقتصاد الرأسمالي فيها وآفاقه، كتب لينين يقول:

"وهكذا إذن، إلى العمل أيها الرفاق ولا نضيعن وقتا ثمينا! فعلى الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس أن يبذلوا جهدا هائلا لتلبية حاجات البروليتاريا التي تستيقظ، لتنظيم الحركة العمالية، لتعزيز الجماعات الثورية وصلاتها المتبادلة، لتزويد العمال بأدب الدعاية والتحريض لحشد الحلقات العمالية والفرق الاشتراكية – الديموقراطية المبعثرة في جميع أنحاء روسيا، في حزب عمالي اشتراكي – ديموقراطي واحد!".

برنامجنا ـ فلادمير لينين

1899

تاريخ الكتابة لا يقع قبل أكتوبر 1899. صدر لأول مرة سنة 1925 في المجموعة اللينينية، المجلد الثالث

يقول لينين في بداية المقالة:

"تعاني الاشتراكية – الديموقراطية العالمية في الوقت الحاضر اضطرابات في التفكير: حتى الآن كانت تعاليم ماركس و انجلز تعتبر أساسا مكينا للنظرية الثورية، أما الآن، فترتفع في كل مكان أصوات تقول بأن هذه التعاليم لا تكفي و بأنها شاخت. ولكل من يعلن عن نفسه اشتراكي – ديموقراطي، ويعتزم إصدار صحيفة اشتراكية – ديموقراطية، يتعين عليه أن يحدد بدقة موقفه من المسألة التي هي أبعد من أن تشغل بال الاشتراكيين – الديموقراطيين الألمان وحدهم".

ويعطي لينين رأيه قائلا:

"إننا نقف كليا على أرضية نظرية ماركس، فهي التي حولت للمرة الأولى الاشتراكية، من طوباوية إلى علم، وأرست هذا العلم على أسس ثابتة، ورسمت الطريق الذي ينبغي السير فيه، مع تطوير هذا العلم باستمرار. ومع دراسته وتعميقه بجميع تفاصيله، وقد كشفت كنه الاقتصاد الرأسمالي المعاصر، إذ أوضحت بأي نحو يستر استئجار العامل شراء قوة العمل، استعباد الملايين من أبناء الشعب غير المالك من قبل حفنة من الرأسماليين، مالكي الأراضي والمصانع والمناجم وغيرها".

" وأوضحت مهمة الحزب الاشتراكي الثوري الحقيقية، إن هذه المهمة لا تقوم في اختلاق المشاريع لإعادة بناء المجتمع، ولا في وعظ الرأسماليين وأذنابهم بتحسين أوضاع العمال، ولا في حبك المؤامرات، بل في تنظيم نضال البروليتاريا الطبقي، وقيادة هذا النضال الذي هدفه النهائي هو ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية، وتنظيم المجتمع الاشتراكي".

***نقد لينين لمن يسمون ب "المجددين"**

"ونحن نسأل الآن: أي شيء جديد قدمه لهذه النظرية "مجددوها"، الصخابون الذين أثاروا في زمننا هذه الضجة الشديدة ملتفين حول الاشتراكي الألماني برينشتاين؟ لا شيء أبدا، فإنهم لم يدفعوا خطوة إلى الأمام هذا العلم الذي أوصانا ماركس و انجلز بتطويره، و لم يعلموا البروليتاريا أي أساليب جديدة للنضال إنما تقهقروا فقط، مقتبسين مقتطفات من نظريات متأخرة، و مروجين بين صفوف البروليتاريا، لا لنظرية النضال، بل نظرية التنازل، التنازل أمام أعداء البروليتاريا الألداء، أمام الحكومات و الأحزاب البورجوازية، التي لا تكل في البحث عن وسائل جديدة لمطاردة الاشتراكيين، ولقد كان أحد مؤسسي و زعماء الاشتراكية – الديموقراطية الروسية و أعني به بليخانوف على كامل الحق و الصواب عندما أخضع لنقد صارم لا هوادة فيه "النقد" الأحدث، أي "نقد" برينشتاين، الذي تنكر لنظراته الآن حتى ممثلو العمال الألمان (في مؤتمر هانوفر)".

وتوقع لينين أن يهاجم لوجهة نظره هاته:

"نحن نعرف أن سيلا من الاتهامات سينصب علينا بسبب هذه الأقوال، فإنهم سيرفعون عقيرتهم بالصياح قائلين بأننا نريد تحويل الحزب الاشتراكي إلى طائفة من "الأرتودوكس" تضطهد الهراطقة لارتدادهم عن "العقيدة"، ولكل رأي مستقل وخلافه. ونحن نعرف جميعا هذه التعابير اللاذعة الدارجة، ولكنها لا تنطوي على أي ذرة من الحقيقة، ولا على أي ذرة من المعنى".

ثم يضيف:

"فلا يمكن أن يقوم حزب اشتراكي صلب إذا لم تكن ثمة نظرية ثورية توحد جميع الاشتراكيين، و يستمدون منها جميع معتقداتهم و يطبقونها في أساليب نضالهم و طرائق نشاطهم، و إذا ما دافعنا عن هذه النظرية، التي تعتبر صحيحة في أعمق اعتقادنا دون التهجمات الباطلة، و بدون محاولات تشويهها، فإن هذا لا يعني البتة أننا أعداء كل انتقاد، فنحن لا نعتبر أبدا نظرية ماركس

شيئا كاملا لا يجوز المساس به، بل إننا على العكس، مقتنعون بأنها لم تفعل غير أنها وضعت حجر الزاوية لذلك العلم الذي يترتب على الاشتراكيين أن يدفعوه إلى البعد في جميع الاتجاهات إذا شاءوا ألا يتأخروا عن موكب الحياة".

انطلاقا مما سبق، يجيب لينين عن المسائل الرئيسية التي تنبثق عن تطبيق البرنامج المشترك بين جميع الاشتراكيين - الديموقراطيين في روسيا.

"لقد قلنا أن كنه هذا البرنامج يتلخص في تنظيم نضال البروليتاريا الطبقي، وفي قيادة هذا النضال، الذي هدفه النهائي ظفر البروليتاريا بالسلطة السياسية و إقامة المجتمع الاشتراكي. إن نضال البروليتاريا الطبقي ينقسم إلى نضال اقتصادي (نضال ضد مختلف الرأسماليين أو ضد جماعات مختلفة من الرأسماليين من أجل تحسين وضع العمال) ونضال سياسي (نضال ضد الحكومة من أجل توسيع حقوق الشعب، أي من أجل الديموقراطية ومن أجل توسيع السلطة السياسية للبروليتاريا)".

بعد ذلك، يقوم لينين بنقد لأولئك اللذين يشرفون على جريدة (رابوتشايا ميسل)، كان هؤلاء يعتبرون أن النضال الاقتصادي أهم بما لا يقاس، ويؤجلون النضال السياسي أو يكاد، إلى مستقبل قد يبعد أو يقرب، ويقول لينين في هذا الصدد:

"إن هذا الرأي غير صحيح إطلاقا، فإن جميع الاشتراكيين – الديموقراطيين متفقين على أنه من الضروري تنظيم نضال الطبقة العاملة الاقتصادي، وأنه من الضروري القيام بالتحريض بين العمال في هذا الميدان أي مساعدة العمال في نضالهم اليومي ضد أرباب العمل، ولفت انتباههم إلى جميع أشكال وحالات التعسف، وتبيان ضرورة الاتحاد وتوضيحها لهم على هذا النحو، ولكن نسيان النضال السياسي بسبب النضال الاقتصادي، يعني التخلي عن الموضوعة الأساسية في الاشتراكية الديموقراطية العالميةِ، يعني نسيان ما يعلمهم تاريخ كل الحركة العمالية".

"إن النضال الاقتصادي، أيا كان، لا يمكنه أن يعطي العمال تحسينا ثابتا، ولا يمكنه حتى يجري على نطاق واسع، إذا لم يتوفر للعمال الحق في تنظيم الاجتماعات والجمعيات بحرية وإصدار جرائدهم، وإرسال ممثليهم إلى المجالس الشعبية كما يفعل عمال ألمانيا وجميع البلدان الأوروبية الأخرى (عدا روسيا وتركيا)".

ولذلك من أجل تحقيق تلك الحقوق، يقول لينين:

"يجب خوض النضال السياسي، وفي روسيا، ليس العمال وحدهم من هم محرومون من الحقوق السياسية، بل أيضا جميع المواطنين. إن روسيا ملكية أوتوقراطية لا حدود لسلطاتها، والقيصر وحده يسن القوانين ويعين الموظفين، ويشرف عليهم، ومن هنا يخيل أن القيصر والحكومة القيصرية في روسيا لا يتبعان أي طبقات، ويعنيان بالجميع على قدم المساواة، أما في الواقع، فإن جميع الموظفين يؤخذون فقط من طبقة المالكين وجميعهم يخضعون لنفوذ كبار الرأسماليين الذين يفعلون بالوزراء ما يريدون ويتوصلون إلى كل ما يريدون.

إن الطبقة العاملة الروسية تعاني نيرا مزدوجا، فإن الرأسماليين والملاكين العقاريين ينهبونها ويسلبونها، والبوليس يقيد يديها ورجليها لكيلا تتمكن من النضال ضدهم، ويسد فمها، ويقمع كل محاولة للذود عن حقوق الشعب، وكل إضراب ضد الرأسماليين يؤدي إلى توجيه البوليس والجيش إلى العمال، وكل إضراب ضد الرأسماليين يؤدي إلى توجيه البوليس والجيش إلى العمال، وكل نضال اقتصادي يتحول حتما إلى نضال سياسي، وينبغي للاشتراكية الديموقراطية أن تجمع هذا وذاك بعرى لا انفصام لها في نضال طبقي واحد تخوضه البروليتاريا. أما الهدف الأول والرئيسي لهذا النضال فيجب أن يكون الظفر بالحقوق السياسية، الظفر بالحرية السياسية".

وفيما يخص المضمون الديموقراطي لهذا النضال، الذي يجب أن تخوضه الطبقة العاملة الروسية يقول لينين:

"إن الطبقة العاملة ستتمكن وحدها أيضا من خوض نضالها الاقتصادي والسياسي، حتى، وإن لم تلق أي عون من أي طبقة أخرى، ولكن العمال ليسوا وحدهم في النضال السياسي، فإن حرمان الشعب حرمانا تاما من الحقوق وتعسف الموظفين الباشبوزوقات الوحشي يثيران غضب جميع الناس المتعلمين الشرفاء نوعا، الذين لا يمكنهم أن يسلموا باضطهاد كل كلمة حرة وكل فكر حر، يثيران غضب الملاحقين من البولونيين و الفلنديين و اليهود وأتباع الشيعة الروسية، يثيران غضب صغار التجار والصناعيين والفلاحين، الذين لا يجدون من يحميهم من تعسف الموظفين والبوليس. إن جميع فئات السكان هذه عاجزة، كلا بمفردها، عن النضال السياسي العنيد، ولكن عندما ترفع الطبقة العاملة راية هذا النضال، فإن يد المساعدة ستمتد لها من كل مكان. إن الاشتراكية –الديموقراطية الروسية، ستسير في طليعة جميع المناضلين من أجل حقوق الشعب، جميع المناضلين من أجل الديموقراطية، وآنذاك ستصبح منيعة لا تقهر!".

ويقول لينين عن هذه الأفكار:

"هذه هي نظراتنا الأساسية، التي سنعرضها في جريدتنا بدأب وانتظام، ومن جميع النواحي، ونحن على اقتناع بأننا على هذا النحو سنسير في السبيل الذي رسمه الحزب العمالي الاشتراكي – الديموقراطي الروسي في البيان الذي أصدره".

بما نبدأ؟ لينين

كتب هذا المقال في ماي 1901، وصدر نفس الشهر والسنة في جريدة "إسكرا" العدد 4.

المقالة مخصصة للجواب عن سؤال ما العمل؟ الذي كان يطرح في السنوات الأخيرة أمام الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس.

ويقول لينين بأن:

"ليس المقصود اختيار السبيل (كما كان الحال في أواخر العقد التاسع وأوائل العقد العاشر (ق 19))، بل المقصود أن نعرف أية خطوات عملية يتعين علينا أن نخطوها في السبيل المعروف، وبأية طريقة على وجه الضبط".

ويجيب لينين:

"إن المقصود هو منهج وخطة النشاط العملي، ولا بد من الاعتراف بأن هذه المسألة المتعلقة بطابع النضال و وسائله، والأساسية بالنسبة لحزب عملي لم نجد بعد حلا لها عندنا، ولا تزال تثير خلافات جديدة تدل على تقلقل واضطراب في الأفكار يؤسف لها".

يتناول لينين هنا، مسألة الاقتصادوية وانعكاساتها على الاشتراكية – الديموقراطية الروسية من نواحي تكتيك النضال الاقتصادي والسياسي والتنظيم الكفاحي. وبعد تسجيل ارتياحه بكون أنصار "رابوتشيه ديلو" قد استوعبوا بسرعة البرنامج الذي عرضته "إسكرا" في عددها الأول، ذلك البرنامج القائل بإنشاء حزب منظم قوي، لا يكتفي بالظفر ببعض التنازلات فحسب، بل ينبغي له كذلك الاستيلاء على قلعة الحكم المطلق ذاتها. ويضيف لينين أن عدم وجود أية وجهة نظر ثابتة عند هؤلاء المستوعبين الجدد من شأنه أن يفسد كل ارتياح، ثم يستمر لينين في نقده، من خلال نقد تعامل جريدة "رابوتشيه ديلو" مع شعار ليبنيخت "**إذا تغيرت الأحوال في 24 ساعة، تعين تغيير التاكتيك أيضا في 24 ساعة**".

وحول هذا التعامل يقول لينين:

"من العبث طبعا أن تستغل "رابوتشيه ديلو" ليبنيخت، ففي 24 ساعة يمكن تغيير التاكتيك، التحريض حول قضية خاصة ما، و تاكتيك تطبيق تفصيل ما من التنظيم الحزبي، ولكن أولئك الذين لا مبدأ لهم على الإطلاق هم وحدهم الذين يسعهم أن يغيروا، لا في 24 ساعة فحسب، ولكن حتى في 24 شهرا آراءهم فيما إذا كانت ثمة حاجة على العموم، وعلى الدوام، وبكل تأكيد إلى التنظيم الكفاحي والتحريض السياسي بين الجماهير، ومن المضحك الاستشهاد باختلاف الأحوال وبتعاقب المراحل: فإن العمل على إنشاء التنظيم الكفاحي، وعلى تحقيق التحريض السياسي أمر إلزامي في الظرف "الرمادي السلمي" أيا كان في مرحلة هبوط

المعنويات الثورية أيا كانت، ناهيك عن أن هذا العمل ضروري بخاصة في مثل هذا الظرف على وجه الضبط، لأنه يفوت أوان إنشاء التنظيم في أوقات الانفجارات والغليانات، ينبغي أن يكون التنظيم جاهزا لكي يقوم بنشاطه على الفور".

"يجب تغيير التاكتيك في 24 ساعة!". ولكن لأجل تغيير التاكتيك يجب أولا أن يكون هناك تاكتيك، وإذا لم يوجد تنظيم قوي متمرس للنضال السياسي في جميع الظروف والمراحل، فلا يمكن أن يكون موضع بحث أي مشروع للعمل متماسك الأجزاء، يرتكز على مبادئ ثابتة وينفذ باستقامته مشروع يستحق وحده من دون سائر المشاريع تسميته بالتاكتيك.

ينتقد لينين موقف "رابوتشيه ديلو" الداعي إلى تغيير تاكتيك النضال وتبني أسلوب الإرهاب، ويبسط لينين موقف الماركسية في مسألة الإرهاب، وذلك على المستوى النظري، ثم يربط ذلك بظروف تنامي الحركة العمالية الروسية، التي تستدعي بناء الأداة السياسية، والارتباط بتلك الجماهير والقضاء على تبعثرها بدل دفع طلائعها إلى تبني أسلوب الإرهاب الفردي. وفي كل الأحوال، فمسألة الإرهاب في روسيا ليست جديدة وإن أعادت ظهورها في السنوات الأخيرة.

ويقول لينين منتقدا شعار الجريدة المذكورة: "**الإقدام على الهجوم**" بل يجب أن يكون: "**ضرب حصار محكم حول قلعة العدو**".

ويضيف في مكان آخر قائلا:

"إن مهمة حزبنا المباشرة لا يمكن أن تكون دعوة جميع القوى الموجودة إلى الهجوم الآن بالذات، بل يجب أن تكون الدعوة إلى خلق تنظيم ثوري أهل لتوحيد جميع القوى وبقيادة الحركة، لا بالاسم فحسب، بل بالفعل أيضا في أن يكون مستعدا على الدوام لتأييد كل احتجاج وكل غليان، وللاستفادة من هذه الاحتجاجات والغليانات في زيادة وتعزيز القوات الحربية الصالحة للمعركة الفاصلة".

يقول لينين، أن المطلوب في الوقت الحاضر ليس الحل المبدئي، بل الحل العملي، وليس المطلوب أن نوضح لأنفسنا أي تنظيم على وجه الدقة ينبغي لنا – ولأي عمل على وجه الضبط – بل المطلوب أن نرسم مشروعا معينا للتنظيم، لكي يمكن الشروع في بنائه في

جميع الجوانب. وقال أنه، نظرا لإلحاح المسألة وأهميتها، يعتزم من جهته أن يعرض على الرفاق مسودة مشروع، سيبسطه بمزيد من التفصيل في كراس يهيئه للطبع.

***مخطط لينين**

- تأسيس جريدة سياسية لعامة روسيا

- نقطة انطلاق النشاط

- الخطوة العملية الأولى لإنشاء التنظيم المنشود

- الخيط الأساسي الذي يمكن التمسك به

- تطوير هذا التنظيم وتعميقه وتوسيعه باستمرار

بدون الجريدة يرى لينين أنه:

ـ يستحيل القيام بدأب وانتظام بالدعاية والتحريض المبدئيين والشاملين، وهو الذي يشكل المهمة الدائمة والرئيسية التي تجابه الاشتراكية – الديموقراطية على العموم، وفي الظرف الراهن.

ومن هنا يجب إكمال التحريض المبعثر بالتأثير الشخصي عبر المناشر والكراريس. وهذا التحريض المعمم والمنتظم لا يمكن القيام به إلا بواسطة الصحافة الدورية.

يقول لينين أن الحركة، سواء على الصعيد الفكري أو العملي، التنظيمي، تشكو أكبر مما تشكو من التشتت، من أن الاشتراكيين – الديموقراطيين غارقون كليا تقريبا بأغلبيتهم الهائلة في لجة العمل المحلي الصرف، الذي يضيق على السواء، أفقهم الفكري ومجال

نشاطهم، ومقدرتهم على النشاط السري واستعدادهم له، والجريدة هي طريق الخلاص من هذا النقص، فبدون جريدة سياسية لا يمكن تصور حركة جديرة بأن توصف أنها سياسية، وهذا يعني استحالة كلية في تنفيذ مهمة تركيز جميع عناصر الاستياء والاحتجاج السياسي، وتلقيح الحركة الثورية للبروليتاريا بها، فبعدما أيقظنا في الطبقة العاملة الشغف بالتشهير الاقتصادي المصنعي، ينبغي لنا أن نخطو الخطوة التالية، وهي أن نوقظ الشغف إلى التشهير السياسي في جميع فئات السكان الواعية بعض الشيء.

في وسعنا اليوم، ومن واجبنا إنشاء منبر للتشهير بالحكومة القيصرية أمام الشعب كله، وهذا المنبر ينبغي أن يكون "الجريدة الاشتراكية الديموقراطية".

يقول لينين حول الجريدة:

"بيد أن دور الجريدة لا يقتصر على مجرد نشر الأفكار، على مجرد التربية السياسية، واجتذاب الحلفاء السياسيين، إن الجريدة ليست فقط داعية جماعيا، ومحرضا جماعيا، بل هي في الوقت نفسه منظما جماعيا، ومن هذه الناحية الأخيرة يمكن أن تقارن بالسقالات التي تنصب حول بناية يجري تشييدها تشير إلى معالم البناية، وتسهل الاتصال بين البناة، وتساعدهم على توزيع العمل بينهم، وعلى رؤية مجمل النتائج التي أحرزها العمل المنظم، وبواسطة الجريدة، وبالاتصال معها، سيتكون من تلقاء ذاته تنظيم دائم لا يقوم بعمل محلي فحسب، بل يقوم أيضا بعمل عام منتظم، ويعود أعضاءه على تتبع الأحداث السياسية باهتمام وعناية، وتقدير أهميتها وتأثيرها في مختلف فئات السكان، وإيجاد أساليب صائبة لتأثير الحزب الثوري في هذه الأحداث. وإن المهمة التكتيكية وحدها - وهي تزويد الجريدة بالمواد بانتظام وتوزيعها بانتظام – تجبر على إنشاء شبكة من العملاء المحليين للحزب الموحد، عملاء يكونون على صلة حية بعضهم مع بعض، ويعرفون وضع الأمور العام، ويعتادون على أن ينفذوا بانتظام وظائف العمل الروسي العام الجزئية، ويمتحنون قواهم في تنظيم هذه أو تلك من الأعمال الثورية. إن هذه الشبكة من العملاء، ستكون صقالة هذه المنظمة التي نحتاجها على وجه التحقيق: منظمة تكون على ما يكفي من الكبر، بحيث تشمل البلد كله، على ما يكفي من رباطة الجأش، بحيث تستطيع في جميع الظروف، وفي جميع "الانعطافات" والمفاجآت أن تقوم بعملها باستقامة،

على ما يكفي من المرونة، بحيث تستطيع من جهة، أن تتجنب المعركة في ميدان مكشوف، ضد عدو ذي قوة ساحقة، وحشد جميع قواه في نقطة واحدة، وبحيث تستطيع من جهة أخرى أن تستغل خراقة هذا العدو وتهاجمه حيث، وعندما لا يتوقع الهجوم".

في ختام المقالة، ولإبعاد تهمة الدوغمائية عن تصوره السياسي كتب لينين هذه الفقرة الرائعة:

"وختاما، بعض الكلمات تجنبا لكل سوء فهم محتمل. لقد تحدثنا على الدوام على التحضير الدائب المنتظم، المنهاجي فقط، ولكننا لم نقصد البتة أن نقول بهذا، أنه ليس من الممكن أن يسقط الحكم المطلق إلا من جراء حصار محكم وهجوم منظم.

إن هذه النظرة هي نظرة عقائدية جامدة غبية، الأمر بالعكس. فمن الممكن تماما، ومن المحتمل أكثر بكثير تاريخيا، أن يسقط الحكم المطلق تحت ضغط أحد هذه الانفجارات العفوية، أو التعقيدات السياسية غير المتوقعة، التي تتهدده على الدوام من جميع الجهات، ولكن حزبا سياسيا واحدا لا يسعه إن لم ينزلق إلى المغامرة، أن يبني نشاطه على أمل حدوث هذه الانفجارات والتعقيدات.

يجب علينا أن نسير في طريقنا، وأن نقوم باستقامة بعملنا المنتظم، وبقدر ما يقل اعتمادنا على المفاجآت، بقدر ما تزداد الاحتمالات بألا تباغتنا "الانعطافات التاريخية " أيا كانت".

رسالة إلى رفيق حول مهامنا التنظيمية ـ لينين

كتبت سنة 1902

الجزء الأول

الرسالة هي جواب لينين على أحد الرفاق، الذي طالبه بنقد مسودة تحت عنوان **"منظمة الحزب الثوري في سان بترسبورغ"**، ويشير لينين إلى أن الرسالة المطروحة ذات درجة بالغة من الأهمية، يجب أن يشترك في مناقشتها كافة أعضاء لجنة سان بترسبورغ، بل جميع الاشتراكيين – الديموقراطيين في عموم روسيا.

منذ البداية، عبر لينين عن اتفاقه الكامل، مع صاحب الرسالة الذي بين فيها عدم صلاحية التنظيم السابق.

ويلخص لينين القضية في:

1ـ الافتقار إلى التدريب الجاد والتربية الثورية.

2 ـ التطبيق غير المناسب والمسرف لمبدأ الاختيار.

3- اغتراب العمال عن النشاط الثوري الفعال، هذا هو مكمن النقص الأساسي الذي تعاني منه بالفعل منظمة بترسبورغ وكثير غيرها من المنظمات المحلية لحزبنا.

يتفق لينين اتفاقا تاما بأن الواجب يدعو بصفة خاصة إلى التشديد على المهمات المرتبطة بالعمل على روسيا كلها، وبعمل الحزب ككل.

ويشير لينين إلى أن:

"الجريدة يمكن، وينبغي أن تكون القائد الإيديولوجي للحزب، تنمي الحقائق النظرية والأسس التكتيكية، والأفكار التنظيمية العامة، والمهمات التي يجابهها الحزب بصورة عامة في وقت من الأوقات. غير أن القائد العملي المباشر للحركة لا يمكن أن يكون إلا مجموعة مركزية خاصة (ولنطلق عليها اتفاقا اسم اللجنة المركزية، مثلا).

هذه المجموعة هي التي تديم الصلات المباشرة لكافة اللجان، وتضم أفضل القوى الثورية بين الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس، وتقوم بإدارة كافة الشؤون العامة للحزب، مثل توزيع الأدبيات وإصدار البيانات وتوزيع القوى، وتنسيب الأفراد والجماعات للقيام بالمهمات الخاصة، والإعداد للمظاهرات والانتفاضة على نطاق روسيا كلها ... ولما كان من الضروري الحفاظ على أقصى قدر من سرية التنظيم ، وتأمين الاستمرارية للحركة، لهذا، يمكن لحزبنا، ويجب عليه أن يمتلك مركزين قياديين هما : الصحيفة المركزية واللجنة المركزية، تقع على الأولى مسؤولية القيادة الإيديولوجية، وعلى الثانية مسؤولية القيادة المباشرة و العملية.

من الضروري تأمين وحدة العمل والتعاضد المطلوب بين هاتين المجموعتين، ليس خلال برنامج واحد للحزب فحسب، وإنما من خلال تركيب المجموعتين أيضا (إذ أن المجموعتين، الصحيفة المركزية واللجنة المركزية، يجب أن تتألف من أشخاص ينسجمون فيما بينهم انسجاما كليا) وعقد كونفرانس مشترك بصفة دورية ومنتظمة. في تلك الحالة فقط، يمكن أن تكون الصحيفة المركزية من جهة بعيدة عن متناول الشرطة الروسية، ويضمن لها الثبات والاستمرارية، في نفس الوقت الذي تكون فيه اللجنة المركزية منسجمة مع الصحيفة المركزية بخصوص جميع القضايا الأساسية، وتتمتع بصلاحية كافية لتتولى أمر العناية بكافة الجوانب العملية من الحركة بصورة مباشرة".

وفي سياق تدقيق بعض المسائل التي طرحتها الرسالة يقول لينين:

"ينبغي ألا تكون هناك إلا لجنة واحدة لحزب العمال الاشتراكي – الديموقراطي الروسي (المقصود هنا اللجنة المحلية) ومن الواجب أن تتألف هذه اللجنة من اشتراكيين – ديموقراطيين يمتلكون قناعة تامة، ويكرسون أنفسهم تكريسا تاما للنشاطات الاشتراكية – الديموقراطية. علينا أن نقوم بسعي خاص من أجل توفير أكبر عدد ممكن من العمال اللذين يملكون وعيا طبقيا مكتملا، ويعملون كثوريين محترفين وأعضاء في اللجنة".

الجزء الثاني

في هذا الجزء يتحدث لينين عن مسألة حلقة الدعاة:

1- "تصدر اللجنة تعليماتها إلى عدد من أعضائها لتنظيم مجموعة من الدعاة (تكون فرعا من فروع اللجنة أو واحدة من الهياكل التابعة لها) ولفرض الحفاظ على سرية العمل، على هذه المجموعة أن تستفيد من خدمات مجموعات المنطقة، وتقوم بالدعاية في سائر أرجاء البلدة، وضمن كافة الأحياء "الداخلة ضمن اختصاص" اللجنة. وإذا استدعت الضرورة، يحق لهذه المجموعة إقامة عدد من المجموعات المتفرعة تعهد إليها مثلا، بقسم من وظائفها، غير أن كل هذا لا يمكن القيام به من دون موافقة اللجنة، التي لها دائما أن تمتلك الحق غير المشروط في إرسال من ينوب عنها إلى أية مجموعة أو مجموعة متفرعة أو حلقة مهما كانت صلتها بالحركة.

2-يجب تبني نفس نمط التنظيم، ونفس النوع من فروع اللجنة أو هياكلها من مختلفة المجموعات العاملة في الحركة بكافة أشكالها، المجموعات الطلابية في الجامعات والثانويات، المجموعات المؤيدة لنا بين موظفي الحكومة مثلا، مجموعة النقل والطباعة والجوازات، مجموعات تنظيم أماكن الاجتماعات السرية، مجموعات تعقب الجواسيس، المجموعات العسكرية، مجموعات تزويد السلاح، مجموعات تنظيم "المشروعات المربحة ماليا" مثل ...".

3-"يجب أن يقوم كامل فن إدارة التنظيم السري على الاستفادة من كل ما هو ممكن، و "في إعطاء كل فرد واجبا يقوم به"، في نفس الوقت الذي يجري فيه الاحتفاظ بقيادة الحركة كلها، لا بفضل الصلاحيات التي تتمتع بها فقط، و لإنما بفضل النفوذ والإمكانية، وتوفر قدر أعظم من الخبرة والقدرات المتعددة والموهبة".

هناك اعتراض منتظر حول إذا كانت المركزية الصارمة، وكان في المركز شخص غير مقتدر تناط به سلطات واسعة، فالحركة سيتم تقويضها بمنتهى السهولة".

يجيب لينين قائلا:

"هذا ممكن بطبيعة الحال، بيد أن تحاشيها باللجوء إلى مبدأ الاختيار والمركزية التي لا يجوز تطبيقها على نطاق واسع في ظل الحكم الأتوقراطي، ولا يمكن لأي نظام داخلي أن يوفر سبل الوقوف بوجهه، فمثل هذه السبل لا تتوفر إلا من خلال "إجراءات" التأثير الرفاقي، ابتداء من قرارات كل مجموعة متفرعة ، سويا ، أو على انفراد، مقترنة بنداءاتها إلى الصحيفة المركزية واللجنة المركزية، وانتهاء بإزاحة الأشخاص المسؤولين (إذا سارت الأمور من سيء إلى أسوأ) الذين لا تتوفر لديهم القدرة إطلاقا، يجب على اللجنة أن تسعى إلى تحقيق أقصى قدر ممكن من تقييم العمل الثوري، من قابليات متنوعة، وما يصادف أحيانا من وجود شخص قد لا ينفع أبدا كمنظم، ولكنه ربما أصبح محرضا لا يقدر بثمن، أو شخص لا تتوفر فيه الصفات المطلوبة في أداء العمل السري الدقيق، لكنه يمكن أن يصبح داعية ممتازا...".

ويلخص لينين أقواله السابقة فيما يلي:

*بالنسبة للمستويات التنظيمية:

"باختصار، يجب أن يكون النمط العام، حسب ما أرى، كالتالي، لابد أن تكون هناك لجنة على رأس الحركة المحلية بأسرها للنشاطات الاشتراكية – الديموقراطية المحلية كلها، عن هذه اللجنة تتفرع الهياكل والفروع التابعة لها، مثلا، أولا، شبكة العملاء التنفيذيين، التي تضم (قدر الإمكان) جمهرة الطبقة العاملة كلها، وتنظم على شكل مجموعات منطقة ولجان متفرعة عن المصنع (أو المعمل) تنخرط هذه الشبكة وقت السلم في توزيع الأدبيات والبيانات والنداءات، والاتصالات السرية باللجنة، وتنظم في أوقات الحرب، المظاهرات وغيرها من النشاطات الجماعية.

ثانيا، تتفرع اللجنة كذلك إلى حلقات ومجموعات من شتى الأنواع تخدم الحركة كلها (دعاية، نقل، سائر أشكال النشاط السري ...) وعلى كافة المجموعات والحلقات واللجان المتفرعة التمتع بمركز لجنة ولجنة متفرعة، قسم منها سيعلن جهارا عن رغبته

في الانضمام إلى الحزب العمالي الاشتراكي – الديموقراطي الروسي، و ذا وافقت اللجنة على ذلك، فإنه سينضم إلى الحزب، ويتعهد بأداء وظائف محددة (بأوامر من اللجنة أو باتفاق معها) وعليه أن يطيع أوامر أجهزة الحزب، وتكون له نفس حقوق الأعضاء الآخرين، ويعتبر في الحال مرشحا إلى عضوية اللجنة ... وسوف لن ينضم آخرون إلى عضوية حزب العمال الاشتراكي – الديموقراطي الروسي، بل ينتظمون في حلقات يشكلها أعضاء الحزب، أو تكون لهم علاقة بإحدى المجموعات الحزبية أو الأخرى ...".

*بالنسبة لأساليب العمل:

"إن درجة سرية مختلف الحلقات والشكل التنظيمي لها سيتوقف على طبيعة الوظائف، ولهذا، فسوف تكون التنظيمات تبعا لذلك متنوعة للغاية (تتراوح ما بين نمط التنظيم الأشد ضيقا وصرامة وأكثرهم محدودية إلى النمط "الأكثر حرية" وسعة وانفتاحا، الذي لا يقوم على أساس صارم). على سبيل المثال، يجب الحفاظ على السرية التامة والضبط العسكري في مجموعات التوزيع. كما أنه من الضروري الحفاظ على السرية في مجموعات الدعاة، ولكن الضبط العسكري يكون فيها أيضا أقل بدرجة كبيرة، كما تتطلب مجموعات قراءة الأدبيات الممنوعة، أو تنظيم المناقشات والمطالب النقابية أقل سرية من ذلك، وهلم جرا. يجب أن تكون مجموعة التوزيع تابعة إلى حزب العمال الاشتراكي – الديموقراطي الروسي، ولديها معرفة بعدد محدد من أعضائه وموظفين، ولا يشترط في مجموعات دراسة ظروف العمل وصياغة المطالب النقابية أن تكون تابعة إلى الحزب العمالي الاشتراكي – الديموقراطي الروسي. كما أنه على مجموعات الطلبة والضباط أو موظفي الدولة المنخرطة في التثقيف الذاتي بالاشتراك مع أحد أعضاء الحزب ألا تشعر أحيانا بأن لهذا التثقيف أدنى علاقة بالحزب ...".

*في الربط بين المركزية واللامركزية:

لقد تحدث لينين لحد الآن حول مبدأ هام للغاية لكافة منظمات الحزب ونشاطاته، بمعنى آخر، الحديث عن توفر أقصى قدر من المركزية فيما يتعلق بالقيادة الإيديولوجية والعملية للحركة والكفاح الثوري للبروليتاريا.

ويتحدث الآن في المقابل عن ضرورة توفر أقصى قدر من اللامركزية فيما يتعلق بجعل مركز الحزب (وبالتالي الحزب كله) على علم بأحوال الحركة وما له علاقة بالمسؤولية إزاء الحزب.

"يجب أن تودع قيادة الحركة بيد أصغر عدد من الثوريين المحترفين، الذين يتألفون في جماعات على أقصى قدر من التجانس وأقصى قدر من الخبرة العملية. وعلى المساهمين في الحركة أن يتغلغلوا في أكبر عدد ممكن من المجموعات المتنوعة والمتنافرة إلى أقصى الحدود من أقسام البروليتاريا غاية التنوع (وكذلك إلى الطبقات الأخرى من الشعب").

"يجب أن تكون بحوزة الحزب، ليس المعلومات الدقيقة فقط، المتعلقة بنشاطات كل مجموعة من هذه المجموعات، بل وأكمل المعلومات الممكنة بخصوص تركيبها كذلك. علينا كذلك (ولذلك السبب بعينه لأنه بدون توفر المعلومات تصبح المركزية أمرا غير ممكن)، وبقدر ما نستطيع أن نضفي طابعا لا مركزيا بأعلى المسؤولية من الحزب من جميع أعضائه كأفراد، ومن جانب كل من له دور في العمل، ومن كل حلقة تعود إلى الحزب أو على اتصال به. هذه اللامركزية شرط مسبق للمركزية الثورية ودواء شاف لها، وعندما تتحقق المركزية كما ينبغي، وتكون بحوزتنا صحيفة مركزية ولجنة مركزية، عندها فقط، يمكن لكل مجموعة مهما بلغت من الصغر أن تتصل بها، ولا تتصل بها فقط، بل وتتصل بها على نحو منتظم بفضل نظام قام على خبرة سنوات، وفي تلك الحالة فقط، يمكن القضاء على إمكانية نشوء عواقب وخيمة من جراء تركيب غير مناسب حدث صدفة لإحدى اللجن المحلية. وإذ نوشك الآن أن نصل إلى وحدة فعلية للحزب، وخلق مركز قيادي حقيقي، يجب علينا أن نتذكر جيدا أن هذا المركز سيكون عاجزا إذا لم ندخل عليه في الوقت ذاته أقصى قدر من اللامركزية، سواء ما تعلق من ذلك بالمسؤولية إزاء المركز، أو إبقائه على علم بكل صغيرة وكبيرة في الوجه الآخر من تقسيم العمل، الذي يعتبر عادة واحدا من ألح الضرورات العملية لحركتنا، ولا يستطيع أي اعتراف رسمي بمنظمة من المنظمات على أساس كونها المركز القيادي، ولإنشاء لجنة مركزية شكلية، لا يستطيع

هذا كله أن يجعل من حركتنا حركة موحدة بحق أو الماكينة الحزبية، وهذه اللامركزية ليست أكثر من حركة تؤدي إلى خلق حزب كفاحي ثابت. إذا استمر مركز الحزب مقطوعا عن العمل التطبيقي المباشر من قبل اللجان المحلية من النمط القديم، أي تلك اللجان التي تتألف من جانب، من خليط منتظم من الأشخاص كل منه يقوم بكافة الأعمال بدون استثناء، دون أن يتخصص في نوع معين من العمل الثوري دون أن يأخذ على عاتقه المسؤولية عن إحدى الواجبات الخاصة، دون أن يقوم بعمل محدد، وينجزه إلى آخره بعد أن أخذه على عاتقه، وجرت دراسته والإعداد له بصورة شاملة ويهدر بالتالي كثيرا من الوقت والطاقة في الضجيج الراديكالي في حين أن هناك، من جانب آخر جمهرة كبيرة من حلقة الطلبة والعمال، نصفها لا تعلم اللجنة أي شيء عنه ونصفها الآخر بطيء ويفتقر إلى التخصص بالقدر نفسه، ولم تتح له الفرصة إلا قليلا لاكتساب خبرة الثوريين المحترفين، أو الانتفاع من خبرة الآخرين، يستهلك وقته بكونفرونسات لا تنتهي (حول كل شيء) ..."

*حول كيفية عمل المركز حسب لينين:

"إذ أريد أن يعمل المركز كما ينبغي، يجب على اللجان المحلية "وأكثر علمية" أن تكون قادرة على الوصول إلى "كمال" حقيقي في هذا الميدان أو ذاك من ميدان النشاط العملي، ليس من شأن المركز فقط تقديم النصح والإقناع والمناقشة (مثلما كانت عليه الحالة سابقا، وإنما عليه في الحقيقة قيادة الأوركسترا، ولهذا، فمن الضروري معرفة من يعزف على هذه الآلة أو تلك بدقة، وأين وكيف استلمت التعليمات وتستلم عند العزف على كل آلة، ومن هو الذي يعزف نشازا (وقت أن تبدأ الموسيقى تصر في الأذن) وأين ولماذا ومن هو الذي ينبغي نقله وكيف وإلى أين، وذلك لكي يكون بالإمكان معالجة التنافر ...

في الوقت الحاضر، وهذا أمر يجب أن يقال بصراحة، نحن إما أننا لا نعرف شيئا عن العمل التنظيمي للجنة من اللجان، اللهم إلا من نداءاتها ومراسلاتها العامة، أو أننا نعرف شيئا عنها من أصدقاء ومعارف طيبين، غير أنه من السخف أن نتصور أن حزبا ضخما، قادرا على قيادة حركة الطبقة العاملة الروسية، ويستعد لشن هجوم على الأوتوقراطية، يمكنه أن يكتفي بشيء كهذا. ينبغي تقليص عدد أعضاء اللجان، يجب أن يعهد لكل منهم، كل ما كان ذلك ممكنا، بوظيفة محددة خاصة وهامة، يجري على أساسها

محاسبتهم. يجب إقامة مركز توجيه خاص وصغير للغاية، وكذلك شبكة من المتعاملين التنفيذيين والعمل على تطويرها، وربط كل لجنة بكل مصنع كبير، ومواصلة التوزيع المنتظم للأدبيات وإعطاء المركز صورة دقيقة عن هذا التوزيع، وعن ميكانيزم العمل كله. وأخيرا يجب تشكيل مختلف المجموعات والحلقات، التي تأخذ على عاتقها مختلف الوظائف، أو توحيد الأشخاص القريبين من الاشتراكيين – الديموقراطيين، وذلك لكي تكون اللجنة والمركز على علم دائم بنشاطات هذه الحلقات (وبتركيبها). على هذه التوجيهات ينبغي أن يعاد تنظيم لجنة بترسبورغ وسائر اللجان الأخرى للحزب ...".

الجزء الثالث

بعد الجزء الأول والثاني يقوم الجزء الثالث بعرض وتلخيص لأهم أطروحات كتاب "ما العمل؟"

ما العمل؟

(المسائل الملحة لحركتنا)

مؤلفات ماركس انجلز لينين

لينين "ما العمل؟" ترجمة إلياس شاهين، طبع في الاتحاد السوفياتي 1986، دار التقدم، موسكو

مقدمة "ما العمل؟"

كتبها لينين في فبراير 1902

"تصبح هذه الجريدة جزء من منفاخ حدادة هائل ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي ويجعل منها حريقا عاما. وحول هذا العمل الذي هو بريء جدا وصغير جدا بحد ذاته، ولكنه منتظم وعام بكل معاني الكلمة، يتعبأ بصورة منتظمة ويتعلم جيش دائم من مناضلين مجربين..."(لينين، ما العمل؟)

يضم الكتاب خمسة فصول:

-الفصل الأول: الجمود العقائدي وحرية النقد

-الفصل الثاني: عفوية الجماهير و وعي الاشتراكية – الديموقراطية

-الفصل الثالث: السياسة التراديونية والسياسة الاشتراكية – الديموقراطية

-الفصل الرابع: عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين

-الفصل الخامس: مشروع جريدة سياسية لعامة روسيا

*** لينين قبل صدور كتاب ما العمل؟**

ولد لينين في 22 أبريل 1870 في مدينة سمبيرسك الواقعة على ضفاف نهر الفولغا، وتسمى حاليا أوليانوفسك.

تشكلت أفكار لينين الماركسية بشكل نهائي بعد تخرجه من جامعة بترسبورغ و حصوله على الدبلوم من الدرجة الأولى في المحاماة، و انتقاله إلى مدينة سمارة للاستقرار، و كانت هذه المدينة الريفية البعيدة عن مراكز الحركة البروليتارية متعبة و مضجرة بالنسبة له، و كان سعي لينين هو الوصول إلى صميم البروليتاريا الصناعية للنضال الثوري على صعيد واسع، وفي خريف 1893 انتقل لينين إلى مدينة بترسبورغ، فاشترك فورا وبشكل فعال في عمل الحلقات الماركسية، وهنا توطدت وتعززت ثقته بالدور التاريخي الذي تلعبه البروليتاريا،

حيث رأى لينين في الطبقة العاملة تجسدا لكل ما هو تقدمي وإنساني: التعطش للعدالة الاجتماعية، الحرية، والسعادة لكافة الكادحين، إمكانية تحقيق الحلم بالعيش برفاهية، والنضال من أجل ذلك بشكل فعال. هكذا وجد لينين في نضاله هذا هدفه في الحياة، وكرس في هذا المجال فكره النابغ وإرادته الحديدية التي لا تقهر.

في صيف 1895، توجه لينين بمبادرة تدعو إلى جمع شمل المجموعات والحلقات الماركسية المتفرقة، وتوحيدها في منظمة سرية واحدة اشتراكية – ديموقراطية ستدخل التاريخ تحت اسم "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة"، لكن في دجنبر من السنة نفسها ألقي القبض على لينين ورفاقه في تلك المنظمة.

بعد 16 شهرا في زنزانة سجنه، نفي لينين إلى قرية شوشنسكويه في سيبيريا، وهنا قرأ لينين العديد من الكتب والمؤلفات، ومارس المراسلة على نطاق واسع.

في غضون السنوات الثلاث التي قضاها في المنفى، قام بتأليف أكثر من 13 كتابا وكراسا، منها "تطور الرأسمالية في روسيا"، "مهام الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس"، "مشروع برنامج حزبنا"،" تعليقا على ميزة الرومانطيقية الاقتصادية ". خلال تواجده في مدينة سمارة، وفي ظروف السجن والمنفى، قام لينين بدراسة أكثر من 500 كتاب ومجموعة وتقرير ومقالة تتعلق باقتصاد روسيا، ثم قام بمراجعة كتابه بكل عناية، وجمع مواده الرئيسية، ونعني بذلك كتاب "تطور الرأسمالية في روسيا".

كلما اقتربت نهاية فترة النفي السيبيري، كلما ازداد اهتمام لينين وتركيزه على مهام و واجبات العمل الثوري اللاحق، ففي هذا المنفى ابتدع لينين خطة لتكوين الحزب الثوري البروليتاري، وقد أفصح عن هذه الخطة في مقالاته: "برنامجنا"، مهمتنا القريبة، "المسألة الملحة".

ومن آخر أعمال لينين في المنفى كان "مشروع برنامج حزبنا"، حيث سيقترح فيه إيلاء الصراع الطبقي للبروليتاريا سمة أكثر دقة، وتوضيح أهداف وغايات هذا الصراع والطابع العالمي للحركة العمالية الثورية العالمية.

في 29 يناير 1900، انتهت فترة النفي التي حوكم بها لينين، فعاد ليسكن في المدينة الروسية العريقة بيسكوف، ذلك لكونه منع من المكوث في موسكو و بترسبورغ وكافة المراكز الصناعية الأخرى، ومن تلك المدينة أخذ لينين زمام قيادة الحياة الثورية في روسيا، وتجنبا لأخطار التنكيل البوليسي، اضطر لينين في صيف 1900 إلى مغادرة روسيا، بيد أن كافة أعماله ونشاطاته، كانت مكرسة آنذاك لهدف واحد وهو تكوين حزب ماركسي للطبقة العاملة في روسيا، وفي المقالة "المهام الملحة لحركتنا" التي كتبها لينين ونشرها في أول عدد من جريدة "إسكرا"، العدد الأول الذي صدر في دجنبر 1900، سيبين لينين من جديد أن البروليتاريا لن تستطيع النهوض إلى صراع طبقي واعد ما لم يكن لها حزب ماركسي.

*** بصدد كتاب ما العمل؟**

يعتبر كتاب "ما العمل؟" امتدادا لمخطط لينين الأول، الوارد في مقالة "**بما نبدأ؟**" الصادرة في جريدة "إسكرا"، العدد 4، ماي 1901. وقد تأخر لينين في إصدار كتابه حسب ما وعد به في تلك المقالة، وذلك بسبب طارئ، وهو أنه جرت سنة 1901 محاولة لتوحيد جميع المنظمات الاشتراكية – الديموقراطية في الخارج، وكان على لينين أن ينتظر نتائج هذه المحاولة، لأن ذلك يؤثر على شكل عرض نظرات "إسكرا" التنظيمية بشكل مختلف، لكن المحاولة باءت بالفشل، وذلك واضح بسبب الانعطاف الجديد نحو الاقتصادوية من جانب "رابوتشي ديلو" في العدد العاشر، وعليه، يقول لينين:

"قد ظهر أن خوض النضال الحازم ضد هذا الاتجاه المائع وغير الواضح المعالم، ولكنه بالمقابل، وبالتالي اتجاه ثابت وقادر على الانبعاث بشتى الأشكال، إنما هو أمر لا مفر منه، وتبعا لذلك، تغير المخطط الأول الموضوع للكراس واتسع جدا.

لقد كان من المقرر أن يكون الموضوع الرئيسي للكراس المسائل الثلاثة الواردة في مقال "بما نبدأ" وهي: طابع تحريضنا السياسي ومضمونه الرئيسي، ومهامنا التنظيمية، ومشروع إنشاء منظمة كفاحية لعامة روسيا".

ويضيف لينين:

"لكن تبين لي أن تنفيذ الفكرة الأولى والاقتصار على بحث هذه المسائل الثلاث في الكراس وعرض وجهة نظري بشكل إيجابي بقدر الإمكان، دون اللجوء البتة إلى الجدال، أو دون اللجوء إليه إلا لماما، هو أمر غير ممكن التحقيق على الإطلاق لسببين اثنين، فقد اتضح، من جهة، أن الاقتصادوية هي أشد حيوية بكثير مما كنا نقدر".

ويضيف:

"ولم يبق مجال للشك في أن اختلاف وجهات النظر حول حل هذه المسائل الثلاث يفسره التضاد الجدري بين اتجاهي الاشتراكية – الديموقراطية الروسية أكثر بكثير مما يفسره اختلاف وجهات النظر حول الجزئيات".

وباشر لينين صياغة كتابه مخالفا بعض الشيء تصميمه الأول، وذلك بتطرقه لشعار "حرية النقد"، بعد ذلك دخل في القضايا الأساسية، التي سبق أن أعلن عنها، ويقول:

" لماذا لا نستطيع الاتفاق حتى حول المسألة الأساسية – دور الاشتراكية – الديموقراطية في الحركة الجماهيرية العفوية؟ وبعد، إن عرض نظراتنا في طابع التحريض السياسي ومضمونه، قد تحول إلى شرح للفرق بين السياسة التريديونية والسياسة الاشتراكية الديموقراطية. أما عرض نظراتنا في المهام التنظيمية، فقد تحول إلى شرح للفرق بين الطريقة الحرفية، التي ترضي الاقتصادويين وتنظيم الثوريين الضروري في رأينا، وبعد، إني أتمسك بمشروع الجريدة السياسية لعامة روسيا بإصرار متزايد. كلما ازداد بطلان الاعتراضات المقدمة ضده، والتهرب من الجواب على جوهر سؤالي المطروح في مقال "بما نبدأ" وهو: كيف يمكننا أن نبدأ في وقت واحد، ومن جميع الجوانب ببناء المنظمة التي نحن بالحاجة إليها".

إن طابع الصراع الرئيسي الذي خاضه لينين، كان موجها ضد جريدة "**رابوتشيه ديلو**"، التي اكتسبت أهمية خاصة وتاريخية، لكونها كما يقول لينين قد أعربت بأتم شكل و أوضحه، لا عن الاقتصادوية المتماسكة، بل عن التشويش والتردد الذين كانا الصفة المميزة

لمرحلة كاملة من تاريخ الاشتراكية – الديموقراطية الروسية، وأن هذا الجدال مع "رابوتشيه ديلو"، الذي يبدو لأول وهلة مفصل جدا، يكتسب لذلك أهمية أيضا، ما دمنا لا نستطيع متابعة السير إلى الأمام دون أن نصفي هذه المرحلة تصفية هامة.

الفصل الأول

الجمود العقائدي و "حرية النقد"

1) ما معنى "حرية النقد"

في زمن كتابة "ما العمل؟" كان هناك شعار يرفع بين المتجادلين داخل الحركات الثورية أو الحركة الاشتراكية – الديموقراطية العالمية، والخاصية التي تميز هذا الشعار أنه تخطى الحدود المحلية ليصبح عالميا، من خلال التضامن والتآزر ما بين الفرقاء في الداخل والفرقاء في الخارج، وسيتمظهر هذا الشعار فيما يخص فحواه ومضمونه منذ أن أعلن برنشتاين و مليران و أذنابهما ما يسمى باتجاه موقف نقدي مما أسموه بالماركسية القديمة الجامدة.

ويلخص لينين فحوى ذلك فيما يخص الاشتراكية - الديموقراطية في:

"ينبغي للاشتراكية – الديموقراطية أن تتحول من حزب للثورة الاجتماعية إلى حزب ديموقراطي للإصلاحية الاجتماعية. هذا المطلب السياسي أحاطه برينشتاين ببطارية كبيرة من البراهين والاعتبارات "الجديدة" نسقها تنسيقا لا بأس به، فقد أنكر إمكانية دعم الاشتراكية علميا، وإمكانية البرهان على ضرورتها وحتميتها من وجهة نظر المفهوم المادي للتاريخ. أنكر واقع تزايد البؤس والتحول إلى البروليتاريا، وتفاقم التناقضات الرأسمالية، وأعلن أن مفهوم الهدف النهائي ذاته باطل، ورفض فكرة دكتاتورية البروليتاريا رفضا قاطعا، أنكر التضاد المبدئي بين الليبرالية والاشتراكية، أنكر نظرية الصراع الطبقي، وزعم أنها لا تنطبق على مجتمع ديموقراطي صرف يدار وفق مشيئة الأكثرية ...".

وحول السياق العام الذي نشأ فيه هذا التيار النقدي، يقول لينين:

"وهكذا، فإن مطلب الانعطاف الحاسم من الاشتراكية – الديموقراطية إلى الإصلاحية الاجتماعية البورجوازية، قد رافقه انعطاف لا يقل حسما نحو النقد البورجوازي لجميع أفكار الماركسية الأساسية. ولما كان هذا النقد يساق ضد الماركسية منذ أمد بعيد من المنابر السياسية ومنابر الجامعات، وفي مجموعة كبيرة من الكراريس، وجملة من الأبحاث العلمية. ولما كان الجيل الثاني الناشئ كله من الطبقات المتعلمة يتربى بانتظام وطيلة عشرات السنين على هذا النقد، فلا غرو أن ينبثق الاتجاه "النقدي الجديد" في الاشتراكية – الديموقراطية بشكله المتكامل دفعة واحدة كما انبثقت منيرفا من رأس جوبتير. لم يكن من الضروري أن يتطور هذا الاتجاه ويتكون من حيث مضمونه، فقد نقل نقلا من المطبوعات البورجوازية إلى المطبوعات الاشتراكية.

ودفع لينين الأطروحات البرنشتاينية حتى نهايتها قائلا:

"وبالفعل، إذا كانت الاشتراكية – الديموقراطية ليست في جوهرها إلا حزب الإصلاحات، وإذا كان ينبغي لها أن تجد في نفسها الجرأة على إعلان ذلك أمام الملأ، فعندئذ لا حق للاشتراكي أن يشترك في الوزارة البورجوازية فحسب، بل ينبغي عليه أن ينزع دائما إلى ذلك. وإذا كانت الديموقراطية تعني في جوهرها إلغاء السيادة الطبقية، فلماذا لا يعمد الوزير الاشتراكي إلى إغراء العالم البورجوازي كله بخطابات عن تعاون الطبقات؟، ولماذا لا يبقى في الوزارة، ولو بعد أن جاءت مصارع العمال على يد الدرك دليلا للمرة المائة، بل الألف عن حقيقة الطابع التعاوني الديموقراطي بين الطبقات؟ ولماذا لا يشترك شخصيا في تحية القيصر، الذي لا ينعته الاشتراكيون الفرنسيون في الوقت الحاضر إلا ببطل المشانق والسياط والمنافي؟ وتعويضا عن هذا الحضيض من الهوان الذي سقطت الاشتراكية فيه، والاحتقار الذي جلبته لنفسها أمام العالم كله، وتعويضا عن إفساد الوعي الاشتراكي بين جماهير العمال، وهو الأساس الوحيد الذي في وسعه أن يضمن لنا الانتصار، تعويضا عن كل ذلك نرى مشاريع طنانة لإصلاحات تافهة، حيث أمكن الحصول على أكثر منها من الحكومات البورجوازية".

وفي مكان آخر، يستمر لينين في تحليل هذه الظاهرة ويقول:

"إن الذين لا يتعامون عن عمد يرون لا محالة أن الاتجاه "النقدي" الجديد في الاشتراكية ليس غير مظهر جديد من مظاهر الانتهازية. وإذا حكمنا على الناس لا على أساس الرداء البراق الذي يخلعونه على أنفسهم بأنفسهم، لا على أساس اللقب الطنان الذي ينحلونه لأنفسهم، بل على أساس تصرفاتهم وعلى أساس ما يدعون إليه في الواقع، اتضح:

أن "حرية النقد" تعني حرية الاتجاه الانتهازي في الاشتراكية – الديموقراطية، حرية تحويل الاشتراكية إلى حزب إصلاحي ديموقراطي، حرية إدخال الأفكار البورجوازية والعناصر البورجوازية إلى الاشتراكية. الحرية كلمة عظيمة، ولكن، تحت لواء حرية الصناعة، شنت أفظع حروب السلب والنهب، وتحت لواء حرية العمل جرى نهب الشغيلة، وعبارة "حرية النقد" في استخدامها الحالي تتضمن مثل هذا الزيف. إن الذين يؤمنون بأنهم دفعوا العلم إلى الأمام لا يطلبون حرية وجود المفاهيم الجديدة إلى جانب المفاهيم القديمة، بل إبدال الجديدة بالقديمة، أما الصرخة الحالية: "عاشت "حرية النقد""، فتشبه شديد الشبه حكاية الطبل الأجوف".

وفي نهاية هذا الفصل (جزء منه) يتوجه لينين إلى أنصار "حرية النقد" قائلا:

"صحيح، صحيح أيها السادة! لا في أن تدعوا وحسب، بل وأيضا في الذهاب إلى المكان الذي يطيب لكم، إلى المستنقع إن شئتم، ونحن نرى أن مكانكم أنتم هو المستنقع بالذات، ونحن على استعداد للمساعدة بقدر الطاقة على انتقالكم أنتم إليه، ولكن رجاؤنا أن تتركوا أيدينا، ألا تتعلقوا بأذيالنا، ألا تلطخوا كلمة الحرية العظمى، ذلك لأننا نحن أيضا أحرار في السير إلى حيث نريد، أحرار في النضال لا ضد المستنقع فحسب بل أيضا ضد الذين يعرجون عليه!".

بعدما تطرق لينين إلى التعريف بما سمي "حرية النقد"، وفي التدقيق في منهجيته ومخرجاته ونتائجه، والدعوة إلى وضع حد فاصل بين الاشتراكيين – الديموقراطيين الثوريين وبين أنصار ما يسمى ب "حرية النقد" الانتهازيين، انتقل لينين إلى التعريف بمن أسماهم المدافعون الجدد عن "حرية النقد"، سيتلوه جزء آخر مخصص في التعريف بالنقد في روسيا.

2)المدافعون الجدد عن "حرية النقد"

التصق شعار "حرية النقد" باسم جريدة "رابوتشيه ديلو" لسان حال "الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس"، وقد طرح الشعار لا كأمر مسلم به نظريا، بل **كمطلب سياسي**، وكجواب على سؤال: "**هل يمكن توحيد المنظمات الاشتراكية – الديموقراطية العاملة في الخارج" "الاتحاد الوطيد يقتضي حرية النقد"**.

انطلاقا مما سبق، يمكن الخلوص إلى استنتاجين واضحين كل الوضوح كما يقول لينين:

1-**"رابوتشيه ديلو" تأخذ على عاتقها الدفاع عن الاتجاه الانتهازي للاشتراكية – الديموقراطية العالمية بوجه عام"**

2-**"رابوتشي ديلو" تطلب حرية الانتهازية في الاشتراكية – الديموقراطية الروسية".**

يقوم لينين ببحث هذين الاستنتاجين ليسجل ما يلي:

. لقد "أظهرت رابوتشيه ديلو" عدم رضاها بوجه خاص بميل "إسكرا" و "زاريا" إلى التنبؤ بالانفصال بين الجبل و الجيروند في الاشتراكية – الديموقراطية العالمية".

وتقول" رابوتشيه ديلو" زاعمة أنه:

"لا يوجد في الحركة الاشتراكية المعاصرة تصادم بين المصالح الطبقية، فهي بمجموعها وبجميع مظاهرها، بما في ذلك البرنشتاينيون المتطرفون، تقف على مصالح البروليتاريا الطبقية، على صعيد نضالها الطبقي في سبيل تحررها الاقتصادي والطبقي".

يرد لينين بسؤال رئيسي، وهو:

"بم يدعم كاتبنا رأيه، إذ يزعم أن البرنشتاينيين المتطرفين يقفون أيضا على صعيد النضال الطبقي في سبيل تحرير البروليتاريا السياسي والاقتصادي؟ لا ندري، لأن الكاتب لا يقدم أية حجة ودليلا على ذلك".

وعن سؤال **"هل يقف هؤلاء على صعيد نضال البروليتاريا الطبقي؟ يجيب لينين بأنه سؤال لا يمكن لغير التجربة التاريخية أن تجيب عنه الجواب النهائي الفاصل".**

"إن القول بأن الحزب الاشتراكي – الديموقراطي الألماني قد حافظ على وحدته لأن الألمان أناس عقلاء، وأن الحزب الفرنسي انقسم لأن الفرنسيين أناس غير متسامحين، أمر يطمس حقيقة المشكل وطبيعته. والحقيقة أن الحزب الاشتراكي – الديموقراطي (الألماني) قد رفض البرينشتاينية مرتين، موجها إنذارا إلى برنشتاين، ولذا، فالتفكير بأن مثل الألمان يثبت دعوى أن البرنشتاينيين المتطرفين يقفون على صعيد نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل تحررها الاقتصادي والسياسي، يعني عدم فهم أي شيء على الإطلاق أمام أعين الجميع.

وفي مواجهة لعبة "الغميضة" حيث يتكلم النقاد الجدد عن الإهانات التي يتعرضون لها، أن تتعرض لها حرية النقد، دون ذكر من هم هؤلاء الذين تعرضوا للإهانة، وفيما تتجلى أطروحات النقاد الجدد على الأرض الروسية".

ويخلص لينين إلى:

"إما أن ينبري المرء، ويعلن أن حرية النقد وحرية البرنشتاينية هما شرط لاتحاد الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس دون أن يبين مظاهر البرنشتاينية الروسية، والثمار الخاصة التي حملتها، وذلك أشبه بمن يتكلم لكيلا يقول شيئا".

وسيحاول لينين في الجزء الثالث من الفصل الأول، فضح، في بضع كلمات، ما لم ترغب في قوله "رابوتشيه ديلو":

3)النقد في روسيا

عند تحليله لخاصية روسيا الأساسية، قال لينين، أنها تتلخص في كون حركة العمال العفوية من جهة، وانعطاف الرأي العام التقدمي نحو الماركسية من جهة أخرى، قد تميزا منذ بدئهما بالذات باتحاد عناصر غير متجانسة بتاتا تحت لواء مشترك، ومن أجل النضال ضد عدو مشترك، أي ضد عقيدة اجتماعية سياسية انقضى زمنها، ونحن هنا نعني "الماركسية الشرعية" في شهر العسل، وقد كانت هذه، بوجه عام ظاهرة على درجة من الأصالة، بحيث لم يكن هنالك في العقد التاسع من يمكنه حتى أن يصدق ولو بإمكانها، ففي بلاد يسودها الحكم المطلق، في بلاد ترزح صحافتها تحت أشد القيود، وفي عهد رجعية سياسية حالكة تنقض على أقل نبتة من نباتات السخط والاحتجاج السياسيين، تشق نظرية الماركسية الثورية فجأة الطريق لنفسها في المطبوعات الخاضعة للرقابة، معروضة بلغة رمزية، ولكنها مفهومة بالنسبة لجميع الذين يهمهم الأمر، فقد اعتادت الحكومة ألا ترى الخطر إلا في نظرية نارودنايا فوليا الثورية، دون أن تلمح، كما يحدث في المعتاد مجرى تطورها الداخلي، ومبتهجة بكل انتقاد يوجه إليها. وقد مر وقت طويل (طويل بالنسبة لنا نحن الروس) قبل أن تنتبه الحكومة للأمر، وقبل أن يتمكن جيش الرقباء والدركي الثقيل من اكتشاف العدو الجديد ومن الانقضاض عليه. وفي هذه الأثناء كانت الكتب الماركسية تصدر واحدا بعد آخر، وتؤسس المجلات والجرائد الماركسية، وغدا الجميع، بالمعنى الحرفي للكلمة ماركسيين، وغدا الماركسيون موضع الإطراء والرعاية، وكان الناشرون في ذروة الحماسة من شدة الإقبال على اقتناء الكتب الماركسية، ومفهوم تماما أن يكون قد وجد أكثر من كاتب مغرور بين الماركسيين المبتدئين المأخوذين بنشوة النجاح ...

ويقول لينين:

"يمكن اليوم التحدث عن ذلك العهد بهدوء، كما يتحدث الإنسان عن أمور مضت، ولا يخفى على أحد أن ازدهار الماركسية المؤقت على هامش مطبوعاتنا، قد نشأ عن تحالف المتطرفين مع المعتدلين جدا، وقد كان هؤلاء الأخيرين في جوهر الأمر ديموقراطيين بورجوازيين، وهذا الاستنتاج (الذي أثبته فيما بعد تطورهم النقدي) يفرض نفسه فرضا على بعضهم حين كان التحالف لا يزال سليما".

***في مسألة التحالفات:**

سيثير لينين مسألة التحالفات، بعد وجود من يحمل الاشتراكيين – الديموقراطيين الثوريين، الذين عقدوا هذا التحالف مع نقاد الغد، القسط الأكبر من مسؤولية الفتنة التي وقعت بعد ذلك، وهنا بالضبط يتطرق لينين إلى مسألة التحالفات إذ يقول:

"ولكن هؤلاء مخطئون تماما، إذ لا يمكن أن يخشى من الأحلاف المؤقتة ولو مع أناس لا يركن إليهم إلا الذين لا يثقون بأنفسهم. ليس يمكن لأي حزب سياسي أن يعيش بدون أحلاف كهذه، وقد كان التحالف مع "الماركسيين الشرعيين" بمثابة تحالف سياسي حقا، تحققه الاشتراكية – الديموقراطية الروسية، فبفضل هذا التحالف تم الانتصار على الشعبوية بصورة خارقة، وانتشرت الأفكار الماركسية انتشارا واسعا (ولو بشكل بسيط)، هذا، والتحالف لم يعقد البتة بدون أي "شرط"، والبرهان: المجموعة الماركسية "وثائق في مسألة التطور الاقتصادي في روسيا"، التي أحرقتها الرقابة سنة 1895. وإذا أمكن مقارنة الاتفاق مع الماركسيين الشرعيين في حقل المطبوعات بالتحالف السياسي، فإنه تمكن مقارنة هذا الكتاب بالمعاهدة السياسية".

وفي أسباب الانفصال عن هذا التحالف، يقول لينين:

"واضح أن الانفصال لم يحدث بسبب أن الحلفاء قد ظهروا ديموقراطيين بورجوازيين، بل بالعكس. وممثلو هذا الاتجاه الأخير هم حلفاء طبيعيون للاشتراكية – الديموقراطية مرغوب فيهم، ما دامت القضية تتعلق بمهامها الديموقراطية، التي يدفعها إلى المقام الأول، الوضع الراهن في روسيا، ولكن الشرط الذي لابد منه لهذا التحالف، هو أن يجد الاشتراكيون الإمكانية التامة ليبينوا

للطبقة العاملة التضاد العدائي بين مصالحها ومصالح البورجوازية، هذا في حين أن البرينشتاينية والاتجاه النقدي، الذين اتجه إليهما أفواج معظم الماركسيين العلنيين، كان من شأنهما أن يسقطا هذه الإمكانية ويفسدا الوعي الاشتراكي بتحقيرهما الماركسية وتبشيرهما بنظرية طمس التناقضات الاجتماعية، وإعلانهما بطلان نظرية الثورة الاجتماعية ودكتاتورية البروليتاريا، وجعلهما حركة العمال والنضال الطبقي تريديونية ضيقة و نضالا واقعيا في سبيل إصلاحات طفيفة و تدريجية. لقد كان هذا يعني تماما إنكار الديموقراطية البورجوازية على الاشتراكية الحق في الاستقلال، وبالتالي الحق في الوجود، وكان هذا يعني في الواقع النزوع إلى تحويل حركة العمال، وهي في بدايتها إلى ذيل لليبراليين".

"وطبيعي أن الانفصال كان في مثل هذه الظروف أمرا لابد منه، و لكن الخاصية التي تفردت بها روسيا، تجلت في كون هذا الانفصال قد آل إلى مجرد إبعاد الاشتراكيين –الديموقراطيين عن المطبوعات العلنية الأوسع انتشارا و الأقرب إلى متناول الجمهور، فقد اعتصم فيها الماركسيون السابقون، اللذين تجمعوا تحت شعار "النقد"، و حصلوا على ما يشبه الاحتكار في سحق الماركسية، و سرعان ما أصبحت هتافات : "ضد الأورتودوكسية"، "فلتحيى حرية النقد"، الهتافات التي تكررها الآن "رابوتشيه ديلو"، عبارات تطابق الموضة، و لم يصمد أمام هذه الموضة لا الرقباء و لا الدرك، يدلنا على ذلك صدور ثلاث طبعات روسية لكتاب برنشتاين الذائع الصيت ... و تواجه الاشتراكيين – الديموقراطيين الآن مهمة صعبة بحد ذاتها. زادتها صعوبة إلى حد لا يتصور عقبات خارجية صرفة، هي مهمة النضال ضد التيار الجديد، و هذا التيار لم يقتصر على ميدان المطبوعات، فقد رافق الانعطاف نحو النقد ميل مقابل، من جانب الاشتراكيين – الديموقراطيين العاملين في ميدان التطبيق نحو الاقتصادوية".

نشوء تحالف جديد:

هنا، يتحدث لينين عن نشوء تحالف جديد، ويقول في هذا الصدد:

"إن كيفية نشوء و تطور الصلة و التبعية المتبادلة بين "النقد العلني" و الاقتصادوية غير العلنية هي مسألة مهمة، يمكن أن تكون موضوع مقال مستقل، حسبنا أن نشير هنا إلى أن هذه الصلة موجودة دون شك، ف "الكريدو" المشهور ما كان ليكتسب هذه الشهرة المستحقة لو لم يصغ بصراحة هذه الصلة، و يكشف عن غير عمد الاتجاه السياسي الأساسي في الاقتصادوية : ليقم العمال بالنضال الاقتصادي (و كان من الأدق أن يقال :النضال التريديوني، لأن التريديونية تشمل كذلك سياسة عمالية صرفة) و ليندمج المثقفون الماركسيون مع الليبراليين من أجل النضال السياسي. إن النشاط التريديوني في الشعب قد ظهر تنفيذا للنصف الأول من المهمة، والنقد العلني للنصف الثاني. وقد كان هذا التصريح سلاحا ممتازا ضد الاقتصادوية لدرجة تحتم معها اختراع "الكريدو" لو لم يكن الكريدو موجودا، لم يخترع الكريدو اختراعا، ولكن ينشر دون موافقة واضعيه، وربما رغم ارادة واضعيه".

*وبعد تحديد خصوصية النقد في روسيا، يتساءل لينين عن مهام الاشتراكيين الديموقراطيين الثوريين، مجيبا في نفس الوقت:

"بماذا كان ينبغي أن تتلخص مهمة اللذين أرادوا أن يكونوا خصوم الانتهازيين فعلا، لا قولا فقط؟ كان ينبغي أولا الاهتمام باستئناف ذلك العمل النضالي، الذي لم يكد يبتدئ في عهد الماركسية العلنية، والذي ألقي الآن مرة أخرى على عاتق المناضلين السريين، فبدون هذا العمل لم يكن بالإمكان نمو الحركة بنجاح. وكان من الضروري، ثانيا، القيام بنضال نشيط ضد "النقد العلني"، الذي كان يفسد العقول إفسادا جديدا، وكان من الضروري ثالثا، النضال النشيط ضد التبعثر والتردد في الحركة العملية بكشف ودحض كل محاولة تبذل بوعي أو غير وعي للحط من مكانة برنامجنا وتكتيكنا".

***ملحوظة: حول مفهوم الوحدة**

يريد النقاد أن يستمر الناس، باعتبارهم ماركسيين و أن تضمن لهم "حريد النقد" التي استغلوها من جميع الوجوه (لأنهم لم يعترفوا في الجوهر بأي ارتباط حزبي، فضلا عن أنهم لم تكن عندنا أية هيئة حزبية يعترف بها الجميع، و تستطيع أن تحد من حرية النقد و لو بالنصح، و يريد الاقتصادويون من الثوريين أن يعترفوا بالحقوق الكاملة للحركة في وضعها الراهن ... أي بشرعنة وجود ما هو موجود،

يريدون ألا يحاول الإيديولوجيون صرف الحركة عن الطريق الذي يحدد تفاعل العناصر المادية و البيئة المادية ... أن يعترف بأن من المرغوب فيه القيام بالنضال الذي يمكن للعمال القيام به في الظروف الراهنة، و أن يعترف بأن النضال الممكن هو ذلك النضال الذي يقومون به في الواقع في الظرف الراهن ...

أما نحن، الاشتراكيون – الديموقراطيون الثوريون، فنحن، على العكس غير راضين عن هذا السجود أمام العفوية، أي أمام ما هو كائن في الظرف الراهن، نحن نطلب تغيير التكتيك الذي ساد في السنوات الأخيرة، ونحن نعلن:

"قبل أن نتحد، ولكي نتحد ينبغي في البدء أن نعين بيننا التخوم بحزم و وضوح ... و بكلمة، يتمسك الألمان بوضع الأمور الراهن، و يرفضون التغيير، و نحن نطلب تغيير وضع الأمور الراهن، رافضين السجود أمام الوضع الراهن و التسليم به".

4)انجلز وأهمية النضال النظري

هنا يقارن لينين بين جريدتين، الأولى "رابوتشي ديلو" والثانية صحيفة ومطبوعات "فرقة التحرير" (1899)، الأولى لا اهتمام لها بالمسألة النظرية، والثانية تدعو إلى ذلك.

ويلخص لينين الموقف كالتالي:

"هكذا نرى أن العبارات الطنانة عن تحجر الفكر، وما إلى ذلك، تخفي وراءها عدم الاهتمام بتطوير الفكر النظري والعجز عن تطويره، وما مثال الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس إلا دليل على ظاهرة أوروبية عامة (أشار إليها الماركسيون الألمان أيضا منذ أمد بعيد)، وهي أن حرية النقد السيئة الصيت لا تعني استبدال نظرية بأخرى، بل تعني التحرر من كل نظرية متكاملة و وليدة التفكير، تعني المذهب الاختياري و انعدام المبادئ. ولا بد لكل مطلع على وضع حركتنا الواقعي، وإن جزئيا من أن يلاحظ أن انتشار الماركسية الواسع، رافقه بعض الانحطاط في المستوى النظري. فبسبب النجاحات العملية التي أحرزتها الحركة، وبسبب

أهميتها العملية، انضم إليها كثيرون ضعيفون جدا أو صفر من حيث الإعداد النظري. ولذلك يمكننا أن نتبين مبلغ ما تظهر "رابوتشيه ديلو" من قلة ذوق عندما تستشهد، على غرار المنتصرين بعبارة ماركس:

"إن كل خطوة تخطوها الحركة العملية أهم من دسة من البرامج" (انظر رسالة ماركس إلى براك 1875). إن تكرار هذه الكلمات في مرحلة الاضطراب النظري يشبه صراخ من يصرخ "إن شاء الله دائمة" عند رؤية جنازة. أضف إلى ذلك أن كلمات ماركس مأخوذة من رسالته بصدد برنامج غوتا (44) حيث يندد بشدة بالمذهب الاختياري(الانتقائي) في صياغة المبادئ، فقد كتب ماركس إلى زعماء الحزب:

إذا كانت هناك من حاجة إلى الاتحاد، فاعقدوا معاهدات بغية بلوغ أهداف عملية تقتضيها الحركة، ولكن إياكم والمساومة بالمبادئ، إياكم والتنازل النظري، وها نحن نجد بيننا أناسا يستغلون اسمه للتقليل من أهمية النظرية! لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية.

إننا لا نبالغ مهما شددنا على هذه الفكرة في مرحلة يسير فيها التبشير الشائع بالانتهازية جنبا إلى جنب مع الميل إلى أشكال النشاط العملي الضيقة جدا.

وتزداد أهمية النظرية بالنسبة للاشتراكية - الديموقراطية الروسية لثلاثة أسباب، كثيرا ما ينسونها، هي: أولا، أن حزبنا ما يزال في طور التكوين، ما يزال في طور تشكيل سيماء وجهه، وهو ما يزال بعيدا عن أن يصفي الحساب مع اتجاهات الفكر الثوري الأخرى، التي تهدد بإخراج الحركة عن الطريق القويم. ففي الآونة الأخيرة، على وجه الضبط، نشاهد بالعكس، انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية – الديموقراطية (كما تنبأ إكسلرود بذلك "للاقتصاديين" منذ أمد بعيد). وفي هذه الظروف، يمكن لخطأ يبدو لأول وهلة "غير ذي شأن" أن يسفر عن أوخم العواقب، وينبغي للمرء أن يكون قصير النظر حتى يعتبر الجدال بين الفرق والتحديد

الدقيق للفروق الصغيرة أمرا في غير أوانه أو لا داعي له. فعلى توطد هذا "الفرق الصغير" أو ذاك قد يتوقف مستقبل الاشتراكية – الديموقراطية الروسية لسنوات طويلة، طويلة جدا".

"ثانيا، إن الحركة الاشتراكية، وهي حركة أممية في جوهرها، وذلك لا يعني فقط أنه يتعين علينا أن نناضل ضد الشوفينية في بلادنا، بل ذلك يعني أيضا أن الحركة المبتدئة في بلاد فتية، لا يمكن أن تكون ناجحة إلا إذا استوعبت تجربة البلدان الأخرى".

"ثالثا، لم يسبق أن طرحت أمام أي حزب اشتراكي في العالم مهام كالمهام الوطنية المطروحة أمام الاشتراكية – الديموقراطية الروسية".

"وبودنا فقط أن نشير هنا إلى أنه لا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة إلا حزب يسترشد بنظرية الطليعة".

انجلز وأهمية النظرية:

"إن انجلز لا يعترف بشكلين اثنين في نضال الاشتراكية – الديموقراطية العظيم (سياسي واقتصادي) –كما جرت العادة عندنا – بل يعترف بثلاثة أشكال، واضعا في مصاف الشكلين المذكورين النضال النظري".

*توصية انجلز لحركة العمال الألمانية (مقطع من كراس "حرب الفلاحين في ألمانيا":

"يمتاز العمال الألمان عن عمال بقية أوروبا بميزتين هامتين. الأولى، انتماؤهم إلى أعرق شعب أوروبي في النظرية، واحتفاظهم بالمكانة النظرية التي فقدتها تماما، أو كادت، الطبقات المدعوة ب "المثقفة" في ألمانيا. فالاشتراكية العلمية الألمانية، وهي الاشتراكية العلمية الوحيدة التي وجدت حتى الآن، ما كانت لتوجد قط لولا الفلسفة الألمانية التي سبقتها، وبوجه خاص فلسفة هيجل. ولولا المكانة النظرية لدى العمال لما تغلغلت الاشتراكية العلمية في دمائهم إلى هذا الحد الذي نراه الآن. ويبين لنا مبلغ عظمة هذه الميزة، من جهة، عدم الاكتراث بأي نظرية، الذي هو سبب من الأسباب الرئيسية التي تجعل حركة العمال الانجليز

تتقدم بهذا البطء بالرغم من التنظيم الرائع في بعض الحرف، ويبين لنا ذلك، من جهة أخرى، ما نراه من اضطراب وتردد بذرتهما البرودونية في شكلها البدائي بين الفرنسيين والبلجيكيين، وبشكلها الكاريكاتوري الذي أعطاها إياه باكونين بين الإسبانيين والإيطاليين".

*كامتداد للفقرة أعلاه، يتكلم انجلز عن الميزة العامة للحركة العمالية الألمانية:

-دخول الألمان الحركة العمالية بعد الجميع تقريبا.

-استناد الاشتراكية الألمانية على اسهامات المفكرين الثلاثة العظام: سان سيمون، فوريي وأوين.

-الاستناد إلى خبرة الحركتين الانجليزية والفرنسية والاستفادة منها (نموذج التريديونيات الانجليزية ونضال العمال الفرنسيين السياسي (كومونة باريس).

*ويعترف لينين بقدرة الالمان على الاستفادة من وضعهم ذاك:

← "لأول مرة منذ وجدت حركة العمال يجري النضال بصورة منتظمة في جميع اتجاهاته الثلاثة المنسجمة والمترابطة: الاتجاه النظري، الاتجاه السياسي والاتجاه الاقتصادي العملي (مقاومة الرأسماليين). وفي هذا الهجوم المركز، إن أمكن القول، تكمن قوة الحركة الألمانية ".

*نصيحة انجلز للقادة للحفاظ على الدور الطليعي للحركة:

"سيكون واجب القادة على وجه الخصوص أن يثقفوا أنفسهم أكثر فأكثر في جميع المسائل النظرية، وأن يتخلصوا أكثر فأكثر من تأثير العبارات التقليدية المستعارة عن العقيدة القديمة، وأن يأخذوا دائما بعين الاعتبار أن الاشتراكية منذ أن غدت علما تتطلب أن تعامل كما يعامل العلم، أي تتطلب أن تدرس".

الفصل الثاني

عفوية الجماهير و وعي الاشتراكية – الديموقراطية

(ملخص السياق التاريخي العام لكتاب "ما العمل؟")

1)بدء النهوض العفوي:

يلخص لينين الوضع الروسي:

"والواقع أنه لم يشك أحد حتى الآن، كما يبدو، في أن قوة الحركة المعاصرة تكمن في استيقاظ الجماهير (والبروليتاريا الصناعية بصورة أساسية) وفي أن ضعفها يكمن في عدم كفاية وعي ومبادرة القادة الثوريين".

ويعالج لينين علاقة الوعي بالعفوية نظرا لأن "رابوتشيه ديلو" عكست جيدا طبيعة الخلاف الذي ردته إلى "**الاختلاف في تقدير الأهمية النسبية للعنصر العفوي وللعنصر "المنهاجي" "الواعي"، واتهامها ل "إسكرا" ب "التقليل من أهمية العنصر الموضوعي أو العفوي في التطور**".

يحلل لينين بدء النهوض العفوي ابتداء من 1896 (إضرابات بترسبورغ وانتشارها في البلاد. لقد كانت عفوية بالدرجة الأولى **لكن هناك عفوية وعفوية**. إضرابات العقد السابع والثامن (تحطيم عفوي للآلات) أما إضرابات العقد العاشر **فيمكن وصفها بالوعي**، لعظم خطوتها إلى الأمام "، وهذا ما يوضح لنا أن "**العنصر العفوي" ليس في الجوهر غير الشكل الجنيني للوعي**". لقد أصبح العمال "**يحسون – ولا أقول، يفهمون**- ضرورة المقاومة الجماعية، ويكفون بحزم عن الخنوع الذليل لأصحاب الأمر والنهي" **(هذا بالنسبة لإضراب العقد الثامن)**"، أما إضرابات العقد العاشر **فترينا من ومضات الوعي أكثر بكثير**: فقد وضعت مطالب معينة، وحسبت مسبقا اللحظة المناسبة، وبحثت حوادث وأمثلة معروفة من المناطق الأخرى الخ ...

ولكن، إذا كانت المشاغبات مجرد انتفاضات أناس مظلومين (عقد الثمانينات)، فإن الإضرابات المتوالية، كانت مظهرا من مظاهر النضال الطبقي بشكله الجنيني لا أكثر ولا أقل. وإذا أخذنا هذه الإضرابات بحد ذاتها، وجدنا أنها كانت نضالا تريديونيا، ولم تصبح بعد نضالا اشتراكيا – ديموقراطيا. لقد أفصحت عن بروز التناحر بين العمال وأصحاب الأعمال، ولكن العمال لم يعوا، ولم يكن من الممكن أن يعوا التضاد المستعصي بين مصالحهم وبين كل النظام السياسي والاجتماعي القائم، أي أنهم لم يحصلوا على الوعي الاشتراكي – الديموقراطي. وبهذا المعنى ظلت إضرابات العقد العاشر حركة عفوية محضة بالرغم من التقدم الكبير الذي تم بالقياس إلى "المشاغبات!".

*الوعي من الخارج:

"قلنا أن "الوعي الاشتراكي – الديموقراطي" لم يكن في الإمكان أن يوجد آنئذ لدى العمال، إذ أنه لا يمكن للعمال أن يحصلوا عل هذا الوعي إلا من خارج نطاقهم".

حسب لينين، يشهد تاريخ جميع البلدان على ذلك.

=بقواها الخاصة لا تكتسب الطبقة العاملة فقط غير "الوعي التريديونيوني"

= "الوعي التريديونيوني":

إنه الاقتناع بضرورة الانتظام في نقابات والنضال ضد أصحاب الأعمال ومطالبة الحكومة بإصدار هذه أو تلك من القوانين الضرورية للعمال، ألخ ...

="التريديونيونية" والسياسة:

لا تنفي "التريديونيونية" إطلاقا كل "سياسة"، كما يفكر بعضهم احيانا. فالتريديونيات قد قامت دائما بتحريض سياسي معين، ونضال سياسي معين (ولكنهما ليسا اشتراكيين – ديموقراطيين).

=التعاليم الاشتراكية:

"فقد انبثقت عن النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية التي وضعها المتعلمون من ممثلي الطبقات الحاكمة، المثقفون.

إن مؤسسي الاشتراكية العلمية المعاصرة، ماركس و انجلز، ينتسبان أيضا من حيث وضعهما اجتماعي إلى المثقفين البورجوازيين، وكذلك الأمر في روسيا، فقد انبثق مذهب الاشتراكية – الديموقراطية النظري بصورة مستقلة تماما عن النهوض العفوي لحركة العمال، انبثق بوصفه نتيجة طبيعية محتومة لتطور الفكر لذى المثقفين الاشتراكيين الثوريين. وفي الحقبة التي نتحدث عنها، أي بحلول منتصف العقد العاشر، كان هذا المذهب قد جذب إليه أكثرية الشبيبة الثورية في روسيا، فضلا عن أنه غدا برنامجا كامل التكوين لفرقة "تحرير العمل".

[النضال الاقتصادي =النضال الاقتصادي العملي=مقاومة الرأسماليين =النضال المهني أو النقابي أو التريديونيوني] [أدب التشهير الاقتصادي=تناول حياة المعامل والحياة المهنية].

"وهكذا كانت توجد في وقت واحد يقظة عفوية لجماهير العمال، يقظة إلى الحياة الواعية وإلى النضال الواعي، وشبيبة ثورية مسلحة بالنظرية الاشتراكية- الديموقراطية كانت تتحرق رغبة في التقرب من العمال".

"الرعيل الأول من الاشتراكيين – الديموقراطيين، اللذين انصرفوا بحمية في تلك المرحلة إلى التحريض الاقتصادي (...) لم يعتبروه مهمتهم الوحيدة، بل لقد وضعوا أمام الاشتراكية – الديموقراطية الروسية منذ البدء أوسع المهام التاريخية بوجه عام، ومهمة إسقاط الحكم المطلق بوجه خاص. ونقول على سبيل المثال، أن جماعة الاشتراكيين – الديموقراطيين التي أسست في بترسبورغ "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة" قد أعدت منذ أواخر عام 1895 العدد الأول من جريدة اسمها "رابوتشيه ديلو"،

وكان هذا العدد جاهزا تماما للطبع عندما صادره الدرك أثناء غارة شنها في ليلة 8 إلى 9 دجنبر 1895 من عند أحد أعضاء الجماعة، وهو أناتولي أليكسيفيتش فانييف".

"أما إخفاء القضية، فإن برهن على شيء، فقد برهن على أن الاشتراكيين – الديموقراطيين في ذلك العهد كانوا عاجزين عن الاستجابة لمطلب الساعة، بسبب قلة تجربتهم الثورية ونقص استعدادهم العملي. والشيء نفسه ينبغي أن يقال عن "رابوتشايا غازيتا"، وعن بيان "حزب العمال الاشتراكي – الديموقراطي في روسيا" ".

"فالتجربة الثورية والمهارة التنظيمية أمران يكتسبان اكتسابا، والمهم أن يرغب المرء في تربية نفسه على الصفات المطلوبة!، والمهم أن يعي المرء النواقص، وهو ما يعادل في العمل الثوري أكثر من نصف إصلاح الخطأ! ولكن نصف المصيبة غدا مصيبة كاملة عندما أخذ هذا الوعي يخبو (وقد كان هذا الوعي قويا جدا لدى العاملين في صفوف الجماعات المذكورة أعلاه" عندما ظهر أناس، وحتى صحف اشتراكية – ديموقراطية، مستعدون لأن يجعلوا من النقيصة فضيلة، وحاولوا حتى أن يبرروا نظريا خضوعهم الذليل أما العفوية وتقديسهم لها".

2)تقديس العفوية. "رابوتشايا ميسل"

*عن كيفية انتشار الاقتصادوية داخل "اتحاد تحرير الطبقة العاملة"، يقول لينين:

"في أوائل سنة 1897، أتيح لفانييف ولبعض رفاقه أن يشتركوا، قبل إرسالهم إلى المنفى، في اجتماع خاص التقى فيه "الشيوخ" و "الشباب" من أعضاء "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة". وقد دار الحديث بصورة رئيسية حول التنظيم، وبوجه خاص حول النظام الداخلي لصندوق العمال، وقد ظهر على الفور خلاف كبير، واحتدم الجدل بين "الشيوخ" ("الديسمبريين") كما كان يلقبهم آنذاك الاشتراكيون – الديموقراطيون في بترسبورغ مازحين، وبين بعض "الشباب"، اللذين تعاونوا فيما بعد بنشاط مع "رابوتشايا ميسل". وقد دافع الشباب عن الأسس الرئيسية للنظام الداخلي بصيغته المنشورة، وقال الشيوخ: ليس هذا ما

نحتاج إليه قبل كل شيء، إنما نحتاج إلى توطيد "اتحاد النضال" لكي ما يصبح منظمة ثورية تخضع لها مختلف صناديق العمال وحلقات الدعاية بين الشباب – الطلبة، الخ ... وغني عن القول أنه لم يخطر في بال المتجادلين أن يروا في هذا الخلاف فاتحة الافتراق، بل اعتبروه على العكس شيئا منعزلا و طارئا. ولكن هذا الواقع يبين أن نشوء الاقتصادوية وانتشارها لم يحدثا في روسيا كذلك بدون نضال ضد الاشتراكيين – الديموقراطيين الشيوخ (الأمر الذي كثيرا ما ينساه الاقتصادويون الحاليون). وإذا كان هذا النضال لم يترك في أكثر الحالات آثارا "وثائقية"، فالسبب الوحيد في ذلك أن تركيب الحلقات العاملة كان يتغير بسرعة كبيرة جدا، وأنه لم تتكون أية استمرارية، فلم تسجل بالتالي الاختلافات و وجهات النظر في أية وثيقة".

>> دور "رابوتشايا ميسل" في إخراج الاقتصادوية إلى واضح النهار، وقد جاء في افتتاحيتها الحديث عن "**كون العامل قد أخذ في النهاية مصيره على عاتقه بعد أن انتزعه من أيدي القادة".**

***جواب لينين:**

الواقع أن القادة (الاشتراكيون – الديموقراطيون منظمي اتحاد النضال) قد انتزعتهم الشرطة كما يمكن القول، من أيدي العمال. "بدلا من النداء للسير إلى الأمام، إلى توطيد التنظيم الثوري، وتوسيع النشاط السياسي، ارتفعت الدعوة للارتداد إلى الوراء، إلى النضال التريديونيوني وحده".

= هكذا انتشرت شعارات الاقتصادويين:

الشعارات: **"العمال للعمال"، "النضال من أجل الحالة الاقتصادية"**، صناديق الإضرابات هي **"أهم بالنسبة للحركة من مائة منظمة أخرى". "في المقام الأول لا نخبة العمال بدل العامل المتوسط (العادي)". "السياسة تسير دائما بطواعية خلف الاقتصاد، زيادة كوبيك على روبل أغلى وأعز من كل اشتراكية وكل سياسة، وأنه ينبغي لهم أن يقوموا ب "النضال مدركين أنهم إنما يناضلون لا من أجل أجيال مقبلة ما، بل من أجل أنفسهم ومن أجل أولادهم".**

= أصبحت موضة، بل وذات تأثير لا يقهر في الشبيبة التي انجرت إلى الحركة، والتي لا تعرف من الماركسية في أكثر الحالات غير فقرات في صياغتها العلنية.

= هناك تحطيم للوعي من قبل العفوية، وقد تم بشكل عفوي "إنه لم يجر عن طريق صراع سافر بين مفهومين متعارضين كل التعارض، وانتصار أحدهما على الآخر، بل عن طريق انتزاع الدرك للثوريين الشيوخ والذي يتزايد باستمرار، وعن طريق بروز عدد متزايد باستمرار من الشباب.

المسألة الثانية: هي أن أنصار "**الحركة العمالية الصرف**"، **أنصار أوثق الارتباط "العضوي" (...) بالنضال البروليتاري، خصوم جميع المثقفين غير العمال** (حتى ولو كانوا مثقفين اشتراكيين)، **يضطرون في الدفاع عن مواقفهم إلى الالتجاء إلى حجج التريديونيين فقط البورجوازيين**".

وحسب لينين:

"إن كل تقديس لعفوية حركة العمال، كل انتقاص من دور "عنصر الوعي"، دور الاشتراكية – الديموقراطية، يعني – سواء أراد المنتقص أم لم يرد، فليس لذلك أقل أهمية - تقوية نفوذ الإيديولوجيا البورجوازية في العمال. إن كل من يتحدث عن "تقديس أهمية الإيديولوجيا بأكثر مما تستحق" عن المغالاة في دور عنصر الوعي الخ، يتصور أن الحركة العمالية الصرفة، تستطيع بحد ذاتها أن تصنع لنفسها، وأنها ستصنع لنفسها بالتأكيد إيديولوجيا مستقلة، وأن ذلك لا يتطلب غير قيام العمال ب "انتزاع مصيرهم من أيدي القادة، ولكن هذا خطأ فادح".

*لدحض الاطروحة الاقتصادوية المقدسة للعفوية، اعتمد لينين على أطروحة كاوتسكي التي طرحها بصدد مشروع البرنامج الجديد للحزب الاشتراكي – الديموقراطي النمساوي:

"يحسب كثيرون من نقادنا المحرفين أن ماركس قد أكد أن التطور الاقتصادي والنضال الطبقي لا يخلقان ظروف الإنتاج الاشتراكي وحسب، بل يخلقان مباشرة أيضا وعي ضرورته. وها هم هؤلاء النقاد يعترفون بأن انجلترا، البلد الأكثر تطورا من الناحية الرأسمالية، هي أبعد الجميع عن هذا الوعي. إن مشروع البرنامج يفسح مجالا للظن بأن اللجنة التي وضعت البرنامج النمساوي تشارك وجهة النظر هذه، التي يزعم أنها ماركسية ارتودوكسية، والتي يدحضها المثال المشار إليه. فقد جاء في المشروع:

"بمقدار ما تتزايد البروليتاريا نتيجة للتطور الرأسمالي، تزداد اضطرارا إلى النضال ضد الرأسمالية وتحصل على إمكانية هذا النضال. وتصل البروليتاريا إلى إدراك إمكانية الاشتراكية وضرورتها. وعلى هذا الأساس، يبدو الوعي الاشتراكي نتيجة مباشرة محتومة للنضال الطبقي البروليتاري، وهذا غير صحيح على الإطلاق، صحيح أن الاشتراكية بوصفها مذهبا، تستمد جذورها من العلاقات الاقتصادية الراهنة كشأن النضال الطبقي البروليتاري سواء بسواء، وأنها كالنضال الطبقي البروليتاري تنبثق من النضال ضد ما تسببه الرأسمالية للجماهير من فقر وبؤس. غير أن الاشتراكية والنضال الطبقي ينبثقان أحدهما إلى جانب الآخر، لا أحدهما من الآخر. إنهما ينبثقان من مقدمات مختلفة، فالوعي الاشتراكي الراهن لا يمكنه أن ينبثق إلا على أساس معارف علمية عميقة، وبالفعل، فإن العلم الاقتصادي الحديث هو شرط من شروط الإنتاج الاشتراكي، شأنه شأن التكنيك الحديث سواء بسواء. والحال أن البروليتاريا، بالرغم من كل رغبتها لا تستطيع أن تخلق لا هذا ولا ذاك، فكلاهما ينشأ عن التطور الاجتماعي الحديث، هذا وإن العلم ليس بيد البروليتاريا، بل بيد المثقفين البورجوازيين: فالاشتراكية الحديثة نفسها قد انبثقت هي أيضا في رؤوس بعض أعضاء هذه الفئة، وقد نقلها هؤلاء إلى أكثر البروليتاريين تطورا من الناحية الفكرية، الذين أخذوا بعد ذلك يدخلونها في نضال البروليتاريا الطبقي، حيث تسمح الظروف. وعلى ذلك كان الوعي الاشتراكي عنصرا يؤخذ من الخارج وينقل إلى نضال البروليتاريا الطبقي، لا شيئا ينبثق منه بصورة عفوية (.....)، ولهذا قيل في برنامج هينفيلد القديم، بحق تماما أن مهمة الاشتراكية – الديموقراطية هي أن تحمل إلى البروليتاريا (حرفيا: تملأ البروليتاريا) وعي وضعها و وعي رسالتها. ولم تكن هناك من حاجة إلى ذلك، لو كان هذا الوعي ينبثق من النضال الطبقي من تلقاء نفسه، أما المشروع الجديد فقد أخذ هذه الفكرة من البرنامج القديم وربطهما بالصيغة المثبتة أعلاه، الأمر الذي قطع بصورة تامة مجرى التفكير ..."

*أما لينين فيضيف:

"ولما كان من غير الممكن حتى أن تكون ثمة إيديولوجيا مستقلة، تصنعها جماهير العمال نفسها في مجرى حركتها موضع بحث، فلا يمكن أن تطرح المسألة إلا بالشكل التالي:

إما إيديولوجيا بورجوازية، وإما إيديولوجيا اشتراكية. وليس ثمة وسط بينهما (لأن البشرية لم تصنع إيديولوجيا "ثالثة"، أضف إلى ذلك أنه في مجتمع تمزقه التناقضات الطبقية لا يمكن أن توجد على الإطلاق إيديولوجيا خارج الطبقات أو فوق الطبقات)، ولذلك فإن كل انتقاص من الإيديولوجيا الاشتراكية، وكل ابتعاد عنها هو في حد ذاته، تمكين للإيديولوجيا البورجوازية وتوطيد لها. ويتحدثون عن العفوية، ولكن التطور العفوي لحركة العمال يسير على وجه الدقة وفق برنامج "الكريدو" لأن الحركة العمالية العفوية هي التريديونية، (....) وما التريديونية غير إخضاع العمال فكريا للبورجوازية، ولذا، فإن واجبنا، واجب الاشتراكية – الديموقراطية، هو النضال ضد العفوية، هو النضال من أجل صرف حركة العمال عن نزوع التريديونية العفوي إلى كنف البورجوازية وجذبها إل كنف الاشتراكية – الديموقراطية الثورية. ولذلك فإن عبارة واضعي الرسالة "الاقتصادية" في العدد 12 من "إسكرا"، هذه العبارة القائلة بأن جميع جهود الإيديولوجيين الأكثر إلهاما لا يمكنها أن تصرف حركة العمال عن الطريق الذي حدده لها تفاعل العناصر المادية والبيئة المادية، تعادل تماما التخلي عن الاشتراكية".

***وجاء في الهامش الموضوع في الفقرة ما يلي:**

"ولا يعني ذلك طبعا أن العمال لا يشتركون في وضعها، ولكنهم لا يشتركون في ذلك بوصفهم عمالا، بل بوصفهم من علماء الاشتراكية النظريين، بوصفهم برودون و فيتلينغ وأمثالهما، أي أنهم بعبارة أخرى لا يسهمون في ذلك إلا بمقدار ما يتمكنون من استيعاب معارف عصرهم ومن دفعها إلى الأمام. وكيما يتيسر للعمال ذلك على نطاق أوسع، ينبغي بذل أقصى الجهود لرفع مستوى وعي العمال بوجه عام، ينبغي ألا يحصر العمال أنفسهم في "مطبوعات للعمال" يضيق إطارها بصورة مصطنعة، بل أن يتعلموا

استيعاب المزيد والمزيد من المطبوعات للعموم. ومن الأصح أن نقول، بدلا من "ألا يحصر العمال أنفسهم" ألا يحصروا، لأن العمال أنفسهم يقرأون ويريدون أن يقرأوا كل ما يكتب حتى للمثقفين، ولا يعتبر أحد غير بعض المثقفين (الأردياء) أنه يكفي "من أجل العمال" الحديث عن الأنظمة السائدة في المصانع واجترار ما هو معروف منذ أمد بعيد".

3) "جماعة التحرير الذاتي" (نداء مارس 1899) و "رابوتشيه ديلو" ( )

مقال كريتشيفسكي، عدد 7" "النضال الاقتصادي والسياسي في الحركة الروسية"

***"نظرية المراحل" أو نظرية "التعاريـج الوجلة"(الملتوية)**

إليكم مثلا كيف يعكس هذا المقال "**نظرية المراحل**" أو نظرية "**التعاريـج الوجلة**" في النضال السياسي":

"إن المطالب السياسية، وهي من حيث طابعها تخص روسيا كلها، ينبغي لها مع ذلك أن تلائم في بادئ الأمر" (كتب هذا في غشت سنة 1900) "التجربة التي اكتسبتها من النضال الاقتصادي فئة معينة (كذا!) من العمال. فعلى صعيد هذه التجربة وحده(!) يمكن ويجب الشروع بالتحريض السياسي" الخ (ص 11). و في الصفحة 4، ينبري الكاتب لدفع اتهامات بالهرطقة الاقتصادية لا تقوم على أساس حسب رأيه، و يصرخ منفعلا: "أي اشتراكي – ديموقراطي لا يعلم أن المصالح الاقتصادية لمختلف الطبقات تلعب، طبقا لتعاليم ماركس و انجلز، دورا حاسما في التاريـخ، وأنه، تبعا لذلك، ينبغي لنضال البروليتاريا في سبيل مصالحها الاقتصادية أن يكون، بوجه خاص، ذا أهمية أولية من حيث تطورها الطبقي و نضالها التحريري؟".

***رد لينين:**

إن "تبعا لذلك" هذه ليست في مكانها على الإطلاق، فمن كون المصالح الاقتصادية تلعب الدور الفاصل لا يستطيع المرء أن يستنتج بحال أن للنضال الاقتصادي (= المهني) أهمية أولية، لأن مصالح الطبقات الجوهرية "الحاسمة، لا يمكن أن تلبى إلا

على أساس تغييرات سياسية جذرية بوجه عام، وهكذا فإن مصلحة البروليتاريا الاقتصادية الأساسية بوجه خاص لا يمكن أن تلبي إلا عن طريق ثورة سياسية تحل دكتاتورية البروليتاريا محل دكتاتورية البورجوازية ...".

تعتقد "رابوتشيه ديلو" أن هناك "تناقضا أساسيا" بين هذه الموضوعة:

"إن الاشتراكية – الديموقراطية، لا تقيد يديها، لا تقيد نشاطها بأي مشروع أو أسلوب يوضع سلفا من مشاريع أو أساليب النضال السياسي، فهي تعترف بجميع وسائل النضال على أن تتلاءم وقوى الحزب الواقعية" الخ ("إسكرا"، العدد 1) *

وبين الموضوعة التالية:

"إن لم توجد منظمة قوية متمرسة بالنضال السياسي وتحسن القيام به في جميع الظروف والمراحل، فلا يمكن أن يكون موضع بحث أي مشروع للعمل، متماسك الأجزاء، موضح بمبادئ ثابتة، وينفذ باستقامة، مشروع يستحق وحده من دون سائر المشاريع تسميته بالتكتيك")"إسكرا"، العدد 4).

تعليق لينين:

"هناك خلط بين اعتراف مبدئي عام وبين المطالبة في ظرف سياسي معين بالاسترشاد بمشروع محدد.

الخلط = "إذا كنا نريد الحديث عن التكتيك، هو أشبه بالخلط بين اعتراف الطب بجميع طرق العلاج، مع مطالبته باتباع طريقة معينة لمعالجة مرض معين".

خلاصة:

"وهكذا يتضح لنا الخطأ الأساسي، الذي يقترفه "الاتجاه الجديد" في الاشتراكية – الديموقراطية الروسية هو تقديس العفوية، هو عجز فهم أن عفوية الجماهير تتطلب منا نحن الاشتراكيين – الديموقراطيين قدرا كبيرا من الوعي. وكلما ارتفع نهوض الجماهير العفوي واتسعت الحركة، كلما ازدادت بأسرع بما لا يقاس الحاجة إلى قدر كبير من الوعي في عمل الاشتراكية – الديموقراطية النظري والسياسي والتنظيمي".

الفصل الثالث

السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية – الديموقراطية

1) التحريض السياسي وتضييق الاقتصاديين له

"لقد كان التشهير الاقتصادي (المعملي) وما يزال وسيلة هامة للنضال الاقتصادي، وسيحتفظ بأهميته هذه ما بقيت الرأسمالية، التي تدفع العمال بالضرورة إلى الدفاع عن أنفسهم. ففي أرقى البلدان الأوروبية يحدث حتى الآن أن يكون التشهير بظروف عمل فظيعة في "مهنة" متلاشية أو في أي فرع من فروع العمل المنزلي لا يسترعي انتباه أحد، حافزا ليقظة الوعي الطبقي، ولبدء النضال المهني وانتشار الاشتراكية".

إن هذا النوع من التشهير كان أغلب الاشتراكيين الديموقراطيين منغمسين فيه لكنهم، يقول لينين:

"قد نسوا أن هذا النشاط بحد ذاته ليس بعد، من حيث الأساس نشاطا اشتراكيا – ديموقراطيا، بل نشاطا تريديونيونيا فقط، فالتشهير لم يشمل في الجوهر غير العلاقات بين العمال وأصحاب العمل في مهنة معينة، ولم يسفر إلا عن نتيجة واحدة، وهي أن الذين يبيعون قوة عملهم قد تعلموا كيف يبيعون هذه "البضاعة" بفائدة أكبر، وكيف يناضلون ضد المشتري على صعيد المساومة التجارية الصرف. وكان بالإمكان أن يصبح هذا التشهير (شريطة أن تستفيد منه منظمة الثوريين بصورة ملائمة) نقطة

انطلاق للنشاط الاشتراكي – الديموقراطي وجزء لا يتجزأ منه، ولكن كان بالإمكان أيضا أن يؤدي إلى النضال "المهني فقط" وإلى حركة عمالية غير اشتراكية – ديموقراطية، فالاشتراكية – الديموقراطية لا تقود نضال الطبقة العاملة في سبيل شروط أفضل لبيع قوة العمل وحسب، بل كذلك في سبيل القضاء على النظام الاجتماعي، الذي يرغم المعدمين على بيع أنفسهم إلى الأغنياء.

إن الاشتراكية – الديموقراطية تمثل الطبقة العاملة، لا في علاقاتها مع فئة معينة من أصحاب الأعمال وحسب، بل أيضا في علاقاتها مع جميع الطبقات في المجتمع الراهن، ومع الدولة بوصفها قوة سياسية منظمة. يتضح من ذلك أن الاشتراكيين - الديموقراطيين فضلا عن أنهم لا يستطيعون الاقتصار على النضال الاقتصادي، لا يمكنهم أيضا أن يسمحوا بأن يستغرق تنظيم التشهير الاقتصادي القسم الأكبر من نشاطهم. يجب علينا أن نعمل بنشاط على تربية الطبقة العاملة سياسيا، على تنمية وعيها السياسي. والآن بعد أول هجوم تشنه "زاريا" و "إسكرا" على "الاقتصادوية" "يوافق الجميع" على ذلك (وإن كانت موافقة البعض لا تتعدى القول كما سنرى الآن).

والآن:

قد يسأل سائل: بما ينبغي أن تتلخص التربية السياسية؟ هل يمكن الاقتصار على الدعاية لفكرة عداء الطبقة العاملة للحكم المطلق؟ كلا، طبعا.

المطلوب:

"من الضروري أن نقوم بالتحريض بصدد كل مظهر ملموس من مظاهر هذا الظلم (كما كنا نتناول بتحريضنا مظاهر الظلم الاقتصادي الملموسة)، ولما كان هذا الظلم يمس شتى طبقات المجتمع على اختلافها، ولما كان يتجلى في مختلف ميادين الحياة والنشاط، المهنية والعامة والخاصة والعائلية والدينية والعلمية الخ، أفليس من الواضح أننا لن نقوم بمهمتنا، مهمة إنماء وعي العمال السياسي، إن لم نأخذ على عاتقنا أمر تنظيم التشهير بالحكم المطلق تشهيرا سياسيا شاملا؟ ذلك لأننا إذا كنا نريد أن

يتناول تحريضنا هذا الظلم في مظاهره الملموسة، فينبغي فضح هذه المظاهر (كما أن التحريض الاقتصادي كان يقتضي فضح هذه الفظائع في المعامل؟)".

***تعابير مضادة من طرف الاقتصادويين:**

"إن نضال الطبقة العاملة السياسي لا يعدو أن يكون (وفي الحقيقة يعدو أن يكون)" الشكل الأكثر تطورا و سعة وفاعلية للنضال "الاقتصادي" (برنامج رابوتشيه ديلو العدد 1 و 3).

"تواجه الاشتراكية – الديموقراطية الآن المهمة التالية: كيف نضفي على النضال الاقتصادي نفسه، بقدر الإمكان، طابعا سياسيا" (مارتينوف في العدد 10، ص 42) "النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها بأوسع شكل لجذب الجماهير إلى النضال السياسي النشيط" (قرار مؤتمر "الاتحاد" و "التعديلات"، "مؤتمران" ص 11 و 17).

← نظرة واحدة إلى التحريض والنضال السياسيين.

"ينبغي للتحريض السياسي أن يتبع التحريض الاقتصادي"

***يطرح لينين السؤال:**

"هل صحيح أن النضال الاقتصادي هو بوجه عام الوسيلة التي يمكن استعمالها بأوسع شكل لجذب الجماهير إلى النضال السياسي؟

كلا، ليس هذا صحيحا على الإطلاق.

إن جميع مظاهر الاضطهاد البوليسي والطغيان الاستبدادي بشتى أشكالها، لا المظاهر المرتبطة بالنضال الاقتصادي وحده، هي وسيلة لمثل هذا "الجذب يمكن استعمالها بشكل ليس أقل سعة على الإطلاق".

*أمثلة عن المظاهر الاضطهادية غير المرتبطة بالنضال الاقتصادي:

- القصاص الجسدي من الفلاحين، ارتشاء الموظفين، معاملة الشرطة للعامة في المدن، مكافحة الجياع، قمع مساعي الشعب إلى النور والمعرفة، التفنن في جباية الضرائب، ملاحقة الشيع الدينية، ترويض الجنود، معاملة الطلاب والمثقفين الليبراليين معاملة الجنود.

←هناك رفض لينين لتضييق إطار التحريض السياسي إلى وسيلة واحدة.

أي:

("إضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه")

هناك:

نزوع تقليدي إلى الهبوط بالسياسة الاشتراكية – الديموقراطية حتى مستوى السياسة التريديونيونية، نضال من أجل إصلاحات اقتصادية.

الشعار: "إضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه" **شعار خال من كل شيء، عدا النضال في سبيل الإصلاحات الاقتصادية.**

مارتينوف: "بث الروح الثورية في العقائد أعلى شأنا من بثها في الحياة"

في الهامش يقول لينين (ص63):

"إنها طريقة مارتينوف لتطبيق صيغة: "كل خطوة تخطوها الحركة الفعلية هي أهم دستة من البرامج" على وضع حركتنا الحالي الميولي، الأمر الذي وصفناه من قبل. والواقع أن هذه العبارة ليست في الجوهر غير الترجمة الروسية لعبارة برنشتاين السيئة الصيت" "الحركة هي كل شيء، الهدف النهائي هو لا شيء".

رد لينين على مارتينوف:

"إن الاشتراكية – الديموقراطية الثورية قد ضمنت نشاطها، وتضمنه على الدوام، النضال من أجل الإصلاحات، ولكنها تستخدم التحريض "الاقتصادي لا مطالبة الحكومة بمختلف الإجراءات وحسب، بل لمطالبتها كذلك (وقبل كل شيء) بأن تكف عن أن تكون حكومة استبدادية، وهي، عدا ذلك، ترى من واجبها أن تقدم للحكومة هذا الطلب لا على صعيد النضال الاقتصادي وحسب، بل كذلك على صعيد جميع مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية بوجه عام. إنها بكلمة، تخضع النضال من أجل الإصلاحات، بوصفه جزء من كل، للنضال الثوري من أجل الحرية ومن أجل الاشتراكية. أما مارتينوف فيبعث نظرية المراحل بشكل آخر، محاولا أن يحصر تطور النضال السياسي في طريق، إن جاز القول، اقتصادي، بكل تأكيد. إنه، إذ ينادي "في مرحلة النهوض الثوري بالنضال من أجل الإصلاحات على أنه "مهمة" خاصة كما يزعم، يجر بذلك الحزب إلى الوراء، ويساعد الانتهازية "الاقتصادية" والانتهازية الليبرالية على حد سواء".

2) حكاية عن كيف عمق مارتينوف بليخانوف

يناقش لينين في هذا الجزء مفهوم الدعاية لدى الاقتصادويين، ويدافع عن المفهوم الاشتراكي – الديموقراطي في ذلك.

"يقول لومونوسوف – مارتينوف:

"لقد تغيرت أمور كثيرة منذ كتب بليخانوف الكتاب المذكور ("مهام الاشتراكيين في مكافحة المجاعة في روسيا") فالاشتراكيون – الديموقراطيون، الذين قادوا نضال الطبقة العاملة الاقتصادي طيلة عشر سنوات ... لم يتسن لهم بعد أن يقيموا تكتيك الحزب

على أساس نظري واسع. أما الآن فقد نضجت هذه المسألة. وإذا ما أردنا إقامة مثل هذا الأساس النظري وجب علينا، حتما، أن نعمق لدرجة كبيرة تلك المبادئ التكتيكية التي طرحها بليخانوف فيما مضى ... يجب علينا أن نحدد الفرق بين الدعاية والتحريض بشكل يختلف عن تحديد بليخانوف (وقد ذكر مارتينوف لتوه كلمات بليخانوف: "الداعية يعطي كثرة من الأفكار لشخص أو لعدد من الأشخاص، والمحرض يعطي فكرة واحدة أو بضع أفكار، ولكنه يعطيها بالمقابل لجمهور كبير من الأشخاص").

"وبودنا أن نفهم من الدعاية الشرح الثوري للنظام الحالي بأكمله أو لبعض مظاهره، سواء جرى ذلك بشكل يفهمه أفراد أو جمهور كبير من الناس، فلا فرق. ونفهم من التحريض بمعنى الكلمة الدقيق (كذا!) نداء الجماهير إلى بعض الأعمال الملموسة، مساعدة البروليتاريا على التدخل الثوري المباشر في الحياة الاجتماعية".

*وفي معرض رده على ذلك، يقدم لينين الطرح الماركسي للمسألة:

"إننا نهنئ الاشتراكية – الديموقراطية الروسية والعالمية باصطلاحات جديدة مارتينوفية أكثر دقة وعمقا، فقد كنا نعتقد حتى الآن (مع بليخانوف وجميع قادة حركة العمال العالميين) أن الداعية، إذا ما أخذ مثلا مسألة البطالة نفسها، ينبغي له أن يشرح الأزمات وطبيعتها الرأسمالية، وأن يبين أسباب حتميتها في المجتمع الراهن، وأن يبين ضرورة تحويله إلى مجتمع اشتراكي ... وبكلمة، ينبغي له أن يعطي "كثرة من الأفكار"، كثيرة لدرجة لا يمكن أن يستوعبها لمجموعها دفعة واحدة، غير عدد من الأشخاص قليل (نسبيا). أما المحرض، فإنه، إذ يتكلم عن المسألة نفسها، يأخذ أبرز مثل يعرفه مستمعوه، أكثر من غيره من الأمثال، لنقل مثلا، موت عائلة عامل عاطل عن العمل بسبب المجاعة وانتشار التسول ... ويوجه جميع جهوده، استنادا إلى هذا الواقع الذي يعرفه الجميع، لإعطاء "الجمهور" فكرة واحدة: فكرة التناقض غير المعقول بين تزايد الغنى وتزايد الفقر، بادلا جهده لكي يثير الاستياء في الجمهور والاستياء من هذا الظلم الفاضح، تاركا للداعية مهمة الشرح الكامل لهذا التناقض. ولذلك يعمد الداعية بالدرجة الأولى إلى الكلمة المطبوعة، ويعمد المحرض إلى الكلمة الحية، ولا يتطلب من الداعية الصفات نفسها التي تتطلب من المحرض. فنحن نصف كاوتسكي مثلا و لافارغ بأنهما من الدعاة، و نصف بيبل و غيد بأنهما من المحرضين، وما تعيين ميدان

ثالث، وظيفة ثالثة للنشاط العملي، وظيفة تتلخص في "نداء الجماهير إلى بعض الأعمال الملموسة" إلا حماقة كبرى، لأن "النداء" بوصفه عملا على حدى، إما أن يكون لا محالة التتمة الطبيعية للبحث النظري ولكراس الداعية، ولخطاب التحريض، وإما أن يكون عملا تنفيذيا صرفا. وفي الحقيقة لنأخذ مثلا نضال الاشتراكيين – الديموقراطيين الألمان الحالي ضد الرسوم الجمركية المفروضة على الحبوب. النظريون يكتبون الأبحاث عن السياسة الجمركية "منادين" مثلا، إلى النضال من أجل المعاهدات التجارية ومن أجل حرية التجارة، والداعية يقوم بالعمل نفسه في مجلة، والمحرض في خطابات أمام الجمهور، والأعمال الملموسة التي تقوم بها الجماهير في هذه الحالة هي عبارة عن توقيع عرائض إلى الرايخشتاغ تطالب بعدم زيادة الرسوم المفروضة على الحبوب، والنداء إلى هذا العمل يصدر بصورة غير مباشرة عن النظريين والدعاة والمحرضين، وبصورة مباشرة عن العمال الذين يطوفون بهذه العرائض إلى المعامل والبيوت، ويستنتج من "اصطلاحات مارتينوف" أن كلا من كاوتسكي و بيبل من الدعاة ، وأن حاملي العرائض من المحرضين، أليس كذلك؟".

3) التشهير السياسي و "تربية النشاط الثوري"

*يناقش لينين هنا مسألة التشهير المكتفي بالمستوى الاقتصادي وعلاقة ذلك بنشوء الوعي السياسي الطبقي لذى العمال: علاقة الطبقة العاملة بباقي الطبقات ....

"إنه خطأ نموذجي، لأنه أبعد من أن يختص به مارتينوف وحده، والواقع أننا "لا نرفع مستوى نشاط جماهير العمال" إلا إذا لم نكتف ب "التحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي". ولما كان أحد الشروط الأساسية لضرورة توسيع التحريض السياسي هو تنظيم التشهير السياسي في جميع الميادين، لأن تربية وعي الجماهير السياسي ونشاطها الثوري لا تمكن إلا عن طريق هذا التشهير – كان هذا النوع من النشاط وظيفة من أهم وظائف الاشتراكية الديموقراطية العالمية بأكملها -، لأن الحرية السياسية هي الأخرى لا تزيل هذا التشهير البتة، بل تغير اتجاهه بعض الشيء، فالحزب الألماني مثلا، يعزز مواقعه ويوسع نفوذه لدرجة كبيرة بفضل حملة التشهير السياسي بالذات، التي يشنها بنشاط لا يفتر. ولا يمكن أن يكون وعي الطبقة العاملة وعيا سياسيا حقا

إذا لم يتعود العمال الرد على كل حالة من حالات الطغيان والظلم والعنف وسوء الاستعمال على اختلافها وبصرف النظر عن الطبقة التي توجه إليها، على أن يكون الرد من وجهة النظر الاشتراكية – الديموقراطية، لا من أية وجهة نظر أخرى. ولا يمكن أن يكون وعي جماهير العمال وعيا طبقيا حقا إذا لم يتعلم العمال الاستفادة من الوقائع والحوادث السياسية الملموسة والعاجلة (الملحة) حتما في الوقت نفسه، لمراقبة كل طبقة من الطبقات الاجتماعية الأخرى في جميع مظاهر حياتها العقلية والأخلاقية والسياسية، إذا لم يتعلموا أن يطبقوا في العمل التحليل المادي والتقدير المادي لجميع أوجه نشاط وحياة جميع طبقات السكان وفئاتهم وجماعاتهم. إن كل من يوجه انتباه الطبقة العاملة، وقوة ملاحظتها و وعيها إلى نفسها فقط، أو إلى نفسها بالدرجة الأولى، ليس باشتراكي – ديموقراطي، لأن معرفة الطبقة العاملة لنفسها مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بمعرفتها، معرفة واضحة تامة للعلاقات المتبادلة بين جميع طبقات المجتمع الراهن، معرفة ليست نظرية فحسب ... و الأصح أن نقول: ليست نظرية بمقدار ما هي مبنية على تجربة الحياة السياسية. ولذلك فإن ما ينادي به "اقتصاديونا" من أن النضال الاقتصادي هو الوسيلة التي يمكن استعمالها بأوسع شكل لجذب الجماهير إلى الحركة السياسية هو أمر ضار منتهى الضرر، و رجعي منتهى الرجعية من حيث نتائجه العمالية، فلكي ما يصبح العامل اشتراكيا ديموقراطيا، ينبغي له أن يكون لنفسه صورة واضحة عن الطبيعة الاقتصادية والسمات الاجتماعية والسياسية للملاك العقاري والكاهن وصاحبة الرفعة والفلاح والطالب والصعلوك، وأن يعرف نواحي قوتهم ونواحي ضعفهم، وأن يحسن فهم معاني مختلف العبارات الشائعة والسفسطات التي تخفي فيها كل طبقة وكل فئة مطامعها الأنانية وحقيقة "دخيلتها"، و أن يعرف ما هي المؤسسات والقوانين التي تعكس هذه المصالح أو تلك وكيف تعكسها. وهذه "الصورة الواضحة" لا يستطيع العامل أن يجدها في أي كتاب: لا يستطيع أن يستمدها إلا من الصور الحية، إلا من التشهير الذي يذاع مباشرة إثر ما يجري حولنا في برهة ما، ويصبح موضوعا يتحدث به الناس، جماعات وأفرادا، أو يهمسون به على الأقل، وما يتجلى في هذه أو تلك من الأحداث والأرقام والأحكام القضائية ...

إن هذا التشهير السياسي الذي يشمل جميع الميادين هو شرط أساسي لا بد منه لتربية نشاط الجماهير الثوري".

ويقدم لينين تقييما لحالة وعي العمال في روسيا آنذاك متسائلا:

"لماذا يظهر العامل الروسي حتى الآن غير القليل من النشاط الثوري حيال ما يلقاه الشعب من وحشية الشرطة، حيال اضطهاد الشيع الدينية، حيال ضرب الفلاحين، حيال فضائح الرقابة، حيال مرة أخرى تعذيب الجنود، حيال ملاحقة المبادرات الثقافية حتى أضعفها، وهلم جرا؟

أليس مرد ذلك إلى أن "النضال الاقتصادي" لا "يدفعه" إل مثل هذا النشاط، وأن هذه الأمور "تبعث فيه الأمل" بقلة من "النتائج الحسية" وتعطيه قلة من النتائج "الإيجابية"؟ إن ادعاء المرء بمثل هذا يعني، ونكرر ذلك، محاولة لعزو أخطائه هو إلى الآخرين، عزو تفاهته (أي البرنشتاينية) إلى جماهير العمال. إننا إذا كنا لم نستطع حتى الآن تنظيم التشهير بجميع هذه الصفات بما ينبغي من السعة والسرعة والوضوح، فسبب ذلك، نحن، سبب ذلك تأخرنا عن حركة الجماهير".

*** بصدد شعار: "إضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه"**

يقول لينين في هامش له أسفل الصفحة 74 من كتابه ما العمل؟:

"إن المطالبة بإضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه، تفصح بأقصى الوضوح عن تقديس العفوية في ميدان النشاط السياسي، فالنضال الاقتصادي يكتسب الطابع السياسي في معظم الأحيان في صورة عفوية، أي بدون تدخل "الجرثومة الثورية" – المثقفين. بدون تدخل الاشتراكيين – الديموقراطيين الواعي، فنضال العمال الاقتصادي في انجلترا، مثلا، قد اكتسب كذلك الطابع السياسي دون أي اشتراك من قبل الاشتراكيين، ولكن واجب الاشتراكيين – الديموقراطيين في التحريض السياسي على الصعيد الاقتصادي، بل إن واجبهم أن يحولوا هذه السياسة التريديونيونية إلى نضال سياسي اشتراكي – ديموقراطي، أن يستفيدوا من ومضات الوعي السياسي، التي يبعثها في العمال، النضال الاقتصادي، لكي يرفعوا العمال إلى مستوى الوعي السياسي

الاشتراكي – الديموقراطي. أما مارتينوف ومن على شاكلته، فبدلا من أن يرفعوا ويدفعوا إلى الأمام الوعي السياسي المستيقظ بصورة عفوية يخرون سجدا أمام العفوية ...".

4) ما هو مشترك بين الاقتصادوية والإرهابية؟

ولأنه، عند كتابة "ما العمل؟" عرفت روسيا، إضافة إلى ظهور الاقتصادوية، انتشارا وعودة مفاجئة للأفكار الإرهابية، يقوم لينين في هذا الجزء بتحليل الظاهرة من خلال البحث في الجذر المشترك بين الاقتصاديين وإرهابيي آنذاك.

يقول لينين:

"لدى الاقتصاديين وإرهابيي اليوم جذر مشترك هو بالضبط تقديس العفوية".

"وقد يبدو زعمنا هذا لأول وهلة متناقضا، إذ أن الفرق الظاهري كبير جدا، بين أناس يضعون في المقام الأول "النضال الجاري المعتاد" وأناس يدعون الأفراد إلى نضال يتطلب الحد الأقصى من نكران الذات، ولكن ليس ثمة هناك من تناقض، فالاقتصاديون والإرهابيون يقدسون قطبين مختلفين من التيار العفوي: "الاقتصاديون يقدسون عفوية "الحركة العمالية الصرف"، والإرهابيون يقدسون عفوية شديد سخط المثقفين، الذين لا يعرفون، أو لا يملكون إمكانية ربط العمل الثوري بحركة العمال في كل واحد.

وفي الحقيقة يصعب على من فقد إيمانه بهذه الإمكانية، أو الذي يؤمن بها فقط، أن يجد مخرجا لسخطه وهمته الثورية غير الإرهاب. وهكذا، فإن تقديس العفوية في الاتجاهين المذكورين ليس إلا البدء بتحقيق برنامج "كريدو" المشهور: العمال ينصرفون إلى نضالهم الاقتصادي ضد أصحاب الأعمال والحكومة (وليعذرنا واضع "الكريدو" إذ نعرب عن أفكاره بكلمات مارتينوف! ونعتقد أن ذلك من حقنا ما دام "كريدو" هو الآخر يقول أن العمال يصطدمون في نضالهم الاقتصادي بالنظام السياسي)".

"إن للنشاط السياسي منطقه المستقل عن إدراك الذين يدعون، عن حسن نية، إلى الإرهاب، أو إلى إضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه. إن جهنم مبلطة بالنوايا الطيبة، وفي هذه الحالة أيضا، لا تمنع النوايا الطيبة من الانجرار العفوي في اتجاه أهون السبل، برنامج "كريدو" البورجوازي الصرف".

5) الطبقة العاملة مناضل طليعي من أجل الديموقراطية

يناقش لينين هنا طبقية الحركة والتشهير السياسي الموجه إلى الشعب بكامله، بما يعني معالجة اشكالية التوافق بين حاجة البروليتاريا الى التربية السياسية وما تحتاجه الحركة الديموقراطية العامة، أي عموما، علاقة النضال الاشتراكي بالنضال الديموقراطي، حيث يقوم لينين بنقد "المرحلوية الاقتصادوية" التي تعني النضال الاقتصادي أولا (تجميع العمال)، ثم بعد ذلك النضال السياسي، أي النشاط الترديونيوني وبعده النشاط الاشتراكي الديموقراطي.

*لحد الآن عالج لينين إشكالية التشهير السياسي من زاوية حاجة الطبقة العاملة للوعي السياسي الطبقي، أي إلى حاجتها للمعرفة السياسية والتربية السياسية، ويقول لينين:

"أن طرح المسألة على هذا الشكل وحده يكون ضيقا جدا، ويغفل المهام الديموقراطية العامة، التي تواجه كل اشتراكية – ديموقراطية بوجه عام، والاشتراكية – الديموقراطية المعاصرة بشكل خاص".

"إن كل الناس متفقين على ضرورة إنماء وعي الطبقة العاملة السياسي، والسؤال هو: كيف نقوم بذلك، وماذا ينبغي للقيام بذلك؟ إن النضال الاقتصادي لا يصدم العمال إلا بمسائل موقف الحكومة من الطبقة العاملة، ولذلك، مهما بذلنا من جهد في إضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه، لا نستطيع أبدا أن نصل إلى إنماء وعي العمال السياسي (إلى درجة الوعي السياسي الاشتراكي – الديموقراطي) ضمن إطار هذه المهمة لأن هذا الإطار نفسه ضيق. إن صيغة مارتينوف ذات قيمة في نظرنا، لا لأنها تدل على موهبة مارتينوف في التشويش، بل لأنها تدل بجلاء على الخطأ الرئيسي الذي يقترفه جميع الاقتصاديين، ونعني، الاعتقاد

بأنه يمكن إنماء وعي العمال السياسي الطبقي من داخل نضالهم الاقتصادي، إن أمكن القول، انطلاقا من هذا النضال وحده (أو منه بصورة رئيسية على الأقل) وهذا الرأي مغلوط من أساسه، وبما أن الاقتصاديين، من غضبهم علينا بجدالنا إياهم، لا يريدون أن يعملوا الفكر في مصدر خلافاتنا، يكون الحاصل أننا لا نفهم بعضنا البعض بالمعنى الحرفي للكلمة و نتكلم بلغات مختلفة".

***حول مسالة نقل الوعي إلى الطبقة العاملة:**

"إن الوعي السياسي الطبقي لا يمكن حمله إلى العامل إلا من الخارج، أي من خارج النضال الاقتصادي، من خارج دائرة العلاقات بين العمال وأصحاب الأعمال، فالميدان الوحيد الذي يمكن أن تستمد منه هذه المعرفة هو ميدان علاقات جميع الطبقات والفئات اتجاه الدولة والحكومة، ميدان علاقات جميع الطبقات بعضها تجاه بعض، ولذلك، على سؤال: ماذا ينبغي لحمل المعرفة السياسية للعمال، لا يمكن تقديم ذلك الجواب الوحيد، الذي يكتفي به في معظم الحالات المشتغلون في الميدان العملي، فضلا عن أولئك الذين يميلون منهم إلى الاقتصادية، ونعني جواب: "التوجه إلى العمال"، فلكي ما يحمل الاشتراكيون – الديموقراطيون إلى العمال، المعرفة السياسية، ينبغي لهم التوجه إلى جميع طبقات السكان، ينبغي لهم أن يرسلوا فصائل جيشهم إلى جميع الجهات".

وبصدد سؤال لمن يجب أن نتوجه؟

يقول لينين:

"ينبغي لنا أن نتوجه إلى جميع طبقات السكان بوصفنا نظريين، وبوصفنا دعاة، وبوصفنا محرضين، وبوصفنا منظمين. لا يشك أحد أنه ينبغي لعمل الاشتراكيين – الديموقراطيين النظري، أن يتجه لدراسة جميع خصائص الوضع الاجتماعي والسياسي لمختلف الطبقات. ولكن العمل في هذا الاتجاه قليل، قليل جدا، أقل بكثير من العمل الذي يجري لدراسة خصائص حياة المعامل. إنكم تصادفون في اللجان والحلقات أناسا يتعمقون في دراسة هذا الميدان أو ذاك من ميادين إنتاج الحديد، ولكنكم لا تصادفون

تقريبا من يستدل منه على أن أعضاء المنظمات (المضطرون كما يحدث في كثير من الحالات إلى ترك النشاط العملي لسبب من الأسباب) ينصرفون بصفة خاصة إلى جمع مواد حول قضية من قضايا الساعة في حياتنا الاجتماعية والسياسية، يمكن أن تتيح للاشتراكية –الديموقراطية فرصة العمل بين فئات السكان الأخرى.

ونحن، عندما نتكلم عن ضعف الاستعداد لدى معظم قادة حركة العمال الحاليين، لا يسعنا إلا أن نذكر التحضير في هذا الحقل أيضا، إذ أنه مرتبط كذلك بالمفهوم الاقتصادي للصلة العضوية الوثيقة بالنضال البروليتاري.

ولكن الأمر الأهم طبعا هو الدعاية والتحريض بين جميع فئات الشعب. إن ما ييسر هذا الواجب على الاشتراكي – الديموقراطي في أوروبا الغربية إنما هي الاجتماعات والتجمهرات العامة، التي يحضرها كل راغب، وييسره البرلمان الذي يتكلم فيه أمام نواب من جميع الطبقات.

أما نحن، فليس لنا برلمان ولا حرية اجتماع، ولكننا مع ذلك، نحسن تنظيم اجتماعات للعمال، الذين يريدون أن يصغوا إلى اشتراكي ديموقراطي، وينبغي لنا أن نحسن كذلك تنظيم اجتماعات يحضرها ممثلو جميع طبقات السكان، الذين يريدون أن يصغوا إلى ديموقراطي، لأنه ليس باشتراكي - ديموقراطي من ينسى عمليا أن "الشيوعيين يؤيدون كل حركة ثورية"، وإننا تبعا لذلك ملزمون بأن نعرض أمام الشعب كله، ونشدد على المهام الديموقراطية العامة دون أن نخفي لحظة واحدة عقائدنا الاشتراكية. ليس باشتراكي – ديموقراطي من ينسى عمليا أنه ملزم بأن يكون أول من يطرح ويشحذ ويحل كل مسالة من المسائل الديموقراطية العامة".

"لا يمكن أن يصبح طليعة للقوى الثورية في زمننا غير الحزب الذي ينظم تشهيرا يسترعي انتباه الشعب حقا، ولكلمة الشعب كله مضمون كبير جدا، والأكثرية الكبرى من المشهرين، اللذين لا ينتسبون إلى الطبقة العاملة (والحال أن من يريد أن يكون الطليعة ينبغي له أن يجذب الطبقات الأخرى) هم ساسة حصفاء وأناس عمليون رابطو الجأش، يعرفون حق المعرفة مبلغ خطر الشكوى

حتى موظف صغير، ناهيك عن الحكومة الروسية ذات الحول والطول، وهم لن يتوجهوا إلينا بالشكوى إلا عندما يرون أنها ستكون فعلا ذات تأثير، وأننا قوة سياسية، ولكي ما تصبح مثل هذه القوة في نظر الآخرين، لا يكفي أن نعلق لافتة الطليعة على نظرية المؤخرة وممارستها، بل ينبغي لنا أن نعمل بدأب وإصرار على رفع مستوى وعينا ومبادرتنا وهمتنا".

***"سيسألنا، ولقد سألنا بالفعل، المتحمس حماسا يفوق المعقول "للصلة العضوية الوثيقة بالنضال البروليتاري". ولكن إذا كان ينبغي لنا أن نأخذ على عاتقنا تنظيم تشهير بالحكومة يستدعي انتباه الشعب كله حقا، فبم يتجلى طابع حركتنا الطبقي؟**

- إنه يتجلى في كون تنظيم التشهير الذي يسترعي انتباه الشعب كله، يجري بالذات من قبلنا نحن الاشتراكيون – الديموقراطيون،
- يتجلى في كون شرح جميع القضايا التي يثيرها التحريض، سيجري عل الدوام بالروح الاشتراكية – الديموقراطية دون أي تسامح بتشويه الماركسية عن قصد أو غير قصد – يتجلى في كون هذا التحريض السياسي الشامل سيجري من قبل حزب يوحد في كل لا يتجزأ، الهجوم على الحكومة باسم الشعب كله، وتربية البروليتاريا تربية ثورية مع الاحتفاظ باستقلالها السياسي، وقيادة نضال الطبقة العاملة الاقتصادي، والاستفادة من اصطداماتها العفوية مع مستغليها، هذه الاصطدامات، التي تستنهض و تجذب إلى معسكرنا فئات جديدة وجديدة من البروليتاريا!".

"لكن إحدى السمات المميزة جدا ل "الاقتصادوية" هي بالضبط عدم فهم هذه الصلة، بل قل عدم فهم هذا التوافق بين ما تحتاج إليه البروليتاريا أشد الحاجة (التربية السياسية الشاملة عن طريق التحريض والتشهير السياسيين) وما تحتاج إليه الحركة الديموقراطية العامة".

6) مرة أخرى "مفترون" مرة أخرى "مشعوذون"

تأكيد مرة أخرى من لينين:

"ومع ذلك يحتاج المرء إلى تفكير طويل لكي يدرك السبب، الذي يجعل بالضبط من كل تقديس لعفوية الحركة الجماهيرية، من كل هبوط بالسياسة الاشتراكية – الديموقراطية إلى مستوى السياسة التريديونيونية، بمثابة تمهيد التربة لتحويل حركة العمال إلى أداة للديموقراطية البورجوازية.

فالحركة العمالية العفوية بحد ذاتها تستطيع أن تنشئ (وهي تنشئ حتما) التريديونيونية فقط، وما السياسة التريديونيونية للطبقة العاملة غير السياسة البورجوازية للطبقة العاملة، واشتراك الطبقة العاملة في النضال السياسي، وحتى في الثورة السياسية، لا يجعل إطلاقا بعد من سياستها سياسة اشتراكية – ديموقراطية".

في الهامش ص 97:

"يستشهدون هنا أيضا ب "الظروف الروسية الملموسة التي تدفع حركة العمال بصورة جبرية إلى الطريق الثوري". إن هؤلاء الناس لا يريدون أن يفهموا أن الطريق الثوري لحركة العمال، يمكن أن يكون أيضا طريق غير اشتراكي – ديموقراطي!

فالواقع أن البورجوازية في أوروبا الغربية كلها كانت في عهد الحكم المطلق "تدفع" العمال، تدفعهم عن وعي، إلى الطريق الثوري. أما نحن الاشتراكيون – الديموقراطيون فلا يمكن أن نكتفي بذلك. وإذا ما هبطنا نحن بالسياسة الاشتراكية – الديموقراطية بشكل من الأشكال إلى مستوى السياسة العفوية، التريديونيونية، فإننا بذلك نسهل أمور الديموقراطية البورجوازية".

الفصل الرابع

عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين

"إن ما قمنا بتحليله من مزاعم "رابوتشيه ديلو" أن النضال الاقتصادي هو الوسيلة، التي يمكن استعمالها بأوسع شكل للتحريض السياسي، وأن واجبنا هو إضفاء الطابع السياسي على النضال الاقتصادي نفسه الخ... يعرب عن فهم ضيق لا لمهامنا السياسية

وحسب، بل لمهامنا التنظيمية أيضا. ف "النضال الاقتصادي ضد أصحاب الأعمال والحكومة" لا يتطلب على الإطلاق – ولذلك لا يمكن أن تنشأ على أساس هذا النضال – منظمة متمركزة لعامة روسيا توحد في ضغط واحد عام جميع مظاهر المعارضة السياسية والاحتجاج والاستياء على اختلافها، منظمة تتألف من ثوريين محترفين، يقودها زعماء سياسيون حقيقيون للشعب كله".

1) ما هو العمل الحرفي؟

يقدم لينين الجواب عبر الاستشهاد بنموذج لحلقة اشتراكية – ديموقراطية في سنوات 1894 – 1901:

طلبة ← ماركسية ← (جواب على سؤال "ما العمل؟") ← نزول إلى الميدان بعتاد بدائي (بل حتى معدما) ← ذهبوا إلى الحرب كفلاحين حيث تركوا المحراث لتوهم (حمل الهراوات) ← لا علاقة لهم بالقدماء ← لا علاقة بالحلقات الأخرى في المناطق الأخرى بل حتى في الأحياء الأخرى ... ← لا تنظيم لمختلف أجزاء العمل الثوري ← لا منهاج عمل منتظم ثابت ← تربط الاتصال بالعمال وتبدأ العمل.

بداية العمل ← توسع الدعاية والتحريض ← تحبيذ فئات من العمال وقسم من المثقفين (دعم بالنقود، يضعون تحت تصرفها جماعة من الشبيبة بعد أخرى) ← تزداد جاذبية اللجنة ← اتساع ميدان نشاطها (عفويا) ← نفس الأشخاص الذين اشتركوا منذ سنة أو عدة أشهر في حلقات الطلاب، وانكبوا على حل مسألة: "إلى أين نتجه؟" والذين أقاموا الصلات مع فرق من الثوريين، ويحصلون على المطبوعات ويشرعون بإصدار جريدة محلية، ويأخذون بالحديث عن تنظيم مظاهرة وينتقلون في النهاية إلى الأعمال الحربية المكشوفة (مثلا أول نشرة تحريض أو مظاهرة) ← بداية هذه الأعمال عادة تؤدي إلى الانهيار على الفور.

<u>تعليق لينين:</u>

"تفضي على الفور إلى الانهيار التام، لأن هذه الأعمال الحربية لم تأت على وجه الدقة نتيجة لمنهاج منتظم، وضع سلفا بعد تبصر وإعمال فكر، لنضال مديد عنيد، بل مجرد تطور عفوي لعمل الحلقات الجاري حسب المعتاد، لأن الشرطة كانت بطبيعة الحال تعرف دائما تقريبا جميع مناضلي الحركة المحلية الرئيسيين، الذين "اشتهر أمرهم" منذ كانوا طلابا على مقاعد الدراسة، ولم تكن تنتظر غير الظرف المناسب للقبض عليهم تاركة للحلقة عن عمد إمكانية النمو وتوسيع نشاطها إلى حد يكفي لكي تحصل على " جسم الجريمة" ".

= استعمال طعم: ترك أشخاص يتحركون، نحن هنا أمام حرب زمر فلاحين مسلحين بالهراوات ضد جيش حديث.....

لقد كشفت إضرابات 1896 نواقص هذا النوع من التنظيم، وأبانت عن تطور القمع وأساليبه وشدة الضربات الموجهة للثوريين.....

ويقول لينين:

" قد كانت النتيجة المحتومة لهذه الظروف التي وصفناها أن انقسم المناضلون المحليون انقساما مذهلا، وأصبح تركيب الحلقات عرضيا، وانعدم الاستعداد، وضاق أفق النظر في ميادين المسائل النظرية والسياسية والتنظيمية. وقد بلغ الأمر أن أصبح العمال في بعض المناطق، بسبب النقص في رباطة جأشنا وفي سرية عملنا، يفقدون ثقتهم بالمثقفين ويتبرمون منهم، ويقولون أن المثقفين يسببون الإخفاقات من جراء طيشهم المفرط".

2)العمل الحرفي والاقتصادوية

يطرح لينين سؤالا:

"هذا العمل الحرفي بوصفه مرض نمو يلازم الحركة بمجموعها، هل يمكن أن يقرن ب "الاقتصادوية" باعتبارها أحد تيارات الاشتراكية – الديموقراطية الروسية؟".

*جواب: حول علاقة العمل الحرفي بالاقتصادوية

"نعتقد أن ذلك ممكن. إن نقص الاستعداد العملي، إن عدم المهارة في العمل التنظيمي هو في الحقيقة شيء عام بالنسبة إلينا جميعا، حتى الذين تمسكوا منذ البدء، بوجهة نظر الماركسية الثورية. ولا يمكن لأحد بطبيعة الحال أن يلوم المشتغلين في الميدان العملي لنقص الاستعداد بحد ذاته. ولكن مفهوم "العمل الحرفي" يتضمن، فضلا عن نقص الاستعداد، شيئا آخرا، هو ضيق نطاق العمل الثوري كله بوجه عام، وعدم فهم أن منظمة ثوريين جديدة لا يمكن أن تتكون على أساس هذا العمل الضيق، وأخيرا، وهو الأمر الأهم، محاولات تبرير هذا النطاق الضيق ورفعه إلى مقام "نظرية" خاصة، أي تقديس العفوية في هذا الميدان أيضا. ومنذ أن ظهرت هذه المحاولات، لم يبق شك في أن العمل الحرفي مرتبط ب "الاقتصادوية"، وأننا لن نتخلص من ضيق نشاطنا التنظيمي إذا لم نتخلص من "الاقتصادوية" عموما (أي من المفهوم الضيق للنظرية الماركسية ولدور الاشتراكية – الديموقراطية ولمهامها السياسية)".

3)منظمة العمال ومنظمة الثوريين

يقول لينين:

"إذا كان مفهوم النضال الاقتصادي ضد أصحاب الأعمال والحكومة، في نظر الاشتراكي – الديموقراطي يغطي مفهوم النضال السياسي، فطبيعي أن نتوقع لمفهوم "منظمة العمال" أن يغطي في نظره إلى حد ما مفهوم "منظمة الثوريين" ".

*بعد هذا التقديم، يتحدث أوليانوف عن مصدر الخلافات مع الاقتصاديين في مجال التنظيم:

"فما هو مصدر خلافاتنا؟ إنه يكمن في كون الاقتصاديين ينزلقون على الدوام من الاشتراكية – الديموقراطية إلى التريديونيونية، إن في المهام التنظيمية أو المهام السياسية، فنضال الاشتراكية – الديموقراطية السياسي أوسع جدا وأكثر تعقيدا من نضال العمال الاقتصادي ضد أصحاب الأعمال والحكومة. وكذلك، (تبعا لذلك)، فلابد للتنظيم الاشتراكي – الديموقراطي الثوري من أن يكون من نوع آخر، يختلف عن تنظيم العمال للنضال الاقتصادي، إذ ينبغي لمنظمة العمال أن تكون، أولا، مهنية، ثانيا، واسعة ما أمكن، ثالثا، علنية ما أمكن (...) وبالعكس، ينبغي لمنظمة الثوريين أن تضم بالدرجة الأولى، وبصورة رئيسية أناسا يكون النشاط الثوري مهنتهم (ولذلك أتحدث عن منظمة الثوريين، وأنا أعني الثوريين الاشتراكيين –الديموقراطيين). وحيال هذه الصفة المشتركة بين أعضاء مثل هذه المنظمة، ينبغي أن ينمحي بصورة تامة كل فرق بين العمال والمثقفين، فضلا عن الفروق بين مهن هؤلاء وأولئك على اختلافها. ينبغي لهذه المنظمة بالضرورة ألا تكون واسعة جدا، وأن على أكثر ما يمكن من السرية.

فلنتناول هذه الفروق الثلاثة".

"إن الفرق بين التنظيم المهني والتنظيم السياسي واضح تماما في البلدان التي تتمتع بحرية سياسية، وضوح الفرق بين التريديونيونيات والاشتراكية – الديموقراطية. وطبيعي أن علاقة الاشتراكية – الديموقراطية بالتريديونيونيات تختلف حتما من بلد لآخر تبعا للظروف التاريخية والحقوقية وغيرها، ويمكن أن تكون على جانب معين من القوة والتعقيد الخ ... ولكن لا يمكن بأي حال أن تعتبر المنظمة النقابية ومنظمة الحزب الاشتراكي – الديموقراطي في البلدان الحرة شيئا واحدا. أما في روسيا، فإن طغيان الحكم المطلق يمحو لأول وهلة كل فرق بين المنظمة الاشتراكية – الديموقراطية ونقابة العمال، لأن جميع نقابات العمال وجميع الحلقات ممنوعة، لأن المظهر الأساسي والأداة الأساسية لنضال العمال الاقتصادي – أي الإضراب - يعتبر بوجه عام جريمة يعاقب عليها قانون الجزاء (ويعتبر أحيانا جريمة سياسية!). وهكذا، تصدم الظروف عندنا بشدة العمال الذين يخوضون النضال الاقتصادي بالقضايا السياسية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى "تصدم" الاشتراكيين – الديموقراطيين بالخلط بين التريديونيونية والاشتراكية – الديموقراطية".

"ولكن ليس من مصلحتنا على الإطلاق أن نطالب بأن يكون أعضاء الجمعيات "المهنية" من الاشتراكيين – الديموقراطيين وحدهم، لأن ذلك يسفر عن تقلص نفوذنا في الجماهير. فليشترك في الجمعية المهنية كل عامل يدرك ضرورة الاتحاد للنضال ضد أصحاب الأعمال والحكومة، فهدف الجمعية المهنية ذاته لا يمكن بلوغه إن لم تضم هذه الجمعيات البدائية من درجات الفهم، إن لم تكن هذه الجمعيات المهنية منظمات واسعة جدا. وبمقدار ما تتسع هذه المنظمات، يتسع نفوذنا فيها، وهو نفوذ لا ينشأ فقط عن التطور "العفوي" للنضال الاقتصادي، إنما ينشأ أيضا عن تأثير أعضاء الجمعية الاشتراكيين في رفاقهم تأثيرا مباشرا واعيا، ولكن عندما يكون عدد المنتمين إلى منظمة من المنظمات كبيرا تتعذر السرية الدقيقة (التي تتطلب استعدادا أكبر جدا من الاستعداد اللازم للنضال الاقتصادي). فكيف نحل هذا التناقض بين ضرورة سعة المنظمة وضرورة السرية الدقيقة؟ كيف نعمل لتكون المنظمات المهنية سرية لأقل حد ممكن؟ لبلوغ ذلك، لا يوجد بوجه عام غير سبيلين: إما جعل الجمعيات المهنية علنية (وقد حدث هذا في بعض البلدان قبل أن تصبح الجمعيات الاشتراكية والسياسية علنية) و إما إبقاء المنظمة سرية، ولكن "حرة" و غير واضحة الحدود، LOSE، كما يقول الألمان، لدرجة تصبح معها الصفة السرية بالنسبة لجمهور الأعضاء في حكم العدم تقريبا".

"ولكن قيامنا بكل ذلك لا يعني البتة أننا ننسى أن جعل حركة العمال علنية سيعود بالنفع في نهاية الأمر علينا نحن، لا على أمثال زوباتوف البتة. إن الأمر على العكس، فبحملتنا التشهيرية نفضل نحن الزوان عن الحنطة، وقد بينا الزوان، أما الحنطة فهي لفت أنظار أوسع فئات العمال وأكثرها تأخرا إلى المسائل الاجتماعية والسياسية، هي تحريرنا، نحن الثوريين، من وظائف هي في الجوهر علنية (نشر الكتب العلنية، المساعدة المتبادلة، الخ...)، وظائف يؤدي تطورها حتما إلى إعطائنا عددا متزايدا على الدوام من المواد للتحريض".

يعطي لينين الصيغة أو الشكل، الذي يجب أن يقوم عليه تنظيم مهني أو تريديونيوني مرتبط بالتنظيم الاشتراكي – الديموقراطي الثوري:

"إن نواة صغيرة متراصة، تتألف من أشد العمال ثقة وحنكة وتمرسا بالنضال، لها معتمدون في المناطق الرئيسية، وتتصل بمنظمة الثوريين على أساس مراعاة قواعد العمل السري بكل دقة، تستطيع تماما، استنادا لأوسع تأييد من قبل الجمهور، وبدون أي شكل تنظيمي، أن تقوم بجميع الوظائف الملقاة على المنظمة المهنية، وتستطيع فضلا عن ذلك القيام بها على وجه الضبط بالشكل الذي تريده الاشتراكية – الديموقراطية، هذا هو الطريق الوحيد، الذي يمكن من تعزيز وتطوير الحركة المهنية الاشتراكية – الديموقراطية بالرغم من الدرك كله. وسيعترضون علي بقولهم أن منظمة "Lose" (واسعة، حرة، فضفاضة) إلى حد أنها لا تتخذ لنفسها أي شكل معين، وأعضاؤها غير معروفين وغير مسجلين، لا يمكن أن تسمى بمنظمة. ربما لست بمن يهتمون بالأسماء، ولكن هذه "المنظمة بلا أعضاء" ستقوم بكل ما يلزم، وستؤمن منذ البدء الصلة الوثقى بين تريديونيوناتنا المقبلة وبين الاشتراكية. وكل من يريد في ظل الاستبداد منظمة عمال واسعة تنتخب هيئاتها على أساس الاقتراع العام، وتقدم التقارير و الخ ...فهو بكل بساطة طوبوي لا يرجى له شفاء.

والعبرة التي تستخلص من ذلك بسيطة: إذا بدأنا بتكوين منظمة ثوريين وطيدة قوية، استطعنا أن نضمن الاستقرار للحركة بمجموعها، استطعنا أن نبلغ الأهداف الاشتراكية – الديموقراطية، والأهداف التريديونيونية الصرفة أيضا. أما إذا بدأنا بتكوين منظمة عمال واسعة، منظمة يزعم أنها "أسهل منالا" للجماهير (والواقع أنها أسهل منالا للدرك، وأنها تجعل الثوريين أسهل منالا للشرطة) فإننا لن نبلغ لا هذه الأهداف ولا تلك، ولن نتخلص من العمل الحرفي، بل إننا، بانقساماتنا وانهياراتنا الدائمة، نجعل طراز تريديونيونيون زوباتوف أو أوزيروف أسهل منا للجماهير".

*فيما يخص العلاقة بين الحزب والجماهير، والقادة والجمهور، يقول لينين:

"1- لا يمكن أن توجد أية حركة ثورية وطيدة بدون منظمة من القادة ثابتة تحافظ عل الاستمرارية.

2-بمقدار ما يتسع الجمهور الذي ينهض بصورة عفوية إلى النضال، والذي يؤلف قاعدة الحركة ويساهم فيها، تشتد الحاجة إلى مثل هذه المنظمة، وينبغي لها أن تكون أوطد (...).

3-ينبغي لهذه المنظمة أن تتألف بصورة رئيسية من أناس يجعلون من النشاط الثوري مهنة لهم.

4- بمقدار ما نضيف، في بلد يسودها الاستبداد، قوام أعضاء هذه المنظمة، بحيث لا يشترك فيها غير الأشخاص الذين جعلوا من النشاط الثوري مهنة لهم، والذين تدربوا تدريبا مهنيا على فن النضال ضد الشرطة السياسية، تزداد صعوبة اصطياد هذه المنظمة، ويزداد أعداد أبناء الطبقة العاملة والطبقات الاجتماعية الأخرى، الذين تتاح لهم إمكانية الاشتراك في الحركة والعمل النشيط فيها".

***حول مسألة القمع وعلاقتها ب " دستة من الأذكياء" ومائة من الحمقى، يقول لينين:**

"هل المنظمة الجماهيرية ممكنة مع ضرورة المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري؟ لن نستطيع بحال من الأحوال أن نرفع منظمة واسعة إلى ذلك المستوى من السرية، الذي لا يمكن بدونه حتى الحديث عن النضال ضد الحكومة له صفة الثبات والاستمرارية.

إن تركيز جميع الوظائف السرية في أيدي أقل عدد ممكن من الثوريين المحترفين لا يعني قط أن هؤلاء "سيفكرون عوضا عن الجميع"، وأن الجموع لن تساهم في الحركة بنشاط، بل بالعكس، فإن الجموع ستبرز هؤلاء الثوريين المحترفين بعدد يتزايد باستمرار، لأن الجميع سيعرف عندئذ، أنه لا يكفي أن يجتمع عدد من الطلاب والعمال القائمين بالنضال الاقتصادي، ويشكل "اللجن"، إنما ينبغي للجموع أن تنفق السنين على تنشئة ثوريين محترفين من صلبها، وسينصرف تفكيرها إلى هذه التنشئة بالذات، لا إلى العمل الحرفي وحده. إن تركيز الوظائف السرية للمنظمة لا يعني إطلاقا تركيز جميع وظائف الحركة، فاشتراك أوسع الجماهير اشتراكا نشيطا في المنشورات السرية لا يقل، من جراء تركيز "دستة" من الثوريين المحترفين للوظائف السرية في هذا العمل، بل

بالعكس، يزداد أضعافا مضاعفة. ليس من طريق غير هذا الطريق يوصلنا إلى جعل أمر قراءة المنشورات السرية، والمساهمة في تحريرها، وحتى أمر توزيعها إلى حد معين، تكف تقريبا عن أن تكون أمرا سريا، لأن السلطة لا تلبث أن تفهم أن من الحماقة والمستحيل اللجوء إلى الإجراءات القضائية والإدارية بصدد كل نسخة من ألوف النسخ الموزعة".

"إن تركيز منظمة الثوريين لأكثر الوظائف سرية لا يضعف، إنما يزيد سعة ومضمون نشاط مجموعة كبرى من المنظمات الأخرى المعدة للجمهور الواسع، والتي تخلو بسبب ذلك لأقصى حد ممكن من الشكل التنظيمي والسرية، كنقابات العمال، وحلقات العمال للدراسة ولقراءة المنشورات السرية، والحلقات الاشتراكية، وكذلك الحلقات الديموقراطية بين جميع فئات السكان الأخرى الخ ... إن هذه الحلقات والنقابات والمنظمات ضرورية في كل مكان، وبأكبر عدد ممكن، وبوظائف متنوعة ما أمكن، ولكن من الرأي الخاطئ، ومن الضروري أن نخلط بينها وبين منظمة الثوريين، وأن نطمس الحد الفاصل بين هذه المنظمات ومنظمة الثوريين، وأن نطفئ في الجمهور نور الإدراك، الذي سبق له وخبا إلى حد لا يصدق، الإدراك بأن الحركة الجماهيرية تحتاج "لخدمتها" إلى أناس يكرسون أنفسهم خصيصا وكليا للنشاط الاشتراكي – الديموقراطي، وأنه ينبغي لهؤلاء الناس أن يربوا من أنفسهم بصبر ومثابرة ثوريين محترفين. أجل، لقد خبا هذا الإدراك لدرجة يصعب تصورها، والخطيئة الرئيسية التي اقترفناها في ميدان التنظيم، هي كوننا، في عملنا الحرفي، قد أسأنا إلى سمعة الثوري في روسيا، ثوري ضيق الأفق، ضعيف ومتردد في القضايا النظرية، يجعل من عفوية الجماهير مبررا لرخاوته، أشبه بسكرتير تريديونيون منه إلى خطيب شعبي، غير كفئ لعرض برنامج واسع جريء، ينتزع احترام الخصوم أنفسهم، قليل الخبرة وأخرق في الفن الذي اتخذه لنفسه مهمة – النضال ضد الشرطة السياسية - هل هذا هو الثوري من فضلكم؟ لا، إن هذا حرفي يستحق الشفقة".

← "أعطونا منظمة من الثوريين نقلب روسيا رأسا على عقب! وبمقدار ما وجب علي منذ ذلك الحين أن أتذكر الشعور الخجل المميض، الذي يحز في نفسي آنذاك، كانت تمتلأ نفسي بالمرارة ضد أولئك الاشتراكيين – الديموقراطيين المزيفين، الذين "يهينون

لقب الثوري" بدعايتهم، والذين لا يفهمون أن واجبنا، ليس الدفاع عن الهبوط الثوري إلى مستوى الحرفي، بل رفع الحرفيين إلى مستوى الثوريين".

4) سعة العمل التنظيمي

"إن المحرض العامل لا ينبغي أن يعمل في المعمل إحدى عشرة ساعة، إذا كان موهوبا و"باعثا للآمال" ولو إلى حد ضئيل، ينبغي لنا أن نبذل جهدنا لكي يعيش على نفقة الحزب لكي ينتقل إلى السرية في الوقت الملائم، لكي يغير مكان نشاطه، إذ انه إن لم يفعل ذلك لا يمكنه أن يكتسب خبرة كبيرة، وأن يوسع أفقه، وأن يصمد عدة سنوات على الأقل في النضال ضد الدرك، وكلما اتسع نهوض جماهير العمال العفوي وازداد عمقا، يبرز من صفوفها عدد أكبر، لا من الموهوبين في التحريض فحسب، بل من الموهوبين كذلك في التنظيم وفي الدعاية، ومن "المشتغلين في الميدان العملي"، بمعنى الكلمة الأحسن (القلائل جدا عندنا بين مثقفينا الذين هم في معظمهم على شيء من الرخاوة والجمود الروسيين). وعندما تصبح لدينا فصائل من الثوريين العمال المعدين إعدادا خاصا، والذين اجتازوا مدرسة نضال طويل (والاختصاصيين طبعا في "جميع الأسلحة"). عندئذ لا يمكن لأية شرطة سياسية في العالم أن تتغلب على هذه الفصائل، لأن هذه الفصائل المؤلفة من أناس مخلصين للثورة منتهى الإخلاص، ستتمتع أيضا بثقة لا حد لها بين أوسع جماهير العمال. وخطأنا الأكيد هو كوننا قلما "ندفع" العمال إلى هذه الطريقة المشتركة بينهم وبين "المثقفين"، طريق التدريب الثوري المهني، ونكثر من جرهم إلى الوراء بخطاباتنا البليدة عما هو في "متناول" جماهير العمال و"العمال المتوسطين"، الخ ...".

5) المنظمة "التآمرية" و "الروح الديموقراطية"

" ... ولكن تلك المنظمة الرائعة، التي كانت لدى الثوريين في العقد الثامن، والتي ينبغي أن تكون نموذجا نحتذيه جميعا، لم تؤسسها جماعة "نارودنايا فوليا"، بل أسستها جماعة "زيملیا إي فوليا"، التي انشقت فيما بعد إلى جماعة "تشيورني بيريديل"

وجماعة "نارودنايافوليا". فمن الحماقة إذن، من وجهتي النظر التاريخية والمنطقية أن نرى في منظمة الكفاح الثورية سمة من السمات، التي اختصت بها جماعة "نارودنايا فوليا"، لأن كل اتجاه ثوري، شرط أن يستهدف فعلا القيام بنضال جدي لا يمكنه أن يستغني عن مثل هذه المنظمة، فجماعة "نارودنايا فوليا" لم تخطئ، إذ دأبت على أن تجذب إلى منظمتها جميع الساخطين، وعلى أن توجه هذه المنظمة إلى النضال الحازم ضد الحكم المطلق، بل إنما كان ذلك، بالعكس، مأثرتها التاريخية العظمى. لقد كان خطأ هذه الجماعة أنها استندت إلى نظرية ليست في الجوهر بثورية أصلا، وأنها لم تعرف، أو لم تستطع ربط حركتها ربطا وثيقا بالنضال الطبقي داخل المجتمع الرأسمالي المتطور.

إن الرأي القائل بأن نشوء حركة العمال الجماهيرية العفوية يخلصنا من واجب تأسيس منظمة ثوريين جيدة، فالمنظمة التي أسستها جماعة "زيمليا إي فوليا"، بل تفضلها جدا، لا يمكن أن ينبثق إلا على أساس عدم فهم للماركسية فظ إلى أبعد حدود الفظاظة (أو على أساس "فهمها" على نمط "الستروفية"). بالعكس، إن هذه الحركة تفرض علينا بالذات هذا الواجب، لأن نضال البروليتاريا العفوي لا يصبح "نضالا طبقيا" حقا للبروليتاريا إلا عندما توجهه منظمة ثوريين قوية".

"يعترض علينا: أن منظمة قوية وسرية جدا تجمع في يديها جميع خيوط النشاط السري، وتقوم بالضرورة على المركزية، يمكن لها أن تندفع بسهولة فائقة إل الهجوم قبل الأوان، يمكن لها أن توتر الحركة بطيش قبل أن يبلغ السخط السياسي والفوران والنقمة في الطبقة العاملة الخ ... حدا يجعل ذلك أمرا ممكنا وضروريا".

"إن منظمة كفاحية متمركزة، تنتهج السياسة الاشتراكية – الديموقراطية دون عوج، وترضي، إن أمكن القول جميع الغرائز والمطامح الثورية، هي وحدها القادرة على حفظ الحركة من الهجمات الطائشة، وعلى تحضير هجوم يبعث على الأمل بالنجاح، ويعترض علينا أيضا أن وجهة النظر المعروضة بصدد المنظمة تتناقض والمبدأ الديموقراطي" ".

" إن هذا "اللعب بالديموقراطية" لم يكن من الممكن أن يتطور هنا وهناك، وخصوصا لدى الفرق الصغيرة، إلا في الخارج، حيث لا يندر أن يجتمع أناس ممن لا يجدون إمكانية القيام بعمل حقيقي وحي".

"إن المبدأ التنظيمي الوحيد، ينبغي أن يكون بالنسبة للعاملين في حركتنا: المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري واختيار الدقيق للأعضاء واعداد الثوريين المحترفين. فإذا ما وجدت هذه الصفات حصلنا على شيء أكثر من "الديموقراطية"، حصلنا بالضبط على الثقة الرفاقية بين الثوريين".

6) العمل في النطاق المحلي والروسي العام

*حول التساؤل المتعلق ببناء منظمة ثورية ممركزة لعامة روسيا، قد يؤدي إلى انتقال مركز الثقل من العمل المحلي إلى العمل الوطني، وإمكانية خلق الضرر بالحركة لإضعافه متانة الصلات بجمهور العمال، ويضرب استقرار التحريض المحلي بوجه عام؟

يجيب لينين بلا:

"إن الإكثار بالعمل المحلي وجعله أولوية، يؤدي إلى ضرب العمل السياسي العام، ذلك أنه ليس بمستطاع أية منظمة محلية أن تجمع المواد الكافية، وأن تستفيد منها لإلقاء الضوء على الحياة السياسية كلها".

"إن الجهاز السري الجيد يتطلب من الثوريين إعدادا مهنيا طيبا، ويتطلب تقسيما للعمل ينفذ بمنتهى الدقة، وليس في طاقة أية منظمة محلية مهما كانت قوية في هذا الظرف أن تضمن تحقيق هذين الشرطين".

"إن تفوق الجرائد المحلية على الجرائد المركزية، إما أن يكون دليل الفقر أو دليل البذخ، فهو دليل الفقر، إذا كانت الحركة لم تعد بعد القوى اللازمة للإنتاج الضخم، وإذا كانت ما تزال تتسكع في الحرفية، وإذا كانت غارقة تقريبا في "توافه حياة المعامل"، وهو دليل البذخ، إذا كانت الحركة قد حققت بصورة تامة مهمة التشهير الشامل، والتحريض الشامل، بشكل تنشأ معه ضرورة

وجود عدد كبير من الجرائد المحلية إلى جانب الجريدة المركزية. فليقرر إذن كل بنفسه على أي شيء يدل تفوق الجرائد المحلية عندنا الآن.

أما أنا فسأقتصر على تحري الدقة في صياغة استنتاجي، دفعا لسوء الفهم. حتى الآن تقصر معظم المنظمات المحلية عندنا تفكيرها كله تقريبا على الجرائد المحلية وحدها، وتقصر نشاطها كله تقريبا على هذه الجرائد. هذا أمر غير طبيعي؟

"ولكن الأمر ليس كذلك، فالنضال الاقتصادي، وقد أشرنا إلى ذلك مرارا، هو نضال مهني، وهو لذلك يتطلب اتجاه حسب المهن، لا تبعا لأماكن عملهم وحسب، وهذا الاتحاد حسب المهن يصبح أمرا لا مناص منه بمقدار ما يسرع أصحاب الأعمال عندنا إلى الاتحاد في مختلف أنواع الجمعيات والنقابات، وما تبعثرنا وطريقة عملنا الحرفي إلا عائق مباشر في طريق هذا الاتحاد، الذي يتطلب منظمة ثوريين واحدة لعامة روسيا، قادرة على قيادة نقابات العمال في النطاق الروسي العام. لقد تكلمنا عن طراز التنظيم المرغوب فيه لهذا الغرض".

الفصل الخامس

1- "مشروع" جريدة سياسية لعامة روسيا

أثارت مقالة لينين "**بما نبدأ**" العديد من أنصار "حرية النقد" وأصحاب الاقتصادوية، فاتهموا ال"إسكرا" معتبرين أن الخطأ الأكبر الذي اقترفته هو مشروعها عن المنظمة الحزبية العامة، الذي جاء في مقال "**بما نبدأ**"، وادعوا أن "الإسكرا" تقلل من أهمية النضال الجاري المعتاد مقارنة بالدعاية إلى الأفكار البراقة المتبلورة، وانضم إلى الجوقة نادجدين، الذي كتب في كراس "**عشية الثورة**"، والذي أصدرته جماعة "سفوبودا" الاشتراكية الثورية، و جاء في كلامه أن:

"الكلام في هذا الوقت عن منظمة متصلة الأسباب بجريدة لعامة روسيا يعني توليد الأفكار المكتبية والعمل المكتبي"، بل أسمى ذلك، "التنميق الأدبي"، ويقول لينين:

"إن تضامن هذا الإرهابي مع أنصار "السير الصاعد للنضال الجاري المعتاد" لا يمكن أن يدهشنا الآن بعد أن تبينا جذور هذه القرابة في الفصلين عن السياسة وعن التنظيم".

ويعتبر لينين أن نادجدين هو الوحيد الذي عالج الموضوع من حيث الجوهر، بينما لم تقل "رابوتشيه ديلو من حيث الجوهر أي شيء على الإطلاق مستعملة الأساليب الديماغوجية.

ويقول لينين أنه:

"سيترتب علينا، مهما يكن ذلك غير سار، أن نضيع الوقت أولا في تنظيف اصطبلات أو جياس هذه".

وتناول لينين في الجزء اللاحق:

1- من أغاظتهم مقالة "بما نبدأ؟"

*هنا يقوم لينين بسرد للتعابير والصرخات، التي انهالت بها على "الإسكرا" جريدة "رابوتشيه ديلو"

"ليست الجريدة هي التي تستطيع أن تنشئ منظمة الحزب، بل العكس هو الصحيح".

"جريدة فوق الحزب، لا تخضع لرقابته، مستقلة عنه بفضل شبكة عملائها الخاصة".

"بأي معجزة نسيت "الإسكرا" المنظمات الاشتراكية – الديموقراطية القائمة في الواقع والعائدة للحزب، الذي تنتسب إليه "الإسكرا" نفسها".

"حملة المبادئ الثابتة والمشروع المناسب هم أيضا الضابطون الأعلون للنضال الفعلي للحزب، وهم الذين يملون عليه تنفيذ مشروعهم".

"المشروع يسوق منظماتنا الحية والحيوية إلى عالم الأشباح، ويريد أن يبعث الحياة في شبكة عملاء من صنع الخيال".

"إذا وضع مشروع "الإسكرا" موضع التنفيذ، أدى إلى محو كل أثر للحزب "العمالي الاشتراكي – الديموقراطي في روسيا"، الذي يجري تكوينه عندنا".

"جريدة الدعاية تصبح مشرعا للنضال الثوري العملي بأكمله، مستبدا غير خاضع للرقابة".

إن حديث "رابوتشيه ديلو" تقدمه كما لو أنه ليس فقط اغتياظا لنفسه، بل لمنظمات ولجان الحزب، التي زعمت أن "الإسكرا" تريد أن تسيقها إلى عالم الأشباح ...

ويرد لينين قائلا:

"لقدر صدرت مقالة "بما نبدأ؟" في ماي 1901، وصدرت مقالة "رابوتشيه ديلو" في شتنبر 1901، ونحن الآن في منتصف يناير 1902. وخلال هذه الأشهر الخمسة كلها لم ترفع (لا قبل شتنبر ولا بعد شتنبر) لجنة واحدة، أو منظمة واحدة لمنظمات الحزب احتجاجا رسميا عل هذا الهول الذي يريد أن يسوق اللجان والمنظمات إلى عالم الأشباح! وفي غضون هذه الفترة نشرت "الإسكرا" وغيرها من المطبوعات الكثيرة ذات الطابع المحلي وغير المحلي عشرات، بل مئات من الأخبار تلقتها من جميع زوايا روسيا. فكيف نفسر واقع أن الذين يراد سوقهم إلى عالم الأشباح لم يلحظوا ذلك، ولم يغضهم ذلك، بل أغاض طرفا ثالثا؟

تفسير ذلك أن اللجان وغيرها من المنظمات منصرفة إلى العمل الحقيقي، إلى اللعب ب "الديموقراطية". لقد قرأت اللجان مقالة "بما نبدأ؟"، ورأت أنها محاولة لوضع مشروع معين للمنظمة لكي ما يمكن الشروع ببنائها من جميع الجهات، ولما كانت تعلم،

وترى بوضوح أن أية جهة من جميع الجهات هذه. لن تفكر بالشروع بالبناء ما لم تقتنع بضرورته وبصحة المخطط الهندسي، لم يخطر لها ببال طبعا أن تغتاظ من جرأة الناس الذين أعلنوا في "الإسكرا" قائلين "إننا نظرا لكون المسألة هامة لا تقبل التأجيل، عزمنا من جهتنا على أن نعرض على أنظار الرفاق الخطوط الكبرى لمشروع نفصله في الكراس الذي نعده للطبع".

***وفي إطار إفحام خصومه، سرد لينين أربعة وقائع:**

الواقعة الأولى:

يروي لينين هنا، كيف أن أعضاء أحد "اتحادات النضال" اتفقوا مع أحد أعضاء جماعة "الإسكرا" على تأسيس مكتبة عمالية خاصة لخدمة الحركة بمجموعها، ولم تسمح الظروف بتأسيس تلك المكتبة العمالية، أما الكراسان اللذان كتبا لهذه المكتبة فهما "مهمات الاشتراكيين – الديموقراطيين الروس" و "قانون المعمل الجديد"، وقد جرى طبعهما في الخارج.

الواقعة الثانية:

توجه أعضاء لجنة "البوند" المركزية إلى أحد أعضاء جماعة "الإسكرا" باقتراح تنظيم مختبر أدبي، وقالوا إن الحركة قد تتقهقر كثيرا في حالة عدم النجاح في ذلك، وقد كان من نتيجة هذه المفاوضات إنتاج كراس "قضية العمال في روسيا".

الواقعة الثالثة:

توجهت لجنة "البوند" المركزية إلى أحد أعضاء جماعة "الإسكرا" طالبة منه أن يأخذ على عاتقه تحرير " رابوتشايا غازيطا"، وتم الجواب بالموافقة، وكان من نتائج هذا العمل، إرسال مقالات من قبيل "برنامجنا"، وكذلك "واجبنا المباشر"، و "مسألة ملحة"، ولكن المشروع المتعلق باستئناف إصدار "رابوتشايا غازيطا" لم يتحقق، ولم ينشر المقالات.

الواقعة الرابعة:

وهي أن عضو اللجنة، الذي نظم المؤتمر الثاني الدوري لحزبنا، بلغ أحد أعضاء لجنة "الإسكرا" برنامج المؤتمر، ورشح هذه الجماعة لوظيفة تحرير "رابوتشايا غازيطا"، ولكن ذلك لم يتم نتيجة لعدة أسباب، واكتفت بوضع تقرير خطي للمؤتمر، وقد تضمن هذا التقرير فكرة مفادها أن مجرد انتخابنا للجنة المركزية يحل مسالة التوحيد في ظرف التبعثر الكامل الذي نجتازه.

كان لينين يرى أنه ينبغي البدء بدعوة جميع اللجان وجميع المنظمات الأخرى إلى تأييد الجريدة العامة، التي يعاد إصدارها، والتي من شأنها أن تربط فعلا جميع اللجان برباط عملي، وتحضر فعلا فريقا من القادة للحركة بمجموعها، وأن اللجان والحزب يستطيعان بسهولة أن يحولوا هذا الفريق، الذي أنشأته اللجان إلى لجنة مركزية منذ أن ينشأ هذا الفريق ويتوطد، ولكن المؤتمر لم ينعقد بسبب جملة من الاعتقالات والاعتبارات، أملتها ظروف العمل السري. أتلف التقرير بعد أن قرأه بعض الرفاق فقط، ومنهم مندوب إحدى اللجان.

ويترك لينين للقارئ أن يحكم بنفسه على طابع هذه الأساليب، التي من نوع تلميح "البوند" إلى التدجيل وحجة "رابوتشيه ديلو" الزاعمة أننا نريد سوق اللجان إلى عالم الأشباح والاستعاضة عن منظمة الحزب بمنظمة نشر أفكار جريدة واحدة.

2- هل يمكن للجريدة أن تكون منظما جماعيا

* إن الأمر الرئيسي في مقالة "بما نبدأ؟" هو طرح هذا السؤال بالذات، والإجابة عنه بالإيجاب. ولإثارة النقاش حول الموضوع طرح لينين حجج نادجدين، الذي اعتبره لينين الوحيد الذ قام بتحليل هذه المسألة من حيث الجوهر، وأجاب بالسلب:

"لقد أعجبنا جدا طرح "الإسكرا" عدد 4 لمسألة ضرورة إصدار جريدة لعامة روسيا، ولكن لا نستطيع بوجه أن نسلم بأن طرح المسألة بهذا الشكل يتلاءم وعنوان المقالة "بما نبدأ؟" فهي أمر في منتهى الأهمية دون شك، ولكن ليس في وسعها أو في وسع مجموعة كاملة من النشرات أن تضع أساس المنظمة الكفاحية، التي يقتضيها الظرف الثوري. من الضروري الشروع بتشكيل منظمات سياسية محلية قوية، وهذه المنظمات غير موجودة عندنا. فقد جرى العمل عندنا بصورة رئيسية بين العمال المثقفين،

في حين كانت الجماهير تقوم بالنضال الاقتصادي وحده تقريبا، وإذ لم ترب منظمات سياسية محلية قوية، فما جدوى جريدة لعامة روسيا، وإن كانت منظمة خير تنظيم "العليقة تتوقد بالنار، وهي لا تحترق ولا تحرق أحدا" حول هذه الجريدة وفي العمل من أجلها يجتمع الناس وينتظمون. هكذا حسب "الإسكرا"، لكن من الأيسر لهم أن يجتمعوا وينتظموا حول عمل ملموس أكثر! هذا العمل يمكن، ويجب أن يكون تنظيم الجرائد المحلية على نطاق واسع، والشروع منذ الآن بتحضير قوى العمال للمظاهرات، وقيام المنظمات المحلية بعمل دائم بين العاطلين عن العمل ... ينبغي الشروع في عمل سياسي حي على النطاق المحلي، وعندما تظهر ضرورة الاتحاد على هذا الصعيد الواقعي، لن يكون الاتحاد مصطنعا، ولا حبرا على ورق. إن توحيد العمل المحلي وتحويله إلى عمل روسي عام لا يمكن بلوغه عن طريق الجرائد".

("عشية الثورة")

*إجابات لينين عن الاعتراضات.

يقول لينين:

"إذا لم ترب منظمات سياسية محلية قوية، فلا جدوى من جريدة لعامة روسيا، وحتى وإن كانت في ذروة الكمال. هذا صحيح كل الصحة، ولكن المصيبة تكمن في عدم وجود طريق لتربية منظمات سياسية قوية غير طريق جريدة لعامة روسيا. لقد غابت عن الكاتب أهم فقرة فيما كتبته "الإسكرا" وهي الفقرة الواردة قبل الشروع بعرض مشروعها: "تنبغي الدعوة لخلق منظمة ثورية أهل لتوحيد جميع القوى، ولقيادة الحركة لا بالاسم فحسب بل بالفعل، أي أن تكون مستعدة على الدوام لتأييد كل احتجاج ولكل غليان، وللاستفادة من هذه الاحتجاجات والغليانان في زيادة وتعزيز القوات الحربية الصالحة للمعركة الفاصلة".

واستطردت "الإسكرا" قائلة أنه بعد حوادث فبراير ومارس لا يعترض أحد على ذلك من الناحية المبدئية، غير أن ما نحتاج إليه، ليس الحل المبدئي للمسألة، بل الحل العملي، ينبغي أن يوضع على الفور مشروع معين للبناء لكي ما يستطيع الجميع الشروع في

البناء فورا، ومن جميع الجهات، و ها هم يجروننا مرة أخرى إلى الوراء، من الحل العملي إلى حقيقة كبرى لا تقبل الجدال، وهي صحيحة من الناحية المبدئية كل الصحة، ولكنها غير كافية بتاتا، وغير مفهومة بتاتا لجمهور العاملين الواسع إلى حقيقة:

"تربية منظمات سياسية قوية!". ليس هذا محور الحديث يا حضرة الكاتب المحترم، إنما يدور الحديث عن كيفية تربيتها وإنجاز تربيتها!

وبالنسبة لقضية العمال المثقفين، يقول لينين:

"فخلال السنوات الأخيرة قام عندنا العمال المثقفون هم أيضا بالنضال الاقتصادي وحده تقريبا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لن تتعلم الجماهير أيضا القيام بالنضال السياسي ما لم يساعد على أن يتربى القادة لهذا النضال من العمال المثقفين، ومن المثقفين سواء بسواء. وهؤلاء القادة لا يمكن أن يتربوا إلا على أساس تقديرهم بصورة يومية منتظمة لجميع وجوه حياتنا السياسية، بجميع محاولات الاحتجاج والنضال، التي تقوم بها مختلف الطبقات في مختلف المناسبات، ولذلك، فإن الكلام عن تربية منظمات سياسية، والقيام في الوقت نفسه بمعارضة عمل الجريدة السياسية الورقي بالعمل السياسي الحي على النطاق المحلي، هما بكل بساطة أمر مضحك؟

ويخلص لينين إلى فكرة أنه:

"لا يمكن البدء ب "العمل السياسي الحي" إلا من التحريض السياسي الحي، الذي لا يمكن القيام به بدون جريدة لعامة روسيا، تصدر بتواتر و توزع توزيعا صحيحا".

وفي مكان آخر، يقول لينين:

"قد جاء في "الإسكرا" أن تأسيس جريدة سياسية لعامة روسيا، ينبغي أن يكون الخيط الأساسي الذي يمكننا متى أمسكنا به بأن نطور ونعمق ونوسع باستمرار هذه المنظمة (أي المنظمة الثورية المستعدة على الدوام لتأييد كل احتجاج وكل غليان).

قولوا لنا من فضلكم: عندما يضع البناؤون في مختلف الأماكن حجارة عمارة كبيرة لا سابق لها أبدا، ألا يقومون ب "عمل ورقي" إذ يمدون خيطا يساعدهم على إيجاد المكان الصحيح للصف، ويبين لهم الهدف النهائي لعملهم المشترك، ويمكنهم من الاستفادة، لا من كل حجر فحسب، بل أيضا من كل قطعة من الحجر الذي بتلاصقه مع سابقه ولاحقه يعطي المدماك النهائي الكامل؟ ألا نجتاز نحن في حياتنا الحزبية هذا الظرف، الذي توجد فيه الحجارة ويوجد البناؤون، ولا نجد بالضبط ذلك الخيط الذي يستطيع الجميع أن يروه ويتمسكوا به؟ فليصرخ من يريد أن يصرخ أننا بمدنا للخيط نريد أن يكون في يدنا الأمر والنهي".

"إن نادجدين يعظنا قائلا: "إن مسألة توحيد النشاط المحلي في هيئات مركزية تدور في حلقة مفرغة، فالتوحيد يقتضي تجانس العناصر، وهذا التجانس نفسه لا يمكن تكوينه إلا عن طريق شيء يوحد، ولكن هذا الشيء الموحد، لا يمكن أن يكون غير نتاج منظمات محلية قوية لا تتصف البتة في الوقت الحاضر بالتجانس".

ويجيب لينين:

"إن "كل مسألة تدور في حلقة مفرغة" لأن الحياة السياسية بأكملها عبارة عن سلسلة لا نهائية لها، تتألف من عدد لا يحصى من الحلقات.

وتتلخص براعة السياسي كلها في إيجاد الحلقة اللازمة، وفي التمسك بها بقوة، الحلقة التي هي أشد الحلقات استعصاء على انتزاعها من بين يديه، والتي هي أهم الحلقات في ظرف معين، الحلقة التي تعطي الحائز عليها أكبر الضمانات بحيازة السلسلة كلها".

ويضيف لينين في مكان آخر:

"الجريدة ليست فقط داعية جماعيا ومحرضا جماعيا، بل هي في الوقت نفسه منظم جماعي، ومن هذه الناحية الأخيرة يمكن أن تقارن بالسقالات، التي تنصب حول بناية يجري بناؤها، فتشير إلى معالم البناية وتسهل الاتصال بين البناة، وتساعدهم على توزيع العمل بينهم، وعلى رؤية مجمل النتائج التي أحرزها العمل المنظم".

يواجه نقاد مشروع "الإسكرا" بما فيهم نادجدين أنصارها بفكرة حول ما يسمى بالعمل الملموس أكثر. ويقوم لينين بتشريح معنى ذلك عند أصحابه، وخاصة نادجدين. وقام بتقسيمه كما يلي:

1-الجرائد المحلية

2-الاستعداد للمظاهرات

3-العمل بين العاطلين عن العمل

يتضح حتى لأول وهلة أن جميع هذه الأشياء قد التقطت صدفة تماما، على بركة الله، من أجل أن يقال شيء ما، إذ، أننا كيفما تمعنا فيها، لا نرى فيها شيئا من خصائصه أن "يجمع وينظم"، إلا إذا خرجنا عن كل منطق، علما أن نادجدين نفسه يقول بعد صفحتين:

"لقد آن لنا أن نسجل هذا الواقع: العمل المحلي تافه جدا، فاللجان لا تعمل حتى عشر ما يمكنها أن تفعل ... والمراكز الموحدة (الحاء بالكسر) الموجودة لدينا الآن سراب، دواوينية ثورية، منح البعض للبعض ألقاب الجنرالات، وسيظل الأمر على هذا النحو حتى تنشأ منظمات محلية قوية".

*وحول دور الجريدة مرة أخرى، يقول لينين:

"وتصبح هذه الجريدة جزءا من منفاخ حدادة هائل ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي، ويجعل منها حريقا عاما. وحول هذا العمل الذي هو بريء جدا وصغير جدا بحد ذاته، ولكنه منتظم وعام بكل معاني الكلمة، يتعبأ بصورة

منتظمة ويتعلم جيش دائم من مناضلين مجربين، ولن يمضي وقت طويل حتى ينهض على سقالات ودعائم هذا التنظيم العام الجاري بناؤه من بين ثوريين اشتراكيين – ديموقراطيين من طراز جليانوف ومن بين عمالنا الروس رجال من طراز بيبل، يقفون على رأس الجيش المعبأ، ويستنهضون الشعب كله للاقتصاص من وصمة العار واللعنة الجاثمتين على صدر روسيا.

هذا ما ينبغي أن نحلم به".

*ويصور لينين رد فعل خصومه بعد طرحه لمسألة الحلم:

"ينبغي أن نحلم! ما إن كتبت هذه الكلمات حتى فزعت، فقد خيل إلي أني جالس في مؤتمر التوحيد و أمامي محررو "رابوتشيه ديلو" و معاونوها، و إذا بالرفيق مارتينوف ينهض و يوجه إلي هذا الخطاب الرهيب:

"أجب من فضلك، هل يحق لهيئة تحرير مستقلة أن تحلم دون أن تستأذن في ذلك لجان الحزب بصورة مسبقة؟ "ثم ينهض الرفيق كريتشيفسكي ويستطرد (معمقا على نمط الفلاسفة الرفيق مارتينوف الذي عمق منذ زمن طويل الرفيق بليخانوف) قائلا، وفي صوته نبرة رهيبة أشد: "لن أقف عند هذا الحد، إني أسأل: هل يحق لماركسي أن يحلم بوجه عام إذا كان لم ينس أن البشرية في رأي ماركس تضع نصب عينيها على الدوام أهدافا قابلة للتحقيق، وأن التكتيك هو سير نمو المهام التي تنمو مع نمو الحزب!"

سرت قشعريرة في بدني بمجرد التفكير في هذه الأسئلة الرهيبة وأخذت أبحث عن ملجأ أختبئ فيه. إذن، فلنلجأ إلى بيساريف ونحاول الاحتماء به".

يقول بيساريف:

"إن الخلاف بين الحلم والحقيقة لا يسبب أي ضرر على أن يكون الشخص الحالم صادق الإيمان بحلمه، وعلى أن يتأمل الحياة بانتباه ويقارن بين ملاحظاته والقصور التي يبنيها في الهواء وعلى أن يعمل بوجه عام، وبصورة وجدانية على تحقيق حلمه، فعند وجود تماس بين الحلم والحياة تسير الأمور على ما يرام"

*ويعلق لينين على هذا القول منهيا في نفس الوقت هذا الجزء من الفصل:

"هذا النوع بالضبط من الأحلام قليل جدا لسوء الحظ في حركتنا، ويقع القسط الأكبر من تبعة ذلك على ممثلي الاقتصادية العلنية و "الذيلية" غير العلنية اللذين يتبجحون باعتدالهم وبحسهم للملموس".

3- ما هو طراز المنظمة التي نحتاجها؟

في مواجهة التكتيك اللينيني الذي كان ينادي به لينين ، و الذي يمكن تلخيصه في إنكار النداء المباشر إلى الهجوم، و في المطالبة بضرب **حصار محكم حول حصن العدو**، أي المطالبة بتوجيه كل الجهود لحشد جيش دائم، و لتنظيم هذا الجيش و تعبئته، نهض صراخ "رابوتشيه ديلو" من الاقتصادوية إلى الصراخ بالهجوم المباشر، فاتهم لينين بالجمود العقائدي و عدم فهم الواجب الثوري و بالدعوة إلى الاحتراس، و اعتبر لينين أن هذه الاتهامات لم تدهشه لكونها جاءت على ألسنة أناس لا مبادئ لهم، و نفس الشيء ينطبق على نادجدين لكونه يكن أروع الاحتقار للمبادئ البرنامجية و التكتيكية الثابتة.

ويقول لينين أن التاريخ لا يعيد نفسه، وقد نسي هؤلاء أن الحادث التاريخي إذا كان في الأصل مأساة فإن نسخته تكون مجرد مسخرة (18 برومير، ماركس).

اعتبر خصوم لينين بناء منظمة متصلة الأسباب بجريدة لعامة روسيا توليدا لأفكار مكتبية، وعمل مكتبي، مقابل إرهاب تهييجي وتنظيم ما يسمى بالمتوسطين وضرورة التجمع حول عمل ملموس أكثر كالجرائد المحلية، ومعتبرين في آخر المطاف أن الأوان قد فات، وأن

الجماهير ستنفجر بين لحظة وأخرى، واعتبر لينين أن الجرائد المحلية هي التي فات أوانها، والإرهاب التهييجي صبيانيات، والحديث عن تنظيم المتوسطين وتنظيم الجرائد المحلية على نطاق واسع هو فتح الأبواب على مصارعها أمام الاقتصادوية.

وفي مواجهة أطروحة نادجدين، يقول لينين:

"إن نادجدين يخطئ لأنه يظن أن هذا الجيش الذي يجري تنظيمه بصفة دائمة مشغول بأمور تفصله عن الجموع، في حين أن شغله الشاغل هو في الواقع التحريض السياسي الشامل والمتعدد الوجوه، أي أنه مشغول بعمل يقرب قوة الجموع التدميرية العفوية ويوحدها في كل واحد مع قوة منظمة الثوريين التدميرية الواعية. إنكم أيها السادة تأخذون البريء بجريرة المذنب، لأن جماعة سفوبودا بالذات، بإدخالها الإرهاب في البرنامج تدعو بذلك إلى منظمة إرهابيين، ومن شأن مثل هذه المنظمة أن تحول أنظار جيشنا حقا عن الاقتراب من الجموع التي ليست بعد لسوء الحظ، إلى جانبنا، من الجموع التي لا تسألنا لسوء الحظ، أو لا تسألنا إلا فيما نذر عن موعد وكيفية البدء بالعمليات الحربية".

"فلما تباغت الثورة أناسا يجعلون من التحريض السياسي بين الشعب كله حجر الزاوية في كامل برنامجهم وتكتيكهم وعملهم التنظيمي، كما تفعل "الإسكرا"، فالناس المنصرفون في جميع أنحاء روسيا إلى فتل خيوط منظمة متصلة الأسباب بجريدة لعامة روسيا، عدا أنهم لم يتركوا حوادث الربيع تباغتهم قد أعطوه بالعكس إمكانية التنبؤ بها".

ويخلص لينين إلى:

"هكذا وصلنا إلى الاعتبار الأخير الذي يجعلنا نلح بقوة على مشروع التنظيم حول جريدة لعامة روسيا عن طريق تعاون الجميع على إصدار هذه الجريدة العامة، فمثل هذا التنظيم هو وحده الذي يضمن للمنظمة الكفاحية الاشتراكية – الديموقراطية المرونة الضرورية، أي قدرة التكيف على الفور تبعا لمختلف ظروف النضال المتغيرة بسرعة، قدرة تجعلها تستطيع، من جهة تجنب

المعركة في ميدان مكشوف مع خصم متفوق العدد، جمع في نقطة واحدة جميع قواه، تستطيع معها، من الجهة الأخرى، الاستفادة من عدم مرونة هذا الخصم لمهاجمته حيث، و حين قلما ينتظر الهجوم" .

*ويقدم لينين مزيدا من التدقيق حول مفهومه للثورة، ويقول:

"الثورة نفسها لا ينبغي أن نتصورها بشكل عمل واحد (...) بل بشكل بضعة تبدلات سريعة شديدة لحد ما، إلى سكون عميق لحد ما. ولذلك فإن المضمون الأساسي بنشاط منظمتنا الحزبية، ومحور نشاطها ينبغي أن يكون ذلك العمل الممكن والضروري، سواء في مراحل أقوى الانفجارات أو في مراحل السكون التام ونعني: التحريض السياسي الموحد في جميع أنحاء روسيا، والذي يلقي النور على جميع نواحي الحياة ويتوجه إلى أوسع الجماهير، وهذا العمل لا يمكن تصوره في روسيا الراهنة بدون جريدة لعامة روسيا تصدر في فترات متقاربة جدا. والمنظمة التي تتألف من تلقاء نفسها حول هذه الجريدة، منظمة المتعاونين على إصدارها (بمعنى الكلمة الواسع، أي كل من يعمل من أجلها) ستكون بالضبط على استعداد لكل شيء، ابتداء من إنقاذ شرف الحزب وسمعته واستمرارية عمله في فترات أشد الضغوط على الثوريين وانتهاء بإعداد الانتفاض الشعبي وتحديد زمنه وتحقيقه".

ويضرب لينين مثلا بالاعتقالات، فعندما يتم الاعتقال للجميع في منطقة أو عدة مناطق جرت العادة على أن يرافق هذه الاعتقالات انقطاع في النشاط يستمر أشهرا عديدة من جراء عدم وجود عمل واحد دائم مشترك بين جميع المنظمات المحلية. ويضيف لينين:

"ولكن في حالة وجود عمل مشترك بين الجميع يكفي حتى في حالة أفظع الاعتقالات أن يعمل اثنان أو ثلاثة من الرفاق البعيدي الهمة بضعة أسابيع ليربطوا بالمركز العام حلقات الشباب الجديدة التي تنشأ، كما يعلم الجميع بسرعة حتى في الظرف الحاضر، والتي يمكن أن تنشأ وترتبط بالمركز العام بسرعة أكبر، إذا كان هذا العمل المشترك الذي تضرر من اعتقالات معروفا من الجميع".

وينهي لينين هذا الجزء بتلخيص لمشروع الجريدة السياسية لعامة روسيا، قائلا:

"إن مشروع جريدة سياسية لعامة روسيا ليس ثمرة تفكير أناس قابعين في مكتب ومصابين بالجمود العقائدي والتنميق الأدبي (كما خيل لأناس لم يفكروا في الأمر مليا)، وليس هذا فحسب، بل إنه، بالعكس، مشروع عملي جدا، يعطينا إمكانية الشروع من جميع الجهات، وعلى الفور، بالاستعداد للانتفاض دون أن ننسى في الوقت نفسه وللحظة، عملنا اليومي المعتاد".

خاتمة الكتاب

*يقسم لينين تاريخ الاشتراكية – الديموقراطية الروسية إلى ثلاثة مراحل:

- **مرحلة أولى**، وامتدت تقريبا عشر سنوات من 1884 إلى 1894، وسماها لينين بمرحلة نشوء وتوطد نظرية الاشتراكية – الديموقراطية وبرنامجها، وكان أنصار اتجاه الجديد في روسيا يعدون بالآحاد، وكانت الاشتراكية- الديموقراطية موجودة بدون حركة عمال، وكانت بوصفها حزبا سياسيا تجتاز مرحلة التطور الجنيني.

- **المرحلة الثانية**: امتدت ثلاث أو أربع سنوات، من 1894 إلى 1898 وفيها أصبحت الاشتراكية – الديموقراطية حركة اجتماعية بوصفها نهضة للجماهير الشعبية، وبوصفها حزبا سياسيا. إنها مرحلة الطفولة واليفاع، فقد مثل تشكيل الحزب في ربيع 1898 أبرز عمل للاشتراكيين –الديموقراطيين في هذه المرحلة، وكان في نفس الوقت آخر عمل لهم.

- أما **المرحلة الثالثة** التي ظهرت بوادرها في سنة 1897، وحلت نهائيا محل المرحلة الثانية سنة 1898، وتمتد من 1898 إلى ... لقد كانت مرحلة تبعثر وتفسخ وتأرجح. وقد تميزت هذه الفترة بكون القادة كانوا يتيهون، متفرقين، بينما الحركة نفسها كانت لا تفتأ تتسع وتخطو خطوات كبرى إلى الأمام، وبينما كان النضال الجماهيري يعيش مدا متصاعدا فقد خار وعي القادة تجاه سعة النهوض العفوي وقوته. لقد سادت كما يقول لينين بين الاشتراكيين – الديموقراطيين مرحلة أخرى، مرحلة مناضلين تربوا على الأدب الماركسي العلني وحده تقريبا، وكان هذا الأدب غير كاف، خصوصا وأن عفوية الجماهير كانت تتطلب منهم المزيد من الوعي، ولم يقتصر القادة على التخلف من الناحية النظرية (حرية النقد) ومن الناحية العملية ("العمل الحرفي" على حد سواء) بل حاولوا تبرير تخلفهم بمختلف

الحجج المتفاصحة. لقد انحطت الاشتراكية – الديموقراطية إلى مستوى التريديونيونية، سواء لدى أصحاب المطبوعات العلنية أو من قبل دعاة الذيلية في المطبوعات السرية، وبدأ برنامج الكريدو يتحقق بوجه خاص عندما أفضت حرفية الاشتراكيين – الديموقراطيين إلى انتعاش الاتجاهات الثورية غير الاشتراكية – الديموقراطية، ويقول لينين فيما يخص تركيزه على جريدة "رابوتشيه ديلو" يعود لأهميتها التاريخية، لأنها أفصحت بمنتهى الجلاء عن روح هذه المرحلة الثالثة.

ويؤكد لينين في ختام كتابه، مميزا لهذه المرحلة قائلا:

"وما يميز هذه المرحلة، ليس الاستخفاف المتعالي بالنشاط العملي من قبل هائم ب "المطلق"، بل على وجه الدقة، المزج بين النشاط العملي التافه والاستهتار التام بالنظرية، وأبطال هذه المرحلة لم ينصرفوا إلى إنكار الكلمات العظمى إنكارا مباشرا، بمقدار ما انصرفوا إلى ابتذالها: فلم تبق الاشتراكية العلمية نظرية ثوريين متماسكة، بل أصبحت تحول إلى خليط يضيفون إليه "بحرية" سوائل من أي كتاب مدرسي ألماني حديث، ولم يعد شعار النضال الطبقي يدفع إلى الأمام، إلى عمل يتسع نطاقه باستمرار، ويزداد نشاطه باستمرار، بل غدا وسيلة تسكين، ما دام "النضال الاقتصادي" وثيق الصلة بالنضال السياسي". ولم تكن فكرة الحزب نداء إلى إنشاء منظمة ثوريين كفاحية، بل كانت مبررا لنوع من "الدواوينية الثورية" واللعب الصبياني بالأشكال الديموقراطية".

ويقول لينين:

"لا ندري متى تنتهي المرحلة الثالثة، وتبدأ المرحلة الرابعة (التي نرى، على كل حال، الكثير من تباشيرها). إننا هنا، ننتقل من صعيد التاريخ إلى صعيد الحاضر والمستقبل جزئيا. ولكننا على يقين تام من أن المرحلة الرابعة ستفضي إلى توطيد الماركسية الكفاحية، وأن الاشتراكية – الديموقراطية الروسية ستخرج من الأزمة زاخرة بالصحة والرجولة، وأن مؤخرة الانتهازيين سيستعاض عنها بالطليعة الحقيقية من الطبقة التي لا تصارعها في ثوريتها طبقة أخرى.

وفي وسعنا، بصفة نداء إلى هذه "الاستعاضة" وبصفة وتلخيص لكل ما قلناه فيما تقدم، أن نجيب على سؤال "ما العمل؟" جوابا: فلننه المرحلة الثالثة".

بعض المراجع

1-"من أجل معرفة فكر لينين"، هنري لوفيفر

2-"تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي" (حزب البولشفيك) 1930

3-"المدرسة الاشتراكية في الصحافة" الحقبة اللينينية 1896 – 1923، ذ. عواطف عبد الرحمان

4-"حول الصحافة" لينين

5-"مهام الاشتراكيين الديموقراطيين الروس"، لينين 1897

6-"برنامجنا"، لينين 1899

7-"بما نبدأ"، لينين 1901

8-"رسالة إلى رفيق حول مهامنا التنظيمية"، لينين 1902

9-"ما العمل؟"، لينين 1902

محاور العدد

الجزء الأول 2

تنبيه 2

ا - مقدمات تاريخية 4

1- الأرضية الأولى: إلغاء الرق وتطور الرأسمالية الصناعية في روسيا الذي صاحبه تشكل البروليتاريا الصناعية الحديثة، وانبثاق الخطوات الأولى للحركة العمالية 5

2- الأرضية الثانية: الشعبوية والماركسية في روسيا، بليخانوف وجماعته "تحرير العمل"، نضال بليخانوف ضد الشعبوية وانتشار الماركسية في روسيا 9

3- الأرضية الثالثة: بدايات النشاط الثوري عند لينين، "اتحاد النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة في بترسبورغ" 15

4- الأرضية الرابعة: نضال لينين ضد الشعبوية و "الماركسية الشرعية". فكرة لينين حول تحالف الطبقة العاملة والفلاحين. أول مؤتمر للحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي بروسيا 17

5- الأرضية الخامسة: نضال لينين ضد الاقتصادوية. لينين يؤسس جريدة الإسكرا 20

6- الأرضية السادسة: تشكل الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي لروسيا. ظهور التيارين المنشفي والبلشفي داخل الحزب 1901 – 1904 . 22

7- الأرضية السابعة: المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي – الديموقراطي لروسيا. تبني البرنامج والقانون الأساسي للحزب. خلق حزب واحد. الخلافات في المؤتمر وظهور تيارين: البلاشفة و المناشفة داخل الحزب 30

8-الأرضية الثامنة: الأعمال الانشقاقية للزعماء المناشفة وتفاقم الصراع داخل الحزب بعد المؤتمر الثاني. انتهازية المناشفة. كتاب لينين "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء". مبادئ الحزب الماركسي في مجال التنظيم 35

الجزء الثاني 44

مهمات الاشتراكيين الديموقراطيين الروس 44

تقديم 44

برنامجنا ـ فلادمير لينين 57

بما نبدأ؟ لينين 61

رسالة إلى رفيق حول مهامنا التنظيمية ـ لينين 66

الجزء الثالث 74

ما العمل؟ (المسائل الملحة لحركتنا) 74

الفصل الأول ـ الجمود العقائدي و "حرية النقد" 79

الفصل الثاني ـ عفوية الجماهير و وعي الاشتراكية – الديموقراطية 92

الفصل الثالث ـ السياسة التريديونيونية والسياسة الاشتراكية – الديموقراطية 103

الفصل الرابع ـ عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين 117

الفصل الخامس ـ "مشروع" جريدة سياسية لعامة روسيا 128

بعض المراجع 143